

فهرس الجزء الثانى من المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية

صفحة

صفحة

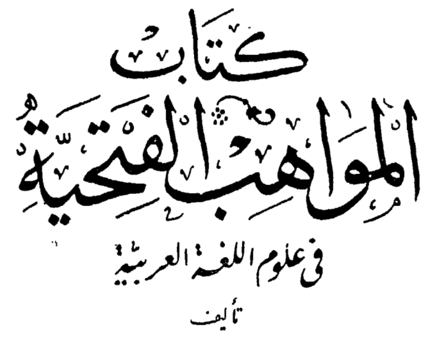
صفحة

صفحة

صحيفة

صفحة

صفحة



في علوم اللغة العربية

تأليف

حضرة العـــلامة الفـاضل واللغوى البـارع الشهير ذى الفضيلة

الشيخ حمزة فتح الله

المفتيش الاول للعلوم العربية بنظارة المعـارف العمومية
والمدرّس لدرسها العام بمدرســة دار العلوم الخديوية حين تأليفه هذا الكتاب



قررت نظارة المعـارف العموميــة طبع هذا الكتاب على نفقتها

المطبعـــة الأمـــيرية بمصـــر
١٣٢٦ — ١٩٠٨



بسم الله الرحمن الرحيم

شرح قصيدة الاعشى فى المنتشر وهى التاسعة

هو أعْشَى باهِلَةَ واسمه عامر بن الحرِث أحَد بنى عامر بن عوف بن وائل بن مَعْن ومعن أبو باهلة وباهلة امرأة من هَمْدان وهو الشاعر المشهور صاحب هذه القصيدة المَرْثِيَّة فى أخيه لأمه المنتشر والعَشا والعَشاوة سُوء البَصَر ليلا ونهارا يكون فى الناس والدّوابّ والإبِل والطير عَشِىَ كرَضِىَ ودَعَا فهو عَشٍ وأعشى وهى عَشْواء ورجُلان أعْشَيَان وامرأتان عَشْواوان وقد أعْشَاه الله تعالى فَعَشِىَ وهُمَا يَعْشَيان بالياء لا الواو لاعلالها فى ماضيه ياءً لكسر ماقبلها كما حمل مزيد ماضيه على مضارعه كأعطيتُ ويعطِى والمفعولُ منه نحو يُعطَيان والمعطَيان على الفاعل نحو يعطِيان والمعطِيان وتَعَاشَى أرَى أنه أعشَى وليس به وجَمْعُه عُشْو وهم نحو العشرين شاعرا فى الجاهلية والاسلام والمنتشر هو ابن وهب وكان رئيسا فارسا قتله بنو الحارث بن كعب إِثْآرا برجل منهم فرثاه الاعشى بهذه القصيدة وأوّلها

« انى أتتنى لسان لا أُسَرُّ بها * من عُلْو لاعَجَب منها ولا سَخَر »

اللسان هنا بمعنى الرسالة وأراد بها نَعْى أخيه المنتشر ولذا أنث له الفعل لأنه اذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسن واذا كان بمعنى جارحة الكلام يذكر ويجمع على ألسنة واستشهد به صاحب الكشاف على أن اللسان فى قوله تعالى (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أطلق على مايوجد بها من العطية وعلو الشئ ساكن اللام مثلث العين والواو أرفعه والسخر بفتحتين وبضمتين مصدر سخر منه كفرح استهزأ به يقول أتتنى

رسالة من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لأن مصائب الدنيا كثيرة ولا أسخر بالموت أو لا أقول ذلك سخرية

« فَظَلْتُ مكتئبا حَـرّانَ أندُبه * وكنت ذا حَذَر لو ينفع الحَذَر »

« فجاشت النفس لمـا جاء جَمْعهم * وراكبٌ جاء من تثليثَ مُعتمِر »

جاشت نفســه غَثَتْ أى خَبُثت أو دارت للغَثَيان فان أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت بالهمز وتثليث اسم موضع ومعتمر أى زائر

« يأتى على الناس لايلوِى على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر »

فاعل يأتى ضمير الراكب ويلوى مضارع لوى بمعنى توقف وعرّج أى يمرّ على الناس بلا تعريج على أحد منهم حتى أتانى ودون أى قدّام

« إنّ الذى جئت من تثليث تَندُبه * منه السماح ومنــه النهىُ والغِيَر »

أى فقلت لهــذا الراكب ان الذى جئت الخ وندب الميت كنصر أى بكى عليه وعدّد محاسـنه وجملة منه السماح الخ خبر انّ والنهى خلاف الامر والغير اسم من غيّرتُ الشئ فتغير أراد به الامر

« يَنعَى امرأ لاتَغُبّ الحىَّ جفنتُه * اذا الكواكب أخطا نوءَها المطر »

النَعْى خبر الموت يقـال نعاه ينعاه نَعْيا من باب سعى ونُعيانا بالضم ونَعِيًّا على فعيــل والاخير يطلق أيضا على الناعى وهو الذى يأتى بخبر الموت وكان من عادتهم انه اذا مات منهم عظيم ركب راكب فرسا وسار فى الناس قائلا نَعاءِ فلانا كَحَذَام أى انعَه وأظهِرْ خبرَ وفاته وفى اعراب لفظ امرئ ثلاث لغات فتح الراء على كل حال وضمها كذلك واعرابها كذلك وعلى هــذه الثالثة يعرب من مكانين كابنم وغب يغب بضم عين المضارع غبا بالكسر يقولون فلان لايَغُبّنا عطاؤه أى لايأتينا يوما دون يوم بل يأتينا كل يوم والجفنــة القصعة وأخطأه كتخطاه والنوء ســقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته فى كل ليـلة الى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم الى انقضاء السنة وهو من ناء كقال أى نهض وكان أهل الجاهلية يضيفون الامطار والرياح والحرّ والبرد الى الساقط منها يريد أنّ جفانه لاتنقطع فى القحط والشدّة

«وراحت الشَّـولُ مغبرًّا مَنَاكِبُها * شُـعثا تغـيَّر منهـا النِّيُّ والوَبَرَ»

هو من مدخول اذا عطف على جملة الكواكب بعـدها يقول ان جِفَانه لاتنقطع اذا انقطعت الامطار وأجدب الناس فراحت الابل مغبرة المناكب يعلوها الشَّعَث متغيرا منها الشحم والوبر لشدّة مانالها من جهد الجدب وراحت المـاشية بالعشيّ وسرحت بالغداة تروح رواحا والرواح أيضا ضــدّ الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس الى الليـل والمراح بالضم حيث تأوِى اليه الابل والغنم بالليل وبالفتح الموضع الذى يروح منه القوم أو يروحون اليه كالمَغْدَى من الغُدْوَة وهى مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس والشول جمع شائلة على غير قياس وهى من الابل ماأتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخفّ لَبَنُهَا أو مصدر شال لَبَن الناقة أى ارتفع وتسمى الناقة الشول أى ذات الشول لانه لم يبق من لبنها الاَّ شَول من لبن أى بقية ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها أما الشائل بغير تاء فمن شالت الناقة بذنبها شولا عنـد اللقاح رفعته فهى شائل لأنه وصف مختص بالانثى والجمع شُوّل كُرّكّع (فائدة) اشـتهر أن الاوصاف المختصة بالاناث تجرّدِ من التاء ويجوز اثباتها فيهـا تقول للحبلى امرأة حامل وحاملة فمن قال حامل قال هـذا نعت لايكون الا للاناث ومن قال حاملة بناه على حملت فهى حاملة وأنشد

تمخضت المنون له بيوم * أتى ولكل حاملة تمـام

فاذا حملت المرأة شيأ على رأسها مثلا فهى حاملة لاغير لأن التاء انمـا هى للفرق فمـا لايكون للمذكر لاحاجة فيه الى تاء التأنيث فان أتِى بها فهو على الاصـل لكن ذلك قول الكوفيين وقال البصريون هـذا غير مطرد فان العرب تقول هذا رجل أيّم وامرأة أيّم ورجل عانس وامرأة عانس مع الاشـتراك وتقول امرأة مُصْبية وكَلْبـة مُجْرِية مع الاختصاص قالوا والصواب أن قولهم حامل وطالق وحائض ونحوهـا أوصاف مذكرة وصف بها الاناث كما أن الرَبْعـة والرَاوِية والجُخَاَة أوصاف مؤنثة وصف بها الذكور اه والجخاة كهمزة الرجل الكثير الجماع زاد المجد والمرأة المشتهية ذلك اه والرَبْعـة الرجل بين الطول والقصر والمناكب جمع منكب كمجلس وهو مجتمع رأس العضد والكتف والشُعث جَمْع شَعْثاء من الشَعَث محركا مصـدر شعث كفرح وهو الوسخ ويطلق على تغير الشعر

وتلبده لقلة تعهده بالدهن والنَّيُّ الشحم ومصــدر نوت الناقة تنوى نِوَاية ونَيا فهى ناوية وناو والجمع نِوَاء سَمِنت

« وألجأ الكلبَ مبيضُّ الصقيع به * وألجأ الحىَّ من تنفاحه الجُحَـر »

لجأ اليه كمنع وفرح لاذ كالتجأ وألجأه اضطرّه وألجأ أمره الى الله تعالى أسنده وألجأ فلانا عَصَمه ومبيض الصقيع أى الجليـد من اضافة الصفة للموصوف وهو ندى يسقط من السماء فيجمُد على الارض ويقـال له الضريب والسقيط وبه أى عليــه يعود ضميره للكلب والحىّ واحد الاحياء وهى البطون منهم وأكبرها الشعب بالفتح ثم القبيـلة ثم الفصـيلة ثم العمارة بالكسر ثم البطن ثم الفخذ والتنفاح تفعال من نفحت الريح اذا هبت باردة وضميره للصقيع والجحر جمع جحرة كغرف وغرفة وزنا ومعنى وقوله وألجأ الكلب من مدخول اذا أيضا أى انه لاينقطع عن اطعام الطعام فى شـدة البرد حينما يضطرّ الكلبَ مايتلبد على شعره من الجليد الابيض الى الدخول فى الجُحْر مثلا بتقديم الجيم وحينما يعصم الحىَّ بسبب ذلك الصقيع الحُجَرُ بتقديم الحاء فقد وضح لك ان ألجأ الاول يتعين فيه المعنى الاول وهو اضطر كما أن الثانى يتعين فيه المعنى الاخير وهو عَصَم غايته أن الشاعر حَذف من الاول معموله الثانى وهو الى كذا ولا حَظْر فى ذلك أما على رواية وأجحر الكلب بدل وألجأ الكلب فالمعنى ظاهر يقال أجحره أى ألجأه الى أن دخل جحره وبمـا تقرر تعـلم ما فى كلام العلامة البغدادى فى شرح هذا البيت

« عليه أوّلُ زاد القوم قد علِموا * ثم المَطِىّ اذا ما أرملوا جُــزُر »

يعنى أنه يُلزم نفسَــه أوّلا زاد أصحابه فاذا نفِـد الزادُ نحَر لهم المطايا وأرمل نفِد زادُه والمطىّ جمـع مطيّة وهى الناقة والجزر بضمتين جمع جَزور وهى الناقة التى تُنْحَر وروى بفتحتين جمع جَزَرة وهى الناقة والشاةُ تُذْبَح وما أحسن قول الشاعر العربى يمدح سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأبيك خيرا انّ إبلَ محمــد * عُــزْل نَوائحُ إن تهبَّ شَمَـال
واذا رأين لدى الفِناء غريبــةً * ذَرَفت لهنّ من الدموع سِجَـال
وترى لها زمن الشتاء على الثرى * رَخَما وما يَحْيا لهنّ فِصَـال

أراد وأبيك الخير فلما طرح الالف واللام نصب على المصدرية لانه فى الاصل مصدر خار من باب باع تقول خِرْتَ يارجل فأنت خائر ضدّ شَرِرْتَ والعُزْل التى لاسِلاح معها وسلاح الابل سِمَنها وأولادها لانها اذا كانت كذلك نفِس بها صاحبُها عن أن ينحرها للاضياف فصار ذلك كأنه سلاحها الذى يدفع عنها النحر فهو يقول ان هذه الابل وان كان معها سلاحها المذكور لكنه لايغنى عنها شيأً لانها مع ذلك تُنْحَر للاضياف فكأنها اذا هبت الشمال عُزْلٌ ولذلك تنوح لتوقعها النحر فى ذلك الوقت لانه أكثر مايكون القِرَى والنَحْر فى ذلك الزمان كما أنهنّ يبكين اذا وجدن لدى الفِناء ناقة غريبة لضيف نازل اذ يعلمن أن بعضهن يُنحر لا محالة قِرًى لذلك الضيف وتنحر أيضا فى زمن الشتاء الذى هو زمن الشدّة فيقع الرَخَم على موضع نحرها ودمها وبقايا أَشْلائها ويقع ذلك النحر لفِصالها أيضا فلا تحيا وذلك المدح على المعتاد والا فهو صلى الله عليه وسلم أكرم من ذلك وأعظم قال صاحب الهمزية

مُسْتَقِلٌّ دنياكَ ان يُنْسَبَ الإِمْ * ساكُ منها اليه والإِعطاء

ومن ذلك قول الآخر

عاذت ولمّا تَعُذْ منه براكبها * حتى اتّقاها بِنِكْلٍ غير مسمور
ثم اعتلاها بخلّى عن شَطَائبها * مُعَوَّد ضربَ أعناقِ البَهَازِير

وقال غيره

اذا أخذت بُزْل المخاض سلاحَها * تجرّد فيها متلِفُ المال كاسبه

يريد براكبها سَنامها وبالنِكْل السيف والبهازير جمع بُهزورة العظيمة من النوق وشطائب السنام جمع شطيبة ومن معنى ماتقدّم قول الاعشى

« قد تكظِم البُزْل منه حين تبصره * حتى تقطّع فى أعناقها الجِرَر »

كَظْم البعير أن لايجترّ لشدّة الفَزَع والبُزْل جمع بازل وهو الداخل فى السنة التاسعة والجرر جمع جرّة بالكسر فيهما وهى مايُخرجه البعير للاجترار وتقطع مضارع حذفت احدى تاءيه

« أخو رغائبَ يعطيها ويُسئلها * يَأْبَى الظُّلامةَ منه النَّوْفَل الزُّفَر »

الرغيبة العطاء الكثير والظلامة والظليمة والمظلمة ماتطلبه عند الظالم وهو اسم ماأخذه منك والنوفل البحر والرجل المعطاء والزُفَر كصُرَد الاسَد والكثيرُ الناصرِ والاهلِ والعُدّةِ وقال فى الصحاح هو السـيد لانه يزدفر أى يتحمل بالاموال فى الحَمَالات من دَين ودية مطيقا لها وأنشد هـذا البيت يريد أنه يعطى مايرغب الرجال فى ادّخاره ويحرصون على التمسك به لنفاسته وأخو خبر مبتدأ محذوف أى هو أخو رغائب وجملة يعطيها ويسئلها مفسرة لوجه الملابسة فى قوله أخو رغائب ويسئلها بالبناء للمجهول قال الجوهرى وانما يريده بعينه كقولك لئن لقيت فلانا ليَلْقَيَنَّك منه الاَسَد اه يريد التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة لكمال تلك الصفة فى ذلك الامر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بها أن يصح أن ينتزع منـه موصوف بها آخر والعرب تستعمل الأخ على أربعـة أوجه أحدهـا المُلَابِس والملازم للشئ كقولهم أخو الحرب ومنه أخو رغائب البيت والثانى المُجَانِس والمُشَابه كقولهم هذا الثوب أخو هذا والثالث الصـديق والرابع أخو النسب بقرابة وهو المشهور أو قبيلة وقومٍ نحو يا أخا تميم لمن هو منهم وبه فسر قوله تعالى (يا أخت هارون) واعلم أن موازن فُعَل بضم الفاء وفتح العين اذا كان عَلَما يشـترط لمنع صرفه اجتماع شرطين قبـل العلمية ثبوت فاعل وعدم فُعَـل فكان الواجب صرف عُمَر وزُفَر علمين لأنهما قد وجد لهما قبـل العلمية فاعل كعامر وزافر من زفر كضرب أى حَمَل وفُعَل كعُمَر جمع عُمْرة والزُفَر بمعنى السيد لكنهما لمّا سُمِعا ممنوعَين حَكَمْنا بأنهما عَلَمان غير منقولَين عن فُعَـل الجنسى بل معـدولان عن فاعل اه رضى بتوضيح وتصرّف وبيـان هذا المقام باختصار أن فُعَـل العَلَم لمـا سمع ممنوعا من الصرف كعُمَر وزُفَر وزُحَل وقُثَم وسُمِـع فُعَـل اسم الجنس مصروفا كصُرَد ونُغَر وحُطَم ولُبَـد وجُرَذ وقُذَذ ونُخَز حَكَمَ الأئمةُ الذين شافَهُوا العرب وسمعوا ذلك منهم فَمَا لَقِمٍ بأنّ الممنوع معدول عن فاعل لاعن اسم الجنس المذكور وأن اسم الجنس لو سمى به بقى على صرفه قال ابن جنى فى شرح أسماء شعراء الحماسة قال أبو على ألا ترى الاعشى أدخل عليه أل وأنشد هذا البيت ثم قال فدخول اللام عليه يعرفك انّ زُفَر الذى ليس بمصروف غير هذا لدخول اللام ولو سميت بزفر هذا بعد تجريده من اللام رجلا لصرفته لانه حينئذ

كصُرَد ونُغَر اه بتوضيح وقال العلامة ابن يعيش على قول المفصّل فى تعداد موانع الصرف والعدلُ عن صيغة الى أخرى فى نحو عُمَر وثُلاث مانصه وأما العدل فهو اشتقاق اسم عن اسم على طريق التغيير له نحو اشتقاق عُمَر عن عامر والمشتق فرع على المشتق منه والفرق بين العدل وبين الاشتقاق الذى ليس بعدل ان الاشتقاق يكون لمعنى آخر أُخِذ من الاول كضارب من الضرب فهذا ليس يعدل ولا من الاسباب المانعة من الصرف لانه اشتُقّ من الاصل بمعنى الفاعل وهو غير معنى الاصل الذى هو الضرب والعدل هو أن تريد لفظا ثم تعدل عنه الى لفظ آخر فيكون المسموع لفظا والمراد غيره ولا يكون العدل فى المعنى انما يكون فى للفظ فلذلك كان سببا لانه فرع على المعدول عنه فعمر عَلَم معدول عن عامر علم أيضا وكذلك زفر معدول عن زافر علم أيضا وفى الاعلام زافر واليه تنسب الزافرية والزافر من زفَر الحِمْلَ يزفِره اذا حَمَله وقُثَم معدول عن قاثم علما وهو منقول من القاثم وهو اسم الفاعل من قثَمَ اذا أعطى كثيرا وزُحَل معدول عن زاحل سمى بذلك لبعده الى أن قال وفُعَل يأتى على ضروب منها ماذكرناه من المعدول ومنها أن يجىء جنسا نحو صُرَد ونُغَر وسُبَد لطائرٍ ويجىء صفة كحُطَم قال الشاعر

* قد لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَم * وزُفَر من قوله * يأبى الظلامة منه النوْفَل الزُفَر *

ويجىء جَمْعا نحو ثُقْبة وثُقَب فلو سُمّى بشئ من ذلك لانصرف لانه منقول من نكرة واعتبار العدل من ضروب فُعَل بامتناع الالف واللام منه وعرّفنا أنه معدول أنه وَرَد فى اللغة غير منصرف وليس فيه من موانع الصرف سوى التعريف الى أن قال والمعدول بابه السماع ألا ترى انهم لم يقولوا فى مالك مُلَك ولا فى حارث حُرَث كما قالوا عُمَر وزُفَر والمعدول على ضربين معرفة ونكرة فالمعرفة قد تقدّم ذِكْرها وهى نحو عُمَر وزُفَر وهو من قبيل المُرْتَجَل لانه يغيّر فى حال العلمية فلو نُكّر لانصرف نحو قولك مررت بزُحَلٍ وزُحَلٍ آخَرَ وعُمَرٍ وعُمَرٍ آخر لبقائه بلا سبب لانه لمّا زال التعريف بالتنكير زال العدل أيضا لانه انما كان عدل عن معرفة عَلَمٍ فاذا نُكّر لم يكن ذلك العَلَم مرادا فانصرف وأما المعدول فى حال التنكير فنحو أحادَ وثُلاثَ ورُباعَ وما كان منها نكرات بدليل قوله تعالى (أولى أجنحةٍ مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ) فمثنى وثلاث ورباع فى موضع الصفة لِأَجْنحة وهى نكرة قال الشاعر

ولكنما أهـــلى بواد أنيسُـــه * ذئاب تَبَغَّى الناسَ مَثنَى ومَوحَد

فأجراه وصفا لذئاب وهو نكرة وصفة النكرة نكرة والمانع له من الصرف على هذا الوصفُ والعدلُ عن العـدد المكرَّر فأما الوصف فظاهر وأما العدل فالمراد بمثنى اثنين اثنين وكذلك ثلاث ورباع فالعدل هنا يوجب التكرير فاذا قال جاء القوم ثُلاث ورُباع فمعناه انهم تحزبوا وقت المجىء ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقالوا مَوْحَد كَمَثْنَى ومَثْلَث الى أن قال فان سُمِّيَ رَجُل بمثنى وثلاث ورباع ونظـائرها انصرف فى المعرفة فتقول فيه هـذا مَثْنًى وثُلاثٌ بالتنوين لان الصفة بالتسمية قد زالت وزال العـدل أيضا لزوال معنى العـدد بالتسمية وحدث فيه سبب آخر غيرهما وهو التعريف فانصرف لبقائه على سبب واحد اه

وعبارة سيبويه فى الكتاب (باب فُعَـل) اعلم ان فُعَلَ اذا كان اسمـا معروفا فى الكلام أو صفة فهو مصروف فالاسم المعروف فى الكلام على ضربين أحدهما أن يكون واحدا من جنس أو جمعا لواحد من جنس فالاسم الذى لواحد نحو صُرَد وخُزَز وجُعَل وسُبَد اسم طائر وما أشبه ذلك والجمع نحو ثُقَب وحُفَر وظُلَم وما أشبه ذلك اذا أردت جَمْع الثُّقْبة والحُفْرة والظُّلْمة والصفاتُ نحو هذا رجل حُطَم كما قال الحُطَم القَيْسى

* قد لَفَّها الليلُ بسوّاق حُطَم * وخُتَع وسُكَع والختع الدليل والسكع الذى يتسكّع فى الامر وانمـا صُرِفَت هـذه الاسماء لانها ليست كالاسم الذى يشبه الفعل الذى فى أوّله زيادة وليست فى آخرها زيادة تأنيث فصار ما كان منه اسما ولم يكن جمعا كحَجَر ونحوه وما كان منه جمعا بمنزلة كِسَر وإبَر وما كان منه صفة بمنزلة قولك هذا رجل عُمَل اذا أردت كثير العمل وبمنزلة رجل شُكَل اذا كـان خفيفا فى عمله فأما عُمَر وزُفَر فانهـم منَعَهم من صرفهما وأشباههما انهما ليسا كشئ مما ذكرناه وانما هما محدودان عن البناء الذى هو أولى بهـما وهو بناؤهما فى الاصـل فلما خالفا بناءهما الاصلى تركوا صرفهما وذلك نحو عامر وزافر ولا يجىء عمر وأشباهه محدودا عن البناء الذى هو أولى به الا وذلك البناء معرفة كذلك جرى هـذا الكلام فان قلت عُمَرٌ آخرُ صرفتـه لانه نكرة فتحَوّل عن موضع عامر معرفة وان حقّرته صرفتـه لان فُعَيْلا لايقع فى كلامهم معدولا عن فُوَيعِل فصار تحقيره كتحقير عمرو كما صارت نكرته كصُرَد وأشباهه هذا قول الخليل اه قال شارحه أبوسعيد

السيرافى اعلم ان عدل فُعَل عن فاعل وفَعَالِ عن فاعلة معنى مفهوم فى كلامهم يريدون به التوكيد والمبالغة وذلك قولهم فى النداء يافُسَق ويافَسَاقِ للانثى وياخُبَث وياخَبَاث وياغُدَر وياغَدَارِ يؤكدون فيها الخُبْث والفِسْق والغَدْر وهى أسماء معارف بالنداء وكذلك يعدلون فى الاسماء الاعلام فيقولون عُمَر وزُفَر وقُثَم وجُشَم وما أشبه ذلك للذكر وحَذَامِ وقَطَامِ ورَقَاشِ ومأأشبه ذلك الى أن قال فاذا نكّرته فزال التعريف انصرف لانه لم يبق الا العدل وان صغّرته زال، عن لفظ العدل وساوى تصغير عمرو فساوى ماليس بمعدول وقد كان يجوز أن يصغّر عامر على عُمَير باسقاط الزائد من غير عدل فأبطل التصغير مذهبَ العدل ولم يكن المصغر معدولا عن مصغر فيجتمع فيه فى حال التصغير العدل والتعريف وسمّى سيبويه المعدول محدودا لان المحدود عن الشئ هو الممنوع والمعدول عنه فى نحو معناه وانما قال هذا قول الخليل يريد أن الخليل ذكره وشرحه على الترتيب الذى جاء به ولم يُرِد أن له مُخَالِفا خالَفَه قال سيبويه وسألْتُه أى الخليل عن جُمَع وكُتَع فقال هما معرفة بمنزلة كُلِّهم وهما معدولتان عن جَمْع جَمْعاء وجَمْع كَتْعاء اه ببعض اختصار وقال الرضى على قول ابن الحاجب فالعدل خروجه عن صيغته الاصلية تحقيقا كثُلاث ومَثلث وأُخَر وجُمَع أو تقديرا كعُمَر وباب قَطَامِ فى تميم مانصه العدل اخراج الاسم عن صيغته الاصلية بغير القلب لا للتخفيف ولا للالحاق ولا لمعنى فقولنا بغير القلب ليخرج نحو أَيِسَ فى يَئِسَ وقولنا ولا للتخفيف احتراز عن نحو مَقَام ومَقُول ونَخْذ وعُنْق وقولنا ولا للالحاق ليخرج نحو كَوْثر وقولنا ولا لمعنى ليخرج نحو رُجَيل ورجال ويعنى بالعدل المحقق ماله دليل غير المنع من الصرف بحيث لو وجد منصرفا لكان هناك طريق الى معرفة كونه معدولا بخلاف العدل المقدّر فانه الذى يُصار اليه لضرورة وِجدان الاسم غير مُنصرف وتعذرِ سبب آخر غير العدل فان عُمَر مثلا لو وجدناه منصرفا لم نحكم قطّ بعدله عن عامر بل كان كأُدَد وأما ثُلاث ومَثلث فقد قام دليل على انهما معدولان عن ثلاثة ثلاثة وذلك انا وجدنا ثلاث وثلاثة ثلاثة بمعنى واحد وفائدتهما تقسيم أمر ذى أجزاء على هذا العدد المعيّن ولفظ المقسوم عليه فى غير لفظ العدد مكرّر على الاطراد فى كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزءا جزءا وجاءنى القوم رجلا

رجلا وأبصرت العراق بلدا بلدا فكان القياس فى باب العدد أيضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيــه بالأعم الاغلب فلمّا وُجد ثُلاث غير مكرر لفظا حُكِم بأن أصله لفظ مكرر ولم يأت لفظ مكرر بمعنى ثُلَاث الا ثلاثة ثلاثة فقيل انه أصله اه وأما صَرْفُه فى الشعر فللضرورة فهو كمنع المصروف فى قوله

فما كان حِصْنٌ ولا حابس * يفوقانِ مِرْداسَ فى مَجْمَعِ

وقد جاء فُعَل هذا ممنوعا فى الشعر كثيرا قالت الخنساء

مَعَاذ الله يرضـــعنى حبَرْكَى * قصير الشِبْر من جُشَمَ بن بكر

أو يرصعنى بالصاد المهملة أو ينكحنى أو فلست بمرضع ثديى الخ

وقال آخر لولا بنو جشمَ بن بكر فيكم * كانت خيامكم بغير قبـاب

وقال غيره الى عمــر بن أبى عبقــة * بيليل يهدى ربحلا رجوفا

وقال القُطامى

ياناق خُـــبِّى خَبَبا زِوَرّا * وقَلِّبى منسِـمك المُغْــبَرّا

وعارِضِى الليل اذاما اخضرّا * أخبَرَكِ السـائحُ حين مرّا

أنْسوف تَلْقَينَ جوادا حُرّا * سَـيِّدَ قيس زُفَرَ الأغرا

ذاك الذى بايَعَ ثم بــرّا * ونَقَض الاِباء واستمـــرا

قد نفــع الله به وضـــرّا * وكان فى الحرب شهابا مرّا

قوله الى عمر الخ كذا نقلته من شرح القاموس فى مستدرك (رج ف) صفحة ١١٣ من الجــزء السادس ثم راجعت ذلك فوضح لى أنه تصحيف وانه من قصـيدة لصخر الغَىّ أخى حبيب الأعلم من شعراء الهُذَليين لا لأبى صخر كما فى الشرح وأن صوابه الى عَمَرَيْنِ الى غَيْقَةَ فَيَلْيَلَ الخ من قصيدة مطلعها

لِشَمَّاءَ بعد شـتات النوى * وقدبتُّ أَخْيَلْتُ بَرْقا وَلِيفا

أَجَشَّ رِبَحْلا له هَيــدَب * يكشِّف للخَال رَيْطا كَثيفا

الى أن قال فلما رأى العَمْقَ قُدَّامَــه * ولمـا رأى عَمَــرا والمُنيفا

أسال من الليـــل أشجانه * كأن ظواهره كنَّ جُوفا

كما ذكره ياقوت والسكرى فى شرحه لأشعار الهذليين ولا يحصى ما فى اللسان والقاموس وشرحه وجميع كتب اللغة من التصريح بعدل عمر عن عامر وقياس زفر ودلف ومضر وغُبَر وجُشَم ونحوها عليه وقال حاتم

فليت شعرى وليتٌ غير مُدركة * لاىّ حال بها أضحى بنو ثُعَلا

وقال الجعدى

فهاجها بعد ما رِيعت اخو قَنَص * عار الاشاجع من نَبهانَ أو ثُعَلا

وقال الاخطل

تنزو النعاج عليها وهى باركة * تحكى عطاء سُوَيد من بنى غُبَرا

وقال القُطامى

* جرتكم يابنى جُشَمَ الجوازى *

وقال ذو الرمة فى عمر بن هبيرة

أقول للركْب اذ مالت عمائمهم * شارفتمُ نفحاتِ الجود من عُمَرا

الى أن قال

مازلتَ فى درجات الامر مرتقيا * تنمى وتسمو بك الفُرْعانُ من مضرا

وقال جرير فى عمر بن عبد العزيز وعزاه فى التاج واللسان للفرزدق

أشبهت من عُمَرَ الفاروق سيرتَه * فاق البرية وأتمّت به الأمم

وفى الكامل قاد البرية الخ وقال الكميت

أهوى عليا أمير المؤمنين ولا * أرضى بسب أبى بكر ولا عمرا

وقال آخر

لا تُلبِسنّ أبا عمران حُجّتَه * ولا تكونَنْ له عونا على عمرا

وقال الفرزدق فى عمر بن عبيد الله

ان الارامل والايتام اذ هلكوا * والخيل اذ هُزِمَت تبكى على عمرا

الى أن قال

لقد رزئتم بنى تيم وغيركم * على نوائبها الخيرين من مضرا

وقال يمدح بشر بن مروان

كُنَّا أناسا بنا اللأْواء فانفرجت * عن مثل مروان بالمصرين أو عمرا

قال شارحه هذا مقلوب والمعنى انفرجت بمثل مروان أو عمر بن الخطاب عن المصرين

وقال الفرزدق أيضا

طاروا شَعاعا وما سلّوا سيوفَهم * وغادروا فى جُواثا سيدى مضرا

وقال فرع تفرع فى الأعياص منصبه * والعامِرَين له العِزّين من مضرا

وقال آخر * ومن مضرَ الحمراءِ إشراق أنفس *

وقال فلا تُضِع حَقّ قحطان فتُغضبها * ولا ربيعـــة كلّا ولا مضرا

وقال جادت بها عند الوداع يمينُـــه * كِلْتا يدَى عمرَ الغـــداةَ يمين

وما أحسن قول أبى جعفر الفارقى فى اجازة

أجاز لهم عُمَـــرُ الشافعىّ * جميعَ الذى سَأَلَ المستجيز

ولم يشـــترط غير ما فى اسمه * عليهـــم وذلك شرط وجيز

يعنى المعرفة والعـــدل وفى البخارى وجميع كتب السـنة ذكر عمر العلم ممنوعا دائمـا مخفوضا بالفتحة حالة الجرّ نُعت بابن الخطاب أو لم ينعت كقوله صـلى الله عليه وسـلم كما فى البخارى ورأيت قَصْرا بفِنائه جارية فقلت لمن هـذا فقالت لعمرَ وقوله صلى الله عليه وسـلم كما صححه الترمذى انى لأنظر الى شياطين الانس والجن قد فَرّوا من عمرَ الى مالا يحصى من الاحاديث الصحيحة متنا وســندا وهكذا تلقته الأمة خلفا عن سلف وكذا الائمة الى الآن وتتلقاه الى آخر الزمن بالقبول والتسليم وقد أسلفنا فى المقصد الثامن أن الصواب جواز استشهاد النحوى بالحديث الشريف وما روى عن الصحابة وأهـل البيت كما فعل الرضى فليراجع وبعـد فلم نذكر هذه الشواهد الا مجاراة والا فالشعر وحده ليس بحجة كما أسلفنا وبالجملة فالائمة الثقات الذين شافهوا العرب قد أجمعوا على منع عمر وأمثاله كما سمعوا من العرب نثرا ونظما ومعلوم أن زيادة الواو فى عمرو للتفرقة بينهما قديمة العهد فى الصدر الاول والاشعار العربية ملأى بذلك وهؤلاء الائمة هم الذين نقلوا الينا علوم هذا اللسان المبنى عليه الدين القويم كما نقلوا الينا كون الاصل فى الاسمـاء كذا وغير

ذلك وهم ثقات عدول فتخطئتهم فيما أجمعوا عليه وتلقته بعدهم علماء الامة بالتسليم منذ قرون عديدة تجرّ الى الطعن فى الدين والعياذ بالله تعالى اذ الاساس انما هو السماع فلا مجال للرأى ولو نوزع فى التماس علة العدل لكان ثمة نوع شُبهة لان المنع مقطوع به بالسماع غايته أنهم التمسوا العدل لتكوين علة أخرى مع العلمية ولما لم يمكن اعتبار علة أخرى سوى العدل حكموا به حتى إنهم لما أمكن لهم التماس سواه التمسوه ألا تراهم منعوا طُوَى للعلمية والتأنيث ولم يلتجؤا فيها الى العدل اذ لم تُعْوزهم الحاجة اليه والحاصل أنه لاطريق للعلم بهذا النوع أى المعدول تقديرا سوى سماعه غيرَ مصروف مع علة العلمية فقط فيقدّر فيه العدل لئلا يترتب المنع على علة واحدة فلو سمع مصروفا لم يحكم بعدله كأدَد فان الامام الجوهرى الذى شافه العرب العاربة ذكر أن العرب صرفوه وجعلوه بمنزلة ثُقَب ولم يجعلوه بمنزلة عُمَرَ هذا لفظه وهو صريح فى ابطال توهم أنه منقول عن جمع عمرة وكذا غير العلم من اسم الجنس كنُغَر وصُرَد والصفة كحُطَم ولُبَد والمصدر كهُدًى وتُقًى والجمع كغُرَف ونُجَم وعُمَر جمع عُمْرة فكل ذلك غير معدول وكذا لو وجد له مع العلمية علة غير العدل كطُوَى بخلاف العدل فى نحو جُمَع وسَحَر وأُخَر ومَثْنى فانه تحقيق يدل عليه ورود اللفظ على خلاف مايستحقه مع اتحاد المعنى وبالجملة فقد أوسعنا فى البديهيات وتوضيح الواضحات من المشكلات فأما ورود عُمَر تارة مصروفا فى الشعر وكون الاصل فى الاسماء الصرف فجوابه أن الشعر ضرورة كمنع المصروف بقطع النظر عن كونها ماوقع فيه مطلقا أو بمَنْدحة والائمة لم يستدلوا على المنع بالشعر لما تقرر أنه بمجرّده لا تثبت به قواعد العربية بل انما تثبت بالكلام فان وافقه الشعر فذاك والا عُدّ ضرورة انظر كلام الشاطبى فيما أسلفناه فى المقصد الثامن من مقدّمة المواهب وما قالوه فى صرف سبأ ومنعه فى القرآن الكريم والشعر من أنه لولا شهرة الوجهين فى الكلام وقد أتت بهما القراءة ما كان فى صرفه فى الشعر حجة اه بل استدلوا بمشافهة العرب نثرا كما تقدّم وأما كون الاصل فى الاسماء الصرف فلا يقتضى أن جميعها مصروف لان الاصل فيها الاعراب أيضا مع كثرة مبنياتها والاصل فى الافعال البناء مع كثرة معرباتها أى افرادها المعربة مع أن هذه اللفظة أى لفظة الاصل تنادى بأن ثمة خارجا عنه فضلا عن أن هؤلاء الائمة الذين

نقـلوا الينـا المنع هم الذين نقلوا الينا أن الاصـل فى الاسمـاء كذا ونحو ذلك وأما قول الشاعر

ياأيها الزارى على عُمَرٍ * قد قلت فيه غير ماتعلم

فخصوص هذا البيت محتمل لكونه من السريع الاصلم أو الكامل الاحذّ المضمر وعلى كل منهما يتعين عمرو بفتح العين وعدم ثبوت الواو أمامه لايدل على أنه عمر بضم العين لما تقرر أن شرط زيادة تلك الواو فى عمرو عدم تعينه بنحو القافيـة ويحتمل أن يكون من الكامل الأحَذّ غير المضمر وعليه يتعين عمر بضم العين وحينئذ يكون صرفه للضرورة وقد وقع ذلك فيه وفى غيره كثيرا والمدار فى تعين أحد الاحتمالين انمـا هو الاطلاع على أبيات القصيدة وهـذا البيت مثّل به بعضهم لضرب آخر أصلم أثبتـه لعروض السريع الثانية وهى المخبولة المكسوفة لكن ذهب بعضهم الى أنه نفس ضربها المماثل لها غير أنه دخله الاضمـار كما دخل العروض الثانية للكامل وهى الحَذّاء فلا يختص الاضمـار ببحر الكامل وهذا الكلام بالنسبة لمجرد البيت المذكور وهو معنى قولنا خصوصه والا فهومقول فى عمر بضم العين ابن عبيـد الله خطابا لبعض الخوارج حين عابه بالجبن وكان قد ولاه مُصْعَب قتالَهم بعد المُهَلَّب وهو بعينه الذى يقول الفرزدق فى رثائه

إن الارامل والايتام اذ هلكوا * والخيل اذهُزِمت تبكى على عمرا كماسبق

وبالجملة فعدل عمر وأمثاله معلوم ضرورى ولذا كانت كلماتنـا هذه جديرة أن نسمّيها الآيات الكُبَر على عدل عُمَر ولولا شدّة الرغبة وكثرة الطلب من نجباء تلاميذى الفضلاء طلبة دار العلوم لمـا خططت فى ذلك المقام حرفا ويعجبنى فى مثل هـذا المقام قول ابن جِنّى رَدًّا على المبّرد فى اعتراضه على الكتاب بدعوى مخالفة الرواية مانصه فكأنه أى المبرد قال لسيبويه كذبت على العرب ولم تسمع ماحكيته عنهم واذا بلغ الامرُ هـذا الحدَّ من السَّرَف فقد سقطت كلفة القول معه وما أطيب العروس لولا النفقة اهـ أما ماأنشـده سيبويه من قول الشاعر قد لَفَّها الليل الخ فقد ذكره المبرد فى كامله حيث قال وحدثنى التوَّزىّ فى اسـناد ذكره آخره عبدالملك بن عمر الليثى قال بينما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئـذ ذوو حال حسـنة يخرج الرجل فى العشرة والعشرين من

مواليه اذ أتى آت فقال هـــذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق فاذا به قد دخل المسجد مُعْتَمّاً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكّبا قوسا يؤمّ المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هــذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمى ألا أحصِبُه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض ثم قال

أنا ابن جلا وطَلّاع الثنايا ＊ متى أضع العمامة تعرفونى

ثم قال يا أهل الكوفة إنى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قِطَافها وإنى لَصاحِبُها وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللِّحَى ثم قال (ويروى الشعر لابى زَعْنَة الصحابى أو لرشـيد ابن رميض العَنْزِى بنون وزاى وتصغير الاولين. ويقال رميص بالصاد المهملة وبه يعلم ما فى كامل المبرد واللسان من التصحيف هنا)

هذا أوان الشدّ فاشتدّى زِيَمْ ＊ قد لفّها الليلُ بسـوّاقٍ حُطَمْ
ليس براعى إبل ولا غـنم ＊ ولا بجَـزّار على ظَهـر وَضَمْ

ثم قال　قد لفهـا الليـل بعَصْـلَبِىّ ＊ أَرْوعَ خَرّاج من الدّوِىّ
＊ مُهاجِرٍ ليس بأَعْرابىّ ＊

وقال　قد شَمّرت عن ساقها فشُدّوا ＊ وجدّت الحـربُ بكم فجِدّوا
والقَـوْسُ فيهـا وَتَرٌ عُرُدّ ＊ مِثْـلُ ذراعُ البَكر أو أشـدّ
＊ لا بدّ ممـا ليس منه بدّ ＊

انى والله يا أهل العراق ما يُقعقَع لى بالشِنان ولا يُغمز جانبى كتغماز التين ولقد فُرِرت عن ذَكَاء وفُتّشت عن تجربة وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نَثَر كِنانتَه بين يديه فعجَم عيـدانَها فوجدنى أمرَّها عُودا وأصلبَها مَكْسرا فرماكم بى لانكم طالمـا أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضـلال والله لأحْزِمنّكم حزم السَلِمة ولاضربنّكم ضرب غرائب الابل فانكم لَكَأَهْـل قريةٍ كانت آمنةً مطمئنة يأتيها رزقُها رغدا من كل مكان فكَفَرتْ بأنْعُمِ الله فأذاقَها اللهُ لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وانّى والله ما أقول الا أوفيتُ ولا أَهُمّ الا أمضيت ولا أخلُق الا فَرَيت وان أمير المؤمنـين أمرنى باعطائكم أعْطِياتِكم

وأَن أُوَجّهكم لمحاربة عدوّكم مع المُهَلّب بن أبي صُفْرة وانّى أُقسِم بالله لاأجد رجلا بعـد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عبدالملك أمير المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد منهم شيئًا فقال الحجاج أكفف ياغلام ثم أقبل على الناس فقال أَسَلّم عليكم أمير المؤمنين فلم تردّوا عليه شيئًا هذا أدبُ ابن نِهْيَة أَمَا والله لأؤدّبنّكم غير هذا الادب أو لتستقيمُنّ اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سـلام عليكم لم يبق فى المسجد أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شـيخ يرعَش كِبَرا فقال أيها الامير انى من الضعف على ماترى ولى ابْنٌ هو أقوى على الاسفار منى فتقبله بدلا منى فقال الحجاج نفعل أيهـا الشيخ فلما ولّى قال له قائل أتدرى من هـــذا أيها الأمير قال لا قال هـذا عُمير بن ضابئ البُرْجُمى الذى يقول أبوه

همت ولم أفعل وكدتُ وليتَنى ٭ تركتُ على عثمان تبكِى حَلَائِلُهْ

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطئ بطنه فكسر ضِلَعين من أضلاعه فقال رُدّوه فلما رُدّ قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثتَ الى أمير المؤمنين عثمان بَدَلا يومَ الدار انّ فى قتلك أيها الشيخ لصلاحا للسلمين ياحَرسِىّ اضْرِبًا عنقه فجعل الرجل يضيق عليـه أمرُه فيرتحل ويأمر وليّه أن يلحقه بزاده اه ولِقَوْلِنا فيما أنشدناه من الشواهد

٭ جادت بها عنـد الوداع يمينه ٭ البيت . نكتة أدبيـــة ذكرها الامام ابن الشجرى فى أماليه لابأس بذكرها هنا قال رضى الله تعالى عنه وهِمَ أبو زكريا فى بيتٍ لأبى نُوَاس حَمَل عليه بيتا لأبى الطيب وذلك قول أبى الطيب

يامن لجـــود يديه فى أمواله ٭ نِقَم تَعُـود على اليتـامَى أنعما
حتى يقولَ الناس ماذا عاقلا ٭ ويقول بيت المال ماذا مُسْلِما

قال أبو زكرياء عظّم الممدوح تعظيما وجب معـه أن لايكون خاطبه بقوله حتى يقول الناس الخ وانما تبع فى ذلك الحَكَمِىّ فى قوله

جاد بالاموال حتى ٭ قيل ماهذا صحيح

يجوز أن يكون أبو الطيب ظن أن أبا نواس أراد بقوله ماهذا صحيح العقل ولعله لم يُرد ذلك وانما أراد ماهذا الفعل صحيح اه كلامه وأقول ان أبا نواس لم يرد الا ماذهب اليه المتنبي لانّ أبا نواس قد صرّح بهذا المعنى فى قصيدة أخرى وأتى بلفظة أقبح من قوله ماهذا صحيح فقال

جُدت بالاموال حتى * حسِبوه الناس حُمْقا

وتبعه فى ذلك أبو تمام فقال

مازال يَهْذِى بالمكارم والنَدَى * حتى ظننا أنه محموم

والاصل فى هذا قول اعرابىّ

حمراء تامكة السنام كأنها * جَمَل بهَوْدَج أهله مظعون

جادت بها البيت

ما كان يُعطِى مِثْلَها فى مِثْله * إلّا كريمُ الخِيم أو مجنون

وقال والهاء فى مثله تعود على الوادع اه فما أسلم ذوق الاعراب

« لَمْ تَرَ أرضا ولم تَسْمع بساكنها * إلّا بِها مِن نوادِى وقْعه أَثَر »

النوادى جمع نادية أوائل الشئ والوقع النزول

« وليس فيه اذا استنظرتَه عَجَل * وليس فيه اذا ياسرته عَسَر »

استنظره طلب منه النظِرة بكسر الظاء وهى التأخير فى الامر وياسَرَه لَاينَهَ من اليسر بالفتح ويحرّك وهو اللين والانقياد والفعل كضرب أما اليسر بالضم و بضمتين فهو السهولة والغنى وضدّه العسر بالضم وبضمتين وبالتحريك وكل ثلاثى من الاسماء مضموم الاوّل ساكن الوسط يجوز تثقيله بالضمتين وتخفيف مضمومهما بتسكين الثانى كالعُسْر والرُّحْم والحُلْم والرُّسْل والكُتب يَصِفُه بحسن الوفاء وصدق العهد وانك اذا طلبت امهاله أمهلك وان لاينْتَه لان لك

« وان يُصِبك عدوّ فى مناوأة * يوما فقد كنت تستعلى وتنتصِر »

المناوأة المعاداة وقيل المحاربة يقول اذا أصابك عدوك فكثيرا ما كنت تستعلى فوقه بالظفرَ وتنتصر عليه

« مَن ليس فى خيره مَنٌّ يكدِّره ۞ على الصديق ولا فى صفوه كَدَر »

يصفه بكمال المروءة وعلو الهمة وصدق الاخاء وأن أصدقاءه تنال من خيره ولا يكدره عليهم بالمنّ كما أن صفاء وَدَادته لايشوبها كدر

« أخو شُروب ومِكْسابٌ اذا عَدِموا ۞ وفى المخـافة منه الجِـدّ والحَذَر »

الشروب بالضم جمع شَرْب بالفتح للقوم يشربون وهو جمع شارب كصَحْب وصاحب والمكساب مبالغـة كاسب والعدم الفقر وفعله كفرح والجد بالكسر اسم من جدّ يجدّ من بابى ضرب وقتل أى اجتهد وسبق لك معنى الأخ فى مثل ماهنا فان كان المراد بالشروب شاربى المـاء ويُحمَل على الاستقاء لارض أو ماشـية وهو الاستجازة فهو من المهمات لديهم اذ لايتمكّن منه بدون مزاحمة الاّ أبطالهم أما سواهم فكثيرا مايُعوَّرون قال الفرزدق

متى تَرِدَن يوما سَفارِ تجدْ به ۞ أُديهِمَ يَروِى المستجيز المُعَوَّرا

المستجيز طالب الماء لأرض أو ماشية والمعوّر بشدّ الواو على صيغة المفعول من قولك عوّرته عن الامر صرفته عنه قال أبو عبيدة يقال للمستجيز الذى يطلب المـاء اذا لم يُسقَه قد عُوِّر وسفار كحذام اسم بئر لبنى مازن بن مالك وأديهم تصغـير أدهم أى أسود وذكر السيوطى انه رجل من أخبث الشعراء وان كان المراد بالشروب شاربى الخمر فكذلك لان من يشربها منهم انما كان يشربها لاستثارة السخاء وقَدْح زَند الجود وأشعارهم ملأى بهذا المعنى هـذا كله على رواية شروب وروى بدله حروب والمعنى ظاهر على ذلك يقول انه مع كونه بطلا يحمى ذِماره فهو مكساب اذا افتقر غيره أى لايصدّه ذلك عن الكسب ولا الكسب عن ذلك ولا كلاهما عن الجدّ والحذر فى الحرب أى انه فيها مجتهد حاذورة أى متيقظ محترز ولك أن تجعله من التجريد بتقدير مضاف قبـل الجد أى ويوجد فى الخوف منـه ذو الجد الخ أو هو نفس الجد والحذر مبالغة ومآل المعـنى واحد غير أن التجريد أبلغ

« مِرْدَى حروب ونُورٌ يُستَضاء به ۞ كما أضاء سَـوَادَ الظلمة القَمَرُ »

أصل المردى بكسر الميم حجر يرمى به ويقال للشجاع انه لمردى حروب أى يقذف فيها

« مهفهف أهضم الكَشحين منخرِق ۞ عنـه القميصُ لسير الليل محتقِر »

المهفف الدقيق الخصر والاهضم المنضم الجنبين والكشح مابين الخاصرة الى الضِلَع الخَلْف ورجل منخرق السِرْبال اذا طال سَفَره فتشققت ثيابه ولسير الليل متعلق بمحتقر

« طاوِى المَصِير على العَزّاء منجرد * بالقوم ليـلةَ لاماء ولا شجــر »

الطَّوَى الجوع وفعله كفرح فان تعمّد الجوعَ فالفعل كرمى والمصير المِعَى الرقيق وجمعه مُصران جج مصارين والعزّاء الشدة والمنجرد المتشمّر

« لايُصعِب الاَمْرَ الا رَيْثَ يركبه * وكلَّ أمرٍ سوى الفحشاءِ يأتمر »

أصعب الامر وجده صعبا وكل مفعول مقدم ليأتمر وهذا البيت مكرر فى لسان العرب فى مادتى (رىث) و (صعب) ومقتضى ماذكره فيه ان المعنى لايجد الامر صعبا الّا قَدْرَ ركوبه وفى نفسى شئ من ذلك لان المقام يقتضى أن المعنى لايجد الصعب صعبا بحـال من الاحوال ولا قدر ركوبه وأرى والله تعـالى أعلم أن المعنى ليس على تقدير ما أوْ أَنْ بل ان الرَّيْث كأصله بمعنى البُطء والمراد أنه لايجد الامر صعبا لكن بطء ركوبه اياه هو الصعب فتأمله والريث البطء والمقـدار يقـال ريثما وريث أن وتستعمل بدونهما كما فى البيت ويقول الحجازيون يريد يفعل أى أن يفعل ووقع فى النهاية تحريف فى هـذا البيت والصواب ماذكرنا ثم بعد كتب ذلك رأيت البيت فى أمالى الشريف ابن الشجرى وقال بعده مانصه أى لايجده صعبا كقول عمرو بن معدى كرب لبنى الحرث بن كعب لقد قاتلناكم فما أجْبنّاكم وسألناكم فمـا أبخلناكم وهاجيناكم فمـا أفحمناكم أى ماوجدناكم جُبَناء ولا بخلاء ولا مُفحَمين أى لايجد الامر صعبا الا وقت ابطـاء ركوبه اياه اهـ بحروفه فالحمد لله تعالى

« لايهتِك السِّترَ عن أُنثى يطالعها * ولا يُشَـدّ الى جاراته النظر »

« لايَتَأَرّى لمـا فى القِدْر يرقُبـه * ولا يَعَضّ على شرسوفه الصَّفَر »

أى لايرقب نُضْج مافى القدر لانـ همته ليست فى المطعم والمشرب والصفر تزعم الجاهليـة أنه حية فى البطن تؤذى الانسان اذا جاع فأبطل ذلك الاسـلام وقيل أراد صلى الله عليه وسلم نسيئهم المحرم الى صفر ولم يرد الشاعر بهذا الكلام ان فى جوفه صفرا لايَعضّ بل مراده أن لاصفر فيعض وبيان ذلك انه اذا ورد النفى على موصوف بصفة

فانما يتسلط على تلك الصفة نحو لا رجل قائم أى لا قيام من رجل ومفهومه وجود ذلك الرجل قالوا ولا يتســلط النفى على الذات الموصوفة لان الذوات لاتُنْفَى وقوله تعالى (ان الله يعلـم مايدعون من دونه من شئ) المعنى من شئ نافع أو مستحق للعبادة ولما انتفت هـذه الصفة وهى الثمرة المقصودة ساغ وقوع النفى على الموصوف وهذه الطريقة هى الاكثر فى كلامهم ولهم طريقــة أخرى وهى نفى الموصوف فينتفى الوصف بانتفائه فمعنى لا رجل قائم لا رجل موجود فلا قيام منه ونحو * على لاحب لايُهتدَى بمناره * أى لامَنَار فلا هداية واللاحب الطريق الواضح وقوله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى لاشافع فلا شفاعة منــه بغير عَمَدٍ تَرَوْنَها أى لاعمد فلا رؤية لايسألون الناس الحافا أى لاسؤال فلا الحاف

« لايغمز الساقَ من أَيْنٍ ولاوَصَبٍ * ولا يزال أمامَ القــوم يُقتفَر »

الاين الاعياء والوصب الوجع والاقتفار بتقديم القاف الاقتفاء وهو اتباع الآثار

« لايأمن الناسُ مُمساه ومُصْبَحه * فى كل فَجٍّ وان لم يَغــزُ يُنْتَظَر »

« تكفيــه حُزّةُ فِلْذانٍ أَلَمّ بهــا * من الشِواء ويُروى شُربَه الغُمَر »

الحزة بضم الحاء قطعة لحم قطعت طولا والفلذان جمع فلذة بكسر الفاء فيهما قطعة من اللحم والكبد والغمر كصرد قَدَح صغير لايُروِى

« لاتأمن البــازلُ الكَوماء عَدْوتَه * ولا الأَمونُ اذا مااخروّطَ السَفَر »

البازل البعير والناقة فى السنة التاسعة والكوماء العظيمة السنام والعدوة التعدّى والامون الناقة الوثيقة الخلق واخروّط امتدّ وطال

« كأنه بعد صدق القوم أنفسَهم * باليــأس تلمع من قدّامه البُشُر »

البشر بضمتين جمع بشير يقول اذا يئس القوم من الخلاص فى الحروب أو الشدائد فكأنه لثقته بنفسه قدّامَه بشير بالظَفَر فهو متهلل الوجه قالوا ولا يُعلم بيت فى يُمْن النقيبة وبركة الطلعة أيمن من هذا

« لايُعجِل القوم أَن تَغلِي مراجلُهم * ويدلج الليلَ حتى يفسحَ البصر »

يفسح أى يجد متسعا من الصبح

« عشنا به حِقْبَــة حَيًّــا ففارقنا * كذلك الرُّمْح ذو النَصْلَين ينكسر »

الحقبة بالكسر مدّة لاوقت لها والنصلان السـنان وهى الحديدة العليا من الرمح والزُّجّ وهى السفلى منه ويقال لهما الزُّجّان أيضا

« فان جزِعنا فقد هَدّت مُصَابَتُنا * وان صَـبَرنا فانا معشر صُــبُر »

مفعول هدّت محذوف أى قُوَانا والصبر بضمتين جمع صبور

« أَصَبْتَ فى حَرَم مِنّــا أَخَا ثقــة * هندُ بن أسمـاء لايهْنا لك الظَّفَر »

هند قاتل المنتشر وأراد بالحرم ذا الخَلَصة

« لولم تَخُنْه نُفَيــل وهى خائنـــة * لصبَّح القومَ وِرْدًا ماله صَــدَر »

« وأَقْبَلَ الخيلَ من تثليث مُصغِيَة * وضَمّ أعينَها رَغْـوانُ أو حَضَر »

أقبلتُه الشئَ جعلته يلى قُبالَته قال * ولأُقْبِلَنّ الخيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ * ومصغيَة مائلة نحوهم ورغوان وحضر موضعان

« اذا سلكتَ سبيلا أنت سالكُه * فاذهبْ فلا يُبْعِدَنْك اللهُ منتشِر »

مقصورة ابن دريد وشرحها وهى العــاشرة

ابن دريد هو محمد بن الحسن بن دريد وهو من الدرَد أى ذهاب الاسـنان صُغّر تصغير ترخيم لادرد ينتهى نسبه الى قحطان عربىّ صميم بصرىّ المولد والاشتغال شافعىّ المذهب من أكابر العلماء مقدّم فى النسب واللغة والشعر وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقرأهم للشعر تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق الى اتمامها وانتهت اليه لغة البصريين حتى قيل انه أعلم الشعراء وأشعر العلماء ولد سـنة ثلاث وعشرين ومائتين وهو مع علوّ شأنه لم يسلم من الالسن وكان يرمَى بالشرب غير أنه تاب ومما يدلّ على توبته ماحكاه ابن خالَوَيْه من أنه حضر عنـده وقد ناوله أبو الفوارس غلامه باقة نرجس فقال يابنىّ ماأصنع بهذا اليوم وأنشد

صبا ماصبا حتى علا الشيبُ رأسَه * فلمـا علاه قال للباطـل ابعُـد

وتوفي سنة احدى وعشرين وثلثمائة ببغداد يوم مات عبدالسلام الجُبّائى فقيل مات علم اللغة والكلام جميعا ورثاه جحظة البرمكى المتوفى سنة ٣٢٦ بقوله

فقـدت بابن دريد كل فائدة * لمـا غدا ثالث الاحجـار والتُّرَب

وكنت أبكى لفقـد الجود منفردا * فصرت أبكى لفقد الجود والأدب

والمقصورة من بحر الرجز الذى تفاعيله مستفعلن ست مرات ورويّهـا الألف على رأى من أجاز ذلك قال الاسـنوى اذا كانت الالف أصلية أو بدل أصل أو للتأنيث أو للالحـاق فالاحسن جعلها وصـلا ويجوز أن تكون رويا ومنـه مقصورة ابن دريد المعروفة اه وكلمات قوافيها ان كانت ثلاثية أسماء أو أفعالا ولامها واوٌ رُسمت ألفـا نحو دعا والعصا أو ياءٌ فباليـاء نحو هَدَى وهُدَى أما لو زادت عن الثلاثة فانها ترسم باليـاء ولو كانت من ذوات الواو مراعاة لتثنيتها الا ما كان آخره ياء من الاسمـاء فبالألف كالدنيا والعليا والقصيا سوى يحيي العلم فبالياء ومثله مايلزم من كتابته بالالف اجتماع ألفين نحو شَأَى مع أنه من الشأو كما رسم ما كان على يفعَل من اليـائى بالألف كراهة اجتماع ياءين نحو يعيا ويحيا وان كان حرفا فالياء على أن المختار فى المقصورة المشتملة على مثـل ذلك رسمها بالألف مطلقا لتستوى القوافى فى الصورة الخطية بل اختار قوم كتابة الباب كله بالالف وقد مدح ابن دريد بهذه القصـيدة الشاه وأخاه أبا العباس اسمـاعيل ابنى ميكال فى خلافة المقتدر العباسى وقد اعتنى بشرحها جملة من المتقدّمين والمتأخرين وقال ابن خلكان انه مدح بها الشاه بن ميكال وولديه وهما عبـدالله بن محمد بن ميكال وولده أبو العباس اسمـاعيل بن عبدالله ومن أجود شروحها شرح ابن هشام اللخمى المتوفى فى حدود سنة ٥٧٠ اه وهو مما استعنت به على شرحها غير أن نسخته التى عثرت عليها سقيمة جدّا غاية فى الخطأ والتحريف وتفوقها فى ذلك نسخة من شرح الطـبرى المكى ولم يذكره فى كشف الظنون وهو شرح نفيس لولا ماذكر وبالله المستعان

« إمّا تَرَىْ رأسِىَ حاكَى لونُه * طُرّةَ صبح تحت أذيال الدجا »

اسـتغنى عن تقدّم ذكر المخاطب بمـا يدل عليه من تاء الخطاب وتكلف الكمال ابن الانبارى أبياتا جعلها مطلعا لها وهى

شَرّد عن عينى الكرا طيفُ سرا * من أمّ عمرو فى غياهيب الدجا
زار وِسادى والزمان عاكف * وأنجم الليل مديرات الطِلا
أهلا بشخص مارأيت مثلَه * فى يقظة تزهو بنا طول المدا
اذ نحن نزهو والزمان مولع * بأعين الغيد واجياد الظبا
خوامص مثل المَهَا نواهد * خُمْص البطون عاليات المنتها
والغانيات لايُرِدن مَن بَدَا * فى عارضيه الشيبُ لو رام الصبا
لما رأت شيبىَ عمّ مَفْرِقى * قالت غُبار ياخليلى ماأرا
ولم تزل تمسحه بِمِرْطها * والقلبُ ما بين إياس ورجا
قلت لها موعظة لعلها * تعِى صروف مارأت بى قد علا
ياظبية أشبه شئ بالمها * راتعة بين الهضيم والحشا

ويروى بين السدير واللوى وفى رواية ترعى الخزامى بين أشجار النقا وبعضهم ينسب هذا البيت للناظم وعليه بعض الشارحين وإما مركبة من إن الشرطية الجازمة وما الزائدة وجوابها قوله بعدُ فكُلٌّ مالاقيتُه الخ والاقرب انّ رأَى هنا بَصَرية ورَأْسِى المفعول أوعِلْمية ومفعولها الثانى جملة حاكى لونه أى شابَه شعرُه فى الصفة بما ظهر فيه من الشيب الممتزج بما هو باق على اسوداده طُرَّةَ أى أوّل الصبح الذى لم ينسلخ عن الظلمة بالكلية وذيلُ كل شئ أَسْفَلُه والدجى الظُلْمة وجمع دُجْية وهى الظلمة وتشبيه الصبح والدجى بذى طُرّة وذى ذَيْل استعارة مكنية واثبات الطرة والاذيال استعارة تخييلية واطلاق اللون على الشعر مجاز مرسل ومحاكاة الشيب لاول الصبح تشبيه جامعه عدم التمحض فان جعل اللون مفعولا لِحاكَى صحّ وكان تشبيها مقلوبا كقوله

وبدا الصباح كانّ غرّته * وجه الخليفة حين يمتدح

فيكون فيه مبالغة والجمع بين الطرة والاذيال وكذا بين الصبح والدجا طباق والاشارة لقول حسان رضى الله تعالى عنه

إمّا تَرَىْ رأسى تغيّر لونه * شَمَطا فأصبح كالثَّغَام المحل
فلقد يرانى مُوعِدِى فكأننى * فى قَصْر دُومَةَ أو سماءِ الهيكل

تلميح والايماء لِلَّوْنَىْ البياض والسواد المفهومين من المتطابقين الاخرين تدبيج معنوى وحاصل معنى البيت تشبيه شعر رأسه بالصبح الذى لم يتمحض ضوءه ولمـا كان ذلك غير واف تدرّج الى الاشارة لعدم وقوفه على المرتبة الاولى بقوله

« واشــتعل المبيضّ فى مسودّه ＊ مثل اشتعال النار فى جَزْل الغَضا »

وهو عطف على حاكى ليكون تأسيسا وهو خير من التأكيد وتشبيه المبيضّ والمسوَدّ بالنار والحطب استعارة مكنية والاشتعال تخييل واقتباس من قوله تعالى (واشتعل الرأس شيبا) وترقى الناظم الى استيعاب الشيب رأسه بقوله

« فكان كالليــل البهيم حلّ فى ＊ أرجائه ضوءُ صــباح فانجَلَى »

فلا يكون تأكيدا لمعنى البيت الاول ولا الثانى وحاصل المعنى أن شعره حاكى غَلَس الصبح وأن الشيب ســـرى فيه حتى عَمّه والبهيم الاسود ويُخَصّ بالغِرْبيب والحـالِك والحانِك ويخص الاحمر بالقانئ والاصفر بالفاقع والاخضر بالناضر والنـاصع والابيض باليَقَق فان اشــتد بياضه فباللَّهِق وفاعل انجلى أى انكشف يعود على الليــل ثم عطف على الشرط قوله

« وغاض ماءَ شِرّتى دَهْرٌ رَمَى ＊ خواطرَ القلب بتبريح الجوى »

يشــير الى تعديد ماألمّ به من صروف الزمان وشرتى نشاطى والتباريح جمع تبريح وهو الجهد والجوى شــدة الوجد وقد شــبه شــبابه الذى هو معدن الطراوة والنضارة بمحل ذى ماء كما شبه الدهر بالصائد والخواطر القلبية بالظبا وتبريح الجوى بالنبال وخيل للجميع بذكر الرمى اذ هو من لوازم الرامى والمرمى والمرمى به واذ كانت نضرة الرياض من المـاء وهو مادة النمو والانماء فلا بدع أن تذوى تلك الرياض اذا غاض ماؤها كما يشير اليه قوله

« وآض روضُ اللهو يَبْسا ذاويا ＊ من بعد ماقد كان مجّاج الثرى »

وقد ذكر الحكماء فى النفوس النباتيــة كلاما لابأس بتلخيصه ومحصله انــ النبات والحيوان يشاركان الانسان فى أن لهما نفسا بخلاف المعــدن والعناصر اذ المــراد بالنفس الكمال الاول للجسم الطبيعى الآلى ومعــنى كمال الشئ كون خروجه من القوة الى الفعل أليق من عدمه وهو منقسم الى أوّل والى ثان فالاوّل ما كان حصوله للشئ يصيّره نوعا

غير ما كان قبل الحصول والثانى مايصدر عن الشئ بعد تنويعه والجسم الطبيعى هو الجوهر القابل للابعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق المتقاطعة على الزوايا القائمة والآلى هو ذو الآلات التى يصدر عنها بتوسط الآلات الثانية كالتغذية والتنمية والتوليد والحركة الارادية ولا شك أن ذلك مشترك بين الثلاثة دون المعدن والعناصر فانه وان كان كمالها الاولى لجسم طبيعى لكنه غير آلى كما لايخفى وصورة كل مركب ان اقتصر فعلها على حفظ مواده المجتمعة من الاستقصاآت المتضادّة الكيفية المتداعية للانفكاك بسبب ميل كل منها الى حيزه المخالف للآخر فهى الصورة المعدنية وان لم يقتصر بل جمع أجزاء أخر من الإستقصاآت وأصنافها لمواده فان صرفها فى وجوه التغذية والتنمية والتوليد فقط فهى النفس النباتية أو ضم الى ذلك الحس والحركة أيضا فهى النفس الحيوانية وان أضاف النطق الى ذلك كله فهى النفس الانسانية حسب اختيار المبدأ الفياض لان ذلك بحسب القوابل وآض أى صار واليبس بفتح الياء اليابس والذاوى الذابل ومجاج كثير المج والثرى التراب الندىّ وأحسن ماتكون الرياض زمن الربيع قال

ان كان فى الصيف ريحان وفاكهة * فالارض مستوقَد والجوّ تنّور
وان يكن فى الخريف النخل محتدقا * فالارض عريانة والجوّ مقرور
وان يكن فى الشتاء الغيم متصلا * فالارض مستورة والجوّ محصور
ماالدهر الا الربيع المستنير اذا * أتى الربيع أتاك النَّور والنُّور
فالارض ياقوتة والجو لؤلؤة * والنبت فيروزج والماء بَلُّور

« وضَرَّم النَّأىُ المُشتّ جذوةً * ماتأتلى تسفَع أثناءَ الحَشَا »

ضرم أشعل والنأى البعد والمشت المفرّق والجذوة الجمرة ماتأتلى ماتقصر تسفع تُحرق أثناء الحشا مادخل بعضه فى بعض جمع ثِنًى بالقصر وثِنْي

« واتخذ التسهيدُ عينى مَألَفا * لمّاجفا أجفانَها طيفُ الكرى »

التسهيد كالسهاد الامتناع من الهجوع فان كان لعبادة فهو التهجد والطيف الخيال والكرى النوم

« فكلُّ ما لاقيتُــه مُغْتَفَــر * فى جَنْب ماأَسْاره شَحْطُ النَّوَى »

الفاء جواب الشرط فى قوله إما ترى وأسْاره أبقـاه والشـحط البعد والنوى ماينويه الانسان من سفر أو ذهاب والمعنى أنه اغْتَفَر جميعَ مالقيه من شيب وغيره فى نظير ماأبقاه شحط النوى مِن ذِكْرَى أحبابه اذ لم يُبْعِدها عنه كما أَبعد شَخْصَهم فكأنه ملتق معهم بالذكر كما قال ابن المعتز لمؤدّبه ثعلب

إنّا على البِعاد والتفرّق * لَنَلْتَقِى بالذِكْر ان لم نلتق

والاصح أنه يريد ماأبقاه من جسمه يعنى أن البعاد وان فعـل به مافعل لكنه لم يُتْلِفه بالجملة بل أبقى فيـــه حياة فهو يقول ان كل مالاقاه مغتفر فى جنب تلك البقية ويناسب هنا قول المهلبي وان كان فيه استثناء

رَقّ الزمان لحـالتى * ورَثَى لطول تحرُّقى فأنالنِى ماأرتجِى * وأجار ممـا أتّــقى
فلأغفرنّ له الكثير * من الذنوب السُّبَّق إلّا جنايتَه التى * فَعَل المشيبُ بمَفْرَقى

وقال المهلبي ضد قول نسيبه يزيد بن محمد المهلبى

سأغفر للزمان مشيبَ رأسى * اذا ما دام لى عيش رطيب

(فائدة) أنكر الحريرى والزمخشرى استـعمال سائر بمعنى جميع وأطالا فى الاستشهاد على ذلك ومنعه ابن بَرِّى ناقلا عن ابن دريد أنه ذكر فى بعض أماليه جاء سائر الحاج أى كلهم ولك سائر المـال أى كله وأنشد

فما حَسَنٌ أن يَعذِر المرء نفسَه * وليس له فى سائر الناس عاذر

ونوقش بأن لاشاهد فى هذا البيت بل انّ سائر فيه بمعنى بقية وهى مَن عدا ذلك المرء اذ لايقال جميع الا اذا لم يشذّ فرد وهو لايخلو من عسف فليتأمل ونقـل عن الزمخشرى استعماله فى مقام الدعاء بمعنى الجميع قالوا والنكتة فيه تكرار الدعاء فى حقه ليكون أنفع له وفى البيت اغتفار شئ لشئ كقول الآخر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسـنه بألف شفيع

ولقد سـئل الامام أبو الفرج بن الجوزى عن قول الناس لاجل عين ألف عين تكرم هل له أصل من القرآن الكريم فقال نعم قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)

«لو لابس الصخرَ الاصمَّ بعضُ ما * يلقاه قلبى فَضّ أَصْلَادَ الصفا»

الملابسة المخالطة والصخر جمع صخرة والاصم الذى لاصَدْع فيه ولا صوت له وفض كسر وأصلاد جمع صلد وهو الصلب الشديد والصفا جمع صفاة وهى العريض من الصخر وبما تقرر يعلم أن اصلاد الصفا هى الصخر فقد أعاد الظاهر مكان المضمر اذ لم يقل فضه وذلك قبيح فى جملة واحدة لايستغنى بعضها عن بعض أو فى جملتين لايتم الكلام ولا تقع الفائدة الا بمجموعهما كباب القسم وباب الشرط والجزاء الا لضرورة كقوله

اذا الوحش ضم الوحش فى ظللاتها * سواقط من حرّ وقد كان أظهرا

ويحتمل أن الذى سوّغ ذلك هو العدول عن عين اللفظ السابق الى مرادفه كقول الآخر

اذا المرء لم يغْشَ الكريهة أو شكت * حِبال الهُوَيْنَا بالفتى أن تَقَطَّعا

قال أبو الفتح ابن جنى وسبب ذلك أن هذا المظهر المخالف للفظ المظهر قبله قدأشبه عندهم المضمر من حيث كان مخالفا للفظ المظهر قبله

«اذا ذَوَى الغصنُ الرطيب فاعلمن * أن قُصاراه نَفادٌ وتَوَى»

ذوى ذبُل والرطيب الناعم وقصاراه غايته والنفاد الذهاب والفراغ والتوى الهلاك وهو كقول الأسود بن يعفر

فاذا النعيم وكل مايُلهَى به * يوما يصير الى بِلًى ونفاد

وقالت ليلى الاخيلية

وكل شباب أو جديد الى بِلًى * وكل امرئ يوما الى الله صائر

« شَجِيتُ لا بَلْ أَجْرَضَتْنِي غُصّة * عُنودها أَقْتَلُ لِى من الشَّجَا »

الشجا الاختناق بعظم أوعود والجَرَض الغَصَص بالريق عند الموت أو الغَمّ وكذا الجَرِيض ومنه المثل وهو قولهم حالَ الجرِيض دون القَرِيض يُضرَب لأمرٍ يعوق دونه عائق قاله شَوْشَن الكلابى حين منعه أبوه من الشعر فمرض حزنا فرقّ له وقد أشرف فقال انطق بما أحببت وأَجْرَضَه بريقه أغَصّه والغصة ماغُصّ به الانسان من طعام أو غيظ على التشبيه فأما الحَرَض بالحاء المهملة فهو المرض الذى يُشْفِى صاحبه على الهلاك

وباب الكل تعب تعبا والعنود مصدر عند عن الطريق من حدّ قعد أى مال يقول شجيت لامر عظيم أصابنى ثم أضرب عن الشجا بقوله لابل أجرضتنى غصـــة أى أصابه ماهو أعظم من الشجا

« أن يَحْمِ عن عينى البُكَا تجلُّدِى ※ فالقَلْبُ موقوف على سُبْلِ البكا »

يحمى يمنع والتجلد التصبر وسبل طرق سكن تخفيفا قال أبو على اعلم انه اذا كان ثالث الاسم حرف لين خفقه التثقيل فى نحو رغيف ورُغُف وقضيب وقُضُب ويجوز التخفيف لانهم أرادوا أن يأتوا فى الجمع بما كان فى الواحد فلم يمكنهم فأتوا بما هو منه أعنى الحركة واذا كانت الزيادة فى أوّل الاسم كان الجمع مسكنا ويجوز التثقيل فى الضرورة وذلك نحو أحمر وحمر وما أشـبه ذلك وانما التثقيل فى رغف وقضب لان ضمة العين عوض عن حرف لان الحركة بعضه ولم يجب أن يعوّض فى أحمر لان الزائد فيـه همزة الالف وليست الهمزة من اللين فى شئ وتثقيله على الشبه بباب قضب ورغف اه ولا تغفل عما نقلناه لك عن الرضى فى شرح قصيدتنا يقول انه ان تصبرّ عن البكاء ظاهرا فانه حزين القلب فهو كقول الاحنف

وأُكثِر فيهـــمُ ضَحِكِى لأَخْفَى ※ فطَـرْفِى ضاحك والقَلْب باكى

وقول دريد

يقول ألا تبكى أخاك وقد أرى ※ مكان البكا لكن بنيت على الصبر

وقول خلف بن خليفة

أعاتب نفسى ان تبسّمتُ خاليا ※ وقد يضحك الموتور وهو حزين

والكلامُ فى هذا المعنى كثير

« لو كانت الاحلامُ ناجَتْنِى بما ※ ألقاه يَقْظانَ لأصمـانى الردا »

الاحلام جمع حلم بضمتين وهو مايراه الانسان فى منامه وفعله مفتوح العين فى الماضى مضمومها فى المستقبل أما من الاحتـلام فمضمومة فيهـما وحلم الاديم فسد بكسرها فى المـاضى وفتحها فى المسـتقبل وناجتنى سارّتنى واليقظان المتنبه وأصماه قتله مكانه وكذلك رماه فأثبته وأقصعه وأقصـده كل ذلك اذا قتله مكانه ورماه فأنماه اذا أصابه

فيحمل الصيدُ بالسهم فيجده بعـدماغاب عنه ميتا ورماه فأشواه اذا أخطأ مقتله فأصاب شَواه وهى الاطراف والشَواة أيضا جلدة الرأس والجمع شَوًى والردا الهلاك وفى الحديث الشريف كُلْ ماأصميتَ ودَعْ ماأَنْميتَ يقال صَمَى الصيدُ صميا من باب رمى مات وأنت تراه ونَمَى يَنْمِى غاب عنك ومات بحيث لاتراه ويتعديان بالهمز ومعنى الحديث الشريف كما قال الازهرى أن يأخذ الكلب صيدا بعينك ويسيل دمه فتلحقه وقد قتله فهـذا يؤكل أى كل ماقتـله كلبك وأنت تراه واقتصاره على الكلب على سبيل التمثيل والسهم مُلحق به وظاهر الحديث عام فيهما وقال امرؤ القيس

فهو لا يُنمِى رميّتـه * ماله لاعُدّ من نَفَره

يصفه بالضعف أى اذا رمى لايقتل ومنهم من ينشده لاتنمى وآخرون ينشـدونه لأيُصمِى يقول لوكان ماتحمله يقظة رآه فى النوم لأهلكه ولبعضهم

نحن والله فى زمان غشـوم * لو رأيناه فى المنـام فزعنـا
أصبح الناس منه فى سوء حال * حقٌّ من مات منهـم أن يهنَّى

وقال السُلَمِى

وعلى عدوّك يابْنَ عَمِّ محمـد * رَصَدانِ ضوءُ الصبح والاظلامُ
فاذا تنبَّـهَ رُعْتَـه واذا غفا * سلّت عليه سيوفَك الاحلامُ

« منزلة ما خلتهـا يرضى بهـا * لنفسـه ذو أَرَب ولا حجـا »

منزلة خبر مبتدأ محذوف والارب بكسر الهمزة وفتح الراء مصدر أرب بضم العين أى عَقَل ويجوز أن يكون بفتح الهمزة والراء بمعنى الحـاجة أى أن منزلته لايرضى بهـا المحتاج فضلا عن سواه والحجا العقل وفى هـذا المعنى أبيـات نصيحة يجب أن تنسخ وتدرس وأن لاتنسخ ولا تدرس وهى

من تصـدّى لاخيـه * بالغِنَى فهـو أخـوه
فاذا اضـطُرَّ اليـه * رَآه منـه ما يَسُـوه
يكرَم المُثرِى فان أم * لَقَ أقصـاه بَنُـوه
لو رأى النـاسُ نبيّـا * سـائلا ما وصـلوه

وهـــمُ لو طمِعوا فى ❊ زاد كلب أكلوه
لا ترانى أبـدَ الدهـ ❊ ـر بتَسْـآلٍ أفُوه
إن من يسال سوى الرحـ ❊ ـمن تَكْـثُرْ حارموه
والذى قام بـأرزا ❊ ق الورى طُرًّا سَلُوه
وعن النـاس بحمـد الله فاغنَـوْا واحمَـدوه
تَلْبَسـوا أثوابَ عِزٍ ❊ فاسمعوا قَـوْلى وعُـوه
أنت مااستغنيتَ عن صا ❊ حبك الدهرَ أخوه
فاذا احتجتَ اليـه ❊ ساعةً مَلَّكَ فُـوه
أفضـلُ المعروف مالم ❊ تُبتـذَل فيـه الوجوه
انمـا يعـتَرِف الفضـ ❊ ـلَ من النـاس ذَووه

وفى اللسان انمـا يصطنـع المعـ ❊ روفَ فى النـاس ذووه

وفى شرح ابن يعيش على المفصل

انمـا يعـرف ذا الفضـ ❊ ـلِ من النـاس ذووه

« شَـيم سَحَاب خُلَّب بارقُه ❊ وموقف بين ارتجـاءٍ ومُـنَى »

الشيم مصدر شام البرق نظر اليه والخلب الذى لاماء معه وهو الذى يُطمِع فى المطر ثم يكذب قال الشاعر

لايكن بَرْقُك بَرْقا خُلَّبـا ❊ انّ خيرَ البرق ما الغَيْثُ مَعَهْ

والارتجاء افتعال من الرجاء وهو الامَل والمنى جمع مُنْية وهى مايتمناه الانسان وهو ينظر الى قول كُثَيِّر

وانّى وتَهْيامِى بعزَّةَ بعـد ما ❊ تخلَّيتُ ممـا بيْنَنـا وتخلَّتِ
لكالمُرْتَجى ظِلّ الغمامة كلَّمـا ❊ تبوّأ منهـا للمَقيل اضمحلّتِ
كأنى وإياهـا سحـابة مُمْحِل ❊ رَجاها فلمّا جاوزته استهلّتِ

ولابى تمّـام

من كان مَرْعَى عَزْمه وهمومه ❊ رَوْض الامانى لم يزل مهزولا

ثم قال ابن دريد

« فى كل يوم منزل مُسْتَوبَل * يشتفُّ ماءَ مهجتى أو مُجْتَوَى »

مستوبل غير موافق ومجتوى مكروه ويشتف يستقصى والاشتفاف فى الشراب كالاقتفاف والاقتحاف فى الطعام ومجتوى مكروه يقال اجتويت البلد اذا كرهته وان كان موافقا لك واستوبلته اذا لم يوافقك وان لم تكرهه والمعنى كقول طَرَفة * ماأشبَه الليلة بالبارحة * وقولهم فى المثل أينما أتوجّه ألق سعدا أى أفرّ من الاذى الى مثله وهذا البيت مما يضرب لكثرة الترحال وعدم الاستقرار على حال وقريب منه قول من قال

وأخو الليالى لا يزال مراوحا * مابين أدهم خيلها والاشهب

فالارض لى كرة أواصل ضربها * وصوالجى أيدى المطايا اللّغب

وقول الآخر

وحامٍ لاأنفك عن ظهر سبسب * أهجّر أو فى ظهر سبسبة قفر

أشقّق قلبَ الشرق حتى كأننى * أفتش فى سودائه عن سنا الفجر

وقول حبيب

بالشام قومى و بغدادَ الهوى وأنا * بالرقمتين و بالفُسطاط جيرانى

وما أظن النوى تُلقِي مَرَاسِيهَا * حتى تبلّغ بى أقصى خُراسان

وللاِسْعِرْدِى

أقول لقلبى حين جدّ به الاسى * لك الله من قلب صبور على الوجد

أفى حَلَب جسمى وقلبى بجِلّق * وصحبى ببغداد وأهلى بِإِسْعِرْدِ

وقد بالغ من قال

إن عشت عشت بلا أهل ولاوطن * وان قضيت فلا قبر ولا كفن

أظن قبرىَ بطن الوحش يرحل بى * بعد الممات ففى الحالين لى ظعن

ثم قال ابن دريد

« ماخلت أن الدهر يثنينى على * ضرّاءَ لا يرضَى بها ضَبُّ الكُدَى»

خلت حسبت ويثنيني يعطفني والصراء بالصاد المهملة الصخرة الصماء ويروى بالضاد المعجمة والاول أليق والضب دويبة تشبه الحِرْدَوْن وليست به والكدى جمع كدية وهى الارض الصلبة والضِباب تعتادها قال الشاعر

سـقى الله أرضا يعلم الضبّ أنهـا * بعيـــد من الآفات طيبـــة البقل
بنى بيتَـــه فيهـــا على رأس كدية * وكل امرئ فى حرفة العيش ذو عقل

وأكثر الناس أكلا للضب الاكراد وكان الحيص بيص الكردى يتشبه ببنى تميم فأرسل له بعض التميميين بقوله

كم تنـادى وكم تطـول طُرْطو * رَك مافيـك شعرة من تميم
فكُل الضبّ واقرِض الحنظلَ اليا * بسَ واشرب ماشئت بولَ الظليم

فأجابه بقوله

لا أُضع من عظيم قدرى وان كنـ * ـتَ مُشـارا اليـــه بالتعظـيم
فالجليـل العظيم ينقص قـدرا * بالتعـدّى على الجليـل العظيم
وَلَعُ الخمـــرِ بالعقول رمى الخمـ * ـرَ بتنجيسهـا وبالتحـــريم

ويطلق الضب على جملة معان وعلى الحلب بالكف وهو ومقلوبه يطلقان على الرشح اليسير كالعرق ويناسب المعنى قول المتنبي

ما كنت أحسبنى أحيا الى زمن * يسيء بى فيــه كلب وهو محمود

وقول الآخر

اذا وَصَفَ الطائىَّ بالبخل مادرٌ * وعيَّر قُسًّا بالفَهاهـــة باقِــل
فياموتُ زُرْ ان الحيـاةَ ذميمـة * ويانفسُ جِدّى ان دَهرِك هازل

« أرمّق العيش على بَرْض فان * رمْتُ ارتشافا رمت صعبَ المُنْتَسَا »

أرمق أعطى ما يمسك رمق والرمق بقية النفس والعيش المطعم والمشرب والبرض الماء القليـل رمت طلبتُ والارتشاف مصّ الشئ بالشفتين والصعوبة ضدّ السهولة والمنتسا بالسين غير معجمة المستبعد وقصره للقافية ومن رواه بالشين المعجمة فهو من النَّشا وهو نسيم الريح الطيبة يقال انتشيت نَشَا ريح طيبة أى نسيمها

« أراجعٌ لى الدهرُ حولا كاملا * الى الذى عــوّد ام لا يُرتجى »

راجعٌ أى عائد وحولا نصب على الظرفية

« يادهر ان لم تك عُتْبَى فاتئد * فانـ ارْوادَك والعتبى سَوَا »

العتبى الرجوع الى الموافقة والرضا تقول عاتبت فلانا فأعتبنى أى استرضيته فأرضانى والاتّئاد والارواد الرفق وقصر سواء للضرورة طلب منــه الموافقة والا فلا أقل من الرفق فانه أى الرفق وذكره بلفظ الارواد المرادف له للضرورة هو والعتبى سواء

« رفّــهْ علىّ طالمـا أنضيتّنى * واستَبْقِ بعضَ ماءِ غصنٍ مُلْتَحَى »

رفه من الرفاهيــة وسعة العيش وأنضيتنى أذهبت لحمى ويروى بالصاد المهملة والباء الموحدة أى أتعبتنى وملتحى مقشور ومذهب أبى على فى طالمـا وقلما وكثر ما انها أفعال لافاعل لها مظهرا ولا مضمرا وكأنّ ما عِرِضٌ عن الفاعل كما هى عرض عن الفعل فى قوله أما أنت ذا نفر وبدخول ماعلى طال ونحوها اختصت بالفعل كربمـا فلا يليها اسم البتــة فأما قوله وقلما وصال فعلى التقــديم والتأخير أى وقلما يدوم وصال ويجوز أن تكون ما مصــدرية والمصــدر فاعل أى طال انضاؤك لى والاوّل أعرف ومذهب ابن جنى وصلها بالفعل وكان يجب فى كثُر ما لولا أن الراء لا يوصل بها شئ وقال ابن درســتويه تكتب ما منفصلة قال ولا يوصل من الافعال الا نعمّا وبئسما

« لا تحسبَنْ يادهر انى ضارع * لنَكبة تَعرُقنى عَرْقَ المُــدَى »

الضارع الذليل والنكبة المصيبة التى تعدل بصاحبها عن طريق السلامة وتعرقنى من باب نصر تقشرنى والمدى جمع مدية وهى السكين والميم مثلثة فى المفرد وبمـا عدا الفتح فى الجمــع

« مارستَ مَن لو هوتِ الافلاكُ مِن * جوانب الجــو عليــه ماشكا »

قال تلميذ الناظم أبو على القالى لمـا أصيب ابن دريد بالفالج كنت أدخل عليه فيتألم من دخولى فأقول ان الله تعـالى لم يبتله بذلك الا عقابا على قوله مارست من لو هوت البيت ومارست عاندت وهوت ســقطت والافلاك جمع فلك وهو مدار النجوم الذى يضمها ويوجد فى بعض نسخ النظم زيادة هذا البيت وهو

« وَعَدَّ لو كانت له الدنيـا بمـا * فيها فزالت عنـه دنياه سوا »

عدّ حسب أى ظنّ

« لكنّهـا نَفْثـة مصـدور اذا * جاش لُغَامٌ من نواحيها عَمَى »

الضمير فى لكنها يرجع للشكوى المفهومة من شكا والنفثـة البصاق اليسـير من الفم والمصدور من يشتكى صدره وجاش علا وارتفع واللغام بضم اللام الزَّبَدُ الذى يخرج من فم البعير وعمى البعـير بلغامه من باب رمى هدر فرمى به على هامته أو أيا كان والعين غير معجمة وبمـا تقرر تعـلم مافى الشرح المطبوع بمطبعة جوائب فارس افندى من الغلط والتصحيف فى هذا المحل متنا وشرحا

« رضِيتُ قسرا وعلى القسر رضا * مَن كان ذا سُخْط على صَرف القضا »

القسر القهر وصرف القضاء تقلبه من حال الى حال وأصـل القضاء فى اللغة احكام الشئ وقطعه والفراغ منه وقصر للضرورة وأصل المعنى قول الشاعر

تصـبرت مغـلوبا وانى لموجَع * كما صبر العطشانُ فى البلد القفر

وقال أبو الطيب

رَضُوا بك كالرضا بالشيب قسرا * وقـد وخط النواصىَ والفـروعا

« ان الجديدين اذا مااسـتوليا * على جديد أدنيـاه للبِـلى »

الجديدان الليل والنهار وهما المَلَوان والابْدَان والفَتَيان والعَصْران والاجدّان واسـتوليا مَلَكا وعلى جديد أى جسم وأدنياه قرّباه والبلى من بَلِى الشئُ اذا أخلق واذا كُسر قُصر واذا فتح مدّ والمعنى مأخوذ من قول أبى الاسود الدؤلى

أفنى الشبابَ الذى أبليتُ جِدّتَه * كَرُّ الجـديدين من آت ومنطلق

وقال النِمر بن تَولَب

كانت قنـاتى لاتلين لغامز * فألانها الاصـباح والامسـاء

ودعوت ربى بالسلامة جاهدا * لِيُصِحّنى فاذا السـلامة داء

« ما كنت أدرى والزمان مولع * بشَتّ ملموم وتنكيث قُوَى »

أدرى أعلم ومولع مُغْرَى والشت التفريق والملموم المجتمع وتنكيث نقض والقوى جمع قوّة احدى قوى الحبل أى طاقاته

« أنّ القضـاء قاذفى فى هُـوّة * لاتستبلّ نفسُ من فيها هوى »

ان ومعمولاها مفعولا أدرى قبله والهوّة بضم الهاء حفرة يضيق أعلاها ويتسع أسفلها كالهواءة والجمع هُوًى ولا تستبل لاتبرأ

« فان عثَرتُ بعـدها إن وَأَلَتْ * نفسىَ مِن هَـاتا فقـولا لاَلَعا »

الكناية فى بعدها تعود على النكبة المفهومة مما تقدّم ووألت نجَتْ برجوعها الى السلامة وهاتا أى هذه ولعا كلمة تقال للعاثر فى معنى اسلم وكذلك دع دع وفى حديث مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كره أن يقال للعاثر دع دع وليقل اللهم ارفع وادفع

« وان تكن مُدّتهـا موصولةً * بالحتف سَلّطتُ الآسَى على الأُسَى»

مدّتها أى مدّة تلك النكبة والحتف الموت مات حتف أنفه وأنفيـه اذا مات على فراشه من غير قتل والاسى جمع أسوة بضم الهمزة فيهما وهى القـدوة والاسى بفتح الهمزة الحزن

« ان امرأ القيس جرى الى مُدًّى * فاعتاقه حِمـامُه دون المدى »

اعتاقه حبسـه وحمامه موته وامرؤ القيس هو حندج أوّله حاء وآخره جيم على وزن قنفـذ ابن حجر أوّله حاء ثم جيم بوزن قفـل ويلقب امرؤ القيس بذى القروح وبالذائد وبالملك الضّلّيل وكان ذلك المدى الذى جرى اليه طلب الملك فرحل الى قيصر ليستعينه فهلك فى عودته عند جبل يقال له عسيب بأنقرة الروم ومعنى القيس الشدّة وقيل اسم صنم ولذا كان الاصمعى يبدل قوله ياامرأ القيس فانزل بقوله يا امرأ الله ومثـله قَوس الله بدل قَوس قُزَح المنهىّ أن نقوله لانه اسم شيطان أو هو قَوس قُزَع بالعين المهملة أى قَوس السحاب ويقال القُسْطان والقُسْطانِىّ والقُسْطانيّة والقَسْطَلاَنيّة والخُضُلّة وقدسبق شئ من ترجمة امرئ القيس فى أوّل المواهب وعسيب هـذا غير عسيب المدفون به صخر أخو الخنساء فانه جبل حجازى نص على ذلك الحافظ أبو بكر الحازمى فى كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه وقوله الى مدى ليس متعلقا بجرى حتى يلزم أن يكون الجرى قد انتهى الى ذلك المدى فيناقض قوله دون المدى بل بكونٍ خاص أى جَرَى قاصدا الى مدى وكذا قوله على البُنَى فى بيتٍ يأتى متعلق بفضّل لابِدَحًا لئلا يفسد المعنى وما أحسن قول بعضهم

تنقّــل فلذات الهوى فى التنقــل * وِردْ كلَّ صافٍ لاتقف عند منهل
ففى الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تتبع قول امرئ القيس انه * مضــلّ ومن ذا يقتــدى بمضلّل
«وخامَرتْ نفسُ أبى الجبر الجوى * حتى حواه الحتف فيمن قد حوى»

خامرت خالطت والجوى فساد فى الجوف والحتف الهلاك وأبو الجــبر بالجيم والباء الموحدة رجل من ملوك كِنْدة استعان على قومه بكسرى فأمدّه برجال كثيرة من الفرس فسئموا الاغتراب فدسّوا له سما فى الطعام بواسطة طباخه فلما أحس بالالم تلطفوا اليــه أنـ يكتب لكسرى أنه أذنهم بالانصراف ففعل ثم يمم الطائف عند الحرث بن كَلَدة الطبيب المشهور فعالجه فبرأً من دائه فأهداه عُبَيدا وسُمَيّة ابوى زياد ابن أبيــه ثم قصد اليمن فانتقضت عليه علته فمـات

« وابنُ الاشجّ القَيلُ ساق نفسَه * الى الردى حِذارَ إشمات العدى»

القيل الملك والردى الهلاك ومراده بابن الاشج عبــد الرحمن بن الاشعث الذى خلع الحجاج ثم عبــدالملك بن مروان واتسع ملكه وتبعه كثير من قرّاء أهل العراق وعلمائهم كســعيد بن جبير والشّعبي وكبر أمره على الحجاج حتى كتب لعبــدالملك فى جملة كتاب واغوثاه واغوثاه فأجابه يالبيك يالبيك يالبيك لعمرى لقــد خلع ابن الاشعث طاعة الله بيمينه وطاعة سلطانه بشماله وخرج مــن الدين عريان وانى لارجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته على يدى وأمدّه بجيوش كثيرة فالتقيا بدير الجماجم ســنة ٨٢ فقتل ابن الاشعث بعد نيف وثمـانين وقعة أو ألقى بنفسه من جدار فهلك فبعث الحجاج برأســه الى عبــدالملك مع عِرار بن عمرو بن شأس الاســدى وكان أسود دميما فجعل عبدالملك لايسأله عن شئ من أمر الحرب الا أنبأه به فى أصح لفظ واشــبع قول وأجزإ اختصار فشــفاه من الخبر وملأ أذنه صوابا وعبــدالملك لايعرفه وقد اقتحمته عينــه أوّل مارآه فقال متمثلا

أرادت عِرارا بالهــوان ومن يُرد * عِرارا لعمرى بالهوان فقــد ظلم
وانـ عِــرارا ان يكن غير واضح * فانى احِبُّ الجَونَ ذا المَنْكب العَمَم

فقال له عرار أتعرفنى ياأمير المؤمنين قال لا قال فأنا والله عرار فزاد فى سروره وأضعف جائزته ويروى أن هذه القصة وقعت له مع الحجاج لما بعثه اليه المهلب بن أبى صفرة وأبوه عمرو مخضرم أدرك الاسلام شيخا وكانت له امرأة من قومه وعرار من أمة سوداء فكانت تؤذيه فأنكر عمرو عليها وقال هذا الشعر وبقيته فى الحماسة واجتاز بعضهم بدار الشريف الرضى محمد المتوفى سنة ٤٠٦ وهو لايعرفها وقد أخنى عليها الزمان فتمثل بقول الشريف

ولقد وقفتُ على ربوعهمُ * وطلولُها بيد البِلَى نَهْبُ
فبكيتُ حتى ضجّ من لغَب * نِضْوى ولجّ بعَذْلِيَ الرَّكْب
وتلفّتت عينى فمذ خفِيتْ * عنى الطلول تلفّتَ القلب

ثم تبين له أنها دار الشريف . وقال معاوية رضى الله تعالى عنه لاحد المعمّرين حدثنى بأعجب مارأيتَ فقال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت اليهم اغرَوْرَقَتْ عيناىَ بالدموع فتمثلت بقول الشاعر

ياقلب انك من أسماءَ مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
الى أن قال وبينما المرء فى الاحياء مغتَبط * اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحىّ مسرور

فقال لى رجل أتعرف من يقول هذا الشعر قلت لا قال قائله الذى دفناه الساعة وأنت الغريب الذى يبكى عليه وليس يعرفه وهذا الذى خرج من قبره أمسّ الناس رحما به وأسرّهم بموته . وكتب صاحب اليمن الى عبدالملك أثناء حرب ابن الاشعث انى قد وجهت لامير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم يُر مثلُها قط فلما رآها الخليفة بهره حسنها فهمّ بها فأعلمه الحاجب أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحّى الجارية فأعطاه كتابا من عبدالرحمن بن الاشعث فيه سطور أربعة يقول فيها

سائلْ مُجاوِرَ جَرْم هل جنيتُ لها * حَربا تزيّل بين الجيرة الخُلُط
وهل سموتُ بجرّار له لَجَب * جَمّ الصواهل بين الجَمّ والفُرُط
وهل تركت نساءَ الحى ضاحية * فى ساحة الدار يستوقدن بالغُبُط

وتحتها بيت آخر وهو

قَتَل الملوكَ وصار تحت لوائه * شَجَر العُرَا وعُرَاعِرُ الاقوام

فكتب اليه عبدالملك كتابا وجعل فى طيه جوابا لابن الاشعث

مابال من أســـعى لاجبر عظمَه * حِفاظا وينوى من سفاهته كسرى

أظُنُّ خطوبَ الدهر بينى وبينهم * ستحملهم مـنى على مركَب وعر

وانى واياهـــم كمن نَبَّـــه القطا * ولو لم تنبَّـــه باتت الطـير لاتسرى

أناة وحلمـا وانتظارا بهـــم غدا * فمـا أنا بالوانى ولا الضَّرَع الغُـمْر

ثم بات يقلب كف الجارية فتقول مايمنعك ياأمير المؤمنين فيقول يمنعنى ماقاله الاخطل لانى ان خرجت منه كنت ألأم العرب

قوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

انظر هذا وما يقال عن الامين انه كان يصطاد أثناء محاربته أخاه المأمون فاذا أتاه البريد بأخبار الحرب قال أضعت السمكة وضرب عنقه وعن بعض ملوك الطوائف بالاندلس انه تارة يكون فى مجلس شربه فيأتيـــه البريد باستيلاء الفرنج على محل كذا فيقول نغصتم علينا مجلسنا ويضرب عنق من يبلغه ذلك ولله الامر من قبل ومن بعد وقول ابن الاشعث بين الجم والفرط هما موضعان وقوله يستوقدن بالغبط هى جمع غبيط وهو مركب النساء يعنى أنهن يئسن من الرحيـل فأوقدن مراكبهن أو أن الخوف منعهن من الاحتطاب أما المحامل فانمـا أوّل من اتخذها الحجاج وفى ذلك يقول الراجز

أوّل عبـد عمل المحاملا * أخزاه ربى عاجلا وآجلا

وقوله شجر العرا بضم العين هو نبت بعينه وقوله وعراعر الاقوام بضم العين الاولى فمعناه رؤس الاقوام وعرار بكسر العين كما ضبطناه وان كرّر ضـبطه فى اللسان بفتحها وكأنه اعتمادا على شارح القاموس اذ ضـبطه كذلك بالعبارة حيث قال وعرار كسحاب ابن عمرو الخ وهو خطأ فليتنبه له والله تعالى أعلم

« واخترم الوَضّاحَ من دون التى * أمّلها سـيفُ الحِمام المنتضى »

الوضاح هو جَذِيمة الابرش لنقط سود وحمر كانت به من آثار نار أحرقتـه فهابوا أن يقولوا له الابرص فقالوا الابرش والوضاح وأبوه أوّل ملوك الحيرة قيل وكان جذيمة بعد

عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وكان لاينادم أحدا من الناس بل ينادم الفرقدين يشرب قدحا ويصب لهما قدحين حتى أتاه مالك وعقيل بابن أخته عمرو الذى استهوته الشياطين دهرا طويلا فجعلهما نديميه فنادماه أربعين سنة ماأعادا عليه حديثا وضرب بهما المثل وهما مراد متمم بقوله

« وكنّا كندمانى جذيمة حِقْبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا »

وهو أول من وضع المنجنيق للحروب وأول من أوقدت بين يديه الشموع ومن خبره بعد قتله لابى الزّبّاء عمرو بن حسان أنه خطبها أو خطبته فأجابها وخالف قصيرَ بن سعد اللخمى فلما أدخل عليها أمرت بقطع رواهشه وهى عروق اليد فمات فقام غلامه قصير الى ابن أخته عمرو المذكور وقال له اجدع أنفى ففعل ففرّ قصير الى الزباء وشكا لها عمرا ونصح فى خدمتها حتى اطمأنت اليه ثم حمل اليها الرجال على الجمال فقالت لما نظرت ثقل سيرها ماللجمال مشيها وئيدا الى آخر الشعر المشهور وكان لها سَرَب تحت الفرات فلما شاهدت الرجال بأيديهم السيوف هربت الى السرب فوجدت عمرا وقصيرا على بابه بأيديهما السيوف فماتت للحال بمص خاتم مسموم كان فى يدها وقالت بيدى لابيد عمرو أو أن عمرا جَلّلها بالسيف هذا وفى منظومة العلامة نشوان بن سعيد الحميرى فى نسب حمير التى أوّلها

الامر جِدٌّ وهو غير مُزاح * فاختر لنفسك صالحا ياصاح

مانصه وجذيمةُ الوَضّاحُ غيرجذيمةِ الـ * زباءِ عن علم وعن ايضاح

« وقد سما قبلى يزيد طالبا * شأو العلى فما وَهَى ولا وَنَى »

سما ارتفع شأو طَلَق وَهَى ضَعُف وَنَى فتَرَ وهو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ولابى صفرة صحبة واسمه ظالم وقتل يزيد هذا هو واخوته لما خرج على يزيد بن عبد الملك وسلم عليه بالخلافة ولذا قال ابن دريد

« فاعترضت دون الذى رام وقد * جدّ به الجدّ اللّهيمُ الأُرَبَى »

اعترضت بدت ورام طلب واللهيم كزبير والأربى بضم ففتح مقصورا اسمان للداهية واللهيم فاعل اعترضت والاربى بدل منه ولم يأت على فُعَلَى هذا الا أُرَبَى وأُرَبَى جَنَبَة

بَقْل يَتَجَبّن به اللبنُ ويَثْخُن وأرمى وحبق وشعبي مواضع والجعبى اسم لعظام النمل اللاتى يعضَضْن ولهنّ أفواه واسعة قال أبو على ولا نعلم أتى من هذا الباب غير هذه الأحرف الستة

« هل أنا بِدْع من عرانينِ عُلًى ✻ جارعليهم صَرف دهرٍ واعتدى »

أى ماأنا بدع أى أوّل والعرانين أراد بهم السادة وعلى مضاف الى عرانين وصرف الزمان نوائبـــه

« فان أنالنى المقادير الذى ✻ أكيده لم آلُ فى رَأْب الثَّأَى »

أكيـــده أى أريده لم آل أى لم أقصر فى رأب أى اصـــلاح الثأى أى الفساد وهو بالثاء المثلثة بعدها همزة فألف بوزن الفتى

« وقد سمـــا عمـــرو الى أوتاره ✻ فاحتطّ منها كل عالى المستمى »

مراده عمـــرو بن أخت جذيمـــة السابق ذكرهما والاوتار جمع وتر وهو طلب الثأر والمستمى مفعتل من السمو

« واستنزل الزبّاء قسرا وهى من ✻ عُقاب لُوح الجوّ أعلى منتمى »

الزباء تقصر من باب غضبان وغضبي وتمدّ من باب أحمر وحمراء واختلف فى نسبها فقيل كانت رومية وتتكلم بالعربية وقيـــل كانت عربية من ذرية العماليق والعقاب طائر ولوح الجوّ الهواء وكلاهما بالضم

« وسَـــيفٌ استعلت به همّتُه ✻ حتى رَمَى أبعـــدَ شأو المرتمى »

« فجـــرّع الاحبوشَ سمًّـــا ناقعا ✻ واحتلّ من غُمْدانَ محرابَ الدُّمَى »

هو سيف بن ذى يزن الحميرى اســـتعان بكسرى فأعانه وقتل الحبشة ودخل صنعاء واحتل قصر غمدان الذى هدمه عثمان رضى الله تعالى عنـــه وله رسوم باقيـــة والمحراب الغرفة سميت بذلك لعلوّهـــا وقيل المحراب أكرم مجلس فى البيت ومن هنا قيـــل محراب المسجد والدمى جمع دُمْيـــة وهى الصورة ومحراب الدمى غرفة بصنعاء فيها صور حسان قالوا وصنعاء باليمن وتَدْمُر بالشأم وإصْطَخر بفارس والأُبُـــلَّة بالعراق ولا يدرى من بناها ونهرهـــا وغُوطة دِمَشْق ونهر بَلْخ جنان الدنيـــا الثلاث أو هى أربعٌ شِعْبُ بَوّانٍ وصُغْد سَمَرْقَنْد أو سَوادُها ونهر الابلة وغوطة دمشق

« ثم ابن هنــد باشرت نيرانُه * يوم أوارةٍ تميا بالصَّــلا »

هو عمرو بن هند كان أخوه أسـعد مسترضَعا فى بنى دارم فقتله رجل منهم نغزاهم عمرو وأقسم ليحرقن منهـم مائة فلما أحرق تسعة وتسعين اشتمّ رجل من البراجم اللحمَ فحسبه طعاما عند الملك فأقبل عليه فقال الملك ان الشقىّ وافدُ البراجم ثم كمّل به المائة قال جرير يعيّر الفرزدق

أين الذين بنـار عمرو حُرّقوا * أم أين أسعدُ فيكم المسترضَع

وأنكر أبو عبيدة احراقهم وذكر أن الرواية فى بيت جرير أين الذين بسيف عمرو قتّلوا وقد أسلفنا فى المراهب شيأ مما قيـل فى حب تميم للطعام والبراجم خمسـة من أولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وهم قيس وعمرو وغالب وكُلْفة وظُلَيم لقبوا بالبراجم لان أباهم قبض أصابعــه وقال كونوا كبراجم يدى هــذه أى لاتَفَرّقوا وذلك أعزّ لكم وأصــل البراجم رؤس السُّلاميَات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفّه نشزت وروى صاحب الاغانى حادثة الاحراق بأطول من هذا مع مخالفة فيه وأوارة بضم لهمزة اسم ماء والصلا بالفتح الوقود

« ما اعتنّ لى يأس يناجى همتى * الا تحــدّاه رجاء فاكتمى »

اعتن عرض وتحدّاه قصده واكتمى استتر اشارة لقوله تعالى (ولا تيأسوا من روح الله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون) ولجرير

أشكو اليك عيالا قد بليت بهم * لم أحص عدّتهم الا بعــدّاد
كانوا ثمـانين أو زادوا ثمـانية * لولا رجاؤك قد قتّلت أولادى

واحسن منه قول أبى العتاهية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهـدىّ يكفيها
أهيم باليأس منها ثم يطمعنى * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

« أليـــةً باليَعْمَلات يرتمى * بها النجاءُ بين أجواز الفَلا »

الاليــة الحلف واليعملات جمع يعملة وهى الناقة الشديدة والنجاء السرعة والاجواز جمع جوز وهو الوسط والفلا جمع فلاة القفر

« خُوصٌ كأشباح الحَنـايا ضُمَّرٍ * يَرْعُفْنَ بالامشاج من جذب البُرَى »

خوص أى غائرة العيون جمع خوصاء والاشباح الاشخاص واحدها شبح بفتح البـاء وسكونها والحنايا جمع حَنِيّة وهى القوس والضمر جمع ضامر وهو المهزول و يرعفن من الرعاف وهو انبعاث الدم من الانف والامشاج مايسيل من أنوفها من المخاط المتغير اللون والبرى جمع بُرة وهى حلقة تكون فى أنف البعير من فضة أو غيرها

« يَرْسُبن فى بحر الدجى و بالضحى * يَطْفُون فى الآل اذا الآل طفا »

يرسبن يغُصْن و يطفون يعلُون والآل مايرى كأنه ماء وقيل السراب

« أخفافهنّ مِن حَفًا ومِن وَجًى * مرثومة تَخْضِب مُبْيَضّ الحصا »

الخف للابل بمنزلة الحافر لغـيرها والحفا رقة القـدم فى الخف والحـافر والوجى ألم فى الرجل ومرثومة مشققة وتخضب تصبُغ .

« يحملْن كل شاحِب مُحْقَوْقِف * مِن طُول تَدْآب الغُدُوّ والسُّرَى »

الشاحب المتغير لونه والمحقوقف المنحنى ظهره والتدآب تفعال من الدأب فى العمل وهو الجدّ فيه والغُدُوّ البكور والسرى السير بالليل

« بَرٌّ بَرَى طولُ الطَّوَى جُثمانَه * فهو كقِدْح النبع مَحْنِيّ القَـرَا »

البر المطيع و برى نحـل والطوى خلو البطن من الطعام وجثمانه شخصه والقـدح هنا العود الذى تعمل منـه القسىّ لان القدح السهم بلا نصـل ولا قُذَذ والقدح أيضا الواحد من قداح الميسر والنبع ضرب من الشجر تعمل منـه القِسِيّ ومحنى معطوف والقرا الظهر

« ينوى التى فضّلها ربُّ العُلَى * لمّـا دحا تربتَهـا على البُـنَى »

ينوى يقصد مكة التى فضلها رب السموات العلى بأن جعل فيها بيتـه الكريم ودحا الارض أى بسطها من تحتها والبنى جمع بنية بضم الباء وكسرها فيهما وهى مابنيته

« حتى اذا قابلهـا اسـتعبر لا * يملك دمعَ العين من حيث جرى »

قابلها نظر اليها يعنى مكة المكرمة واستعبر ملأ الدمع عينه

« ثُمَّتَ طاف وانثنى مستلمـا * ثمت جاء المـروتين فسـعا »

ثمت بفتح التاء للوزن طاف بالبيت طواف القدوم وانثنى انعطف بعد صلاة ركعتين مستلما مقبلا أو ماسا الحجر الاسود بيده واضعا لها على فيه ثم سعى بين الصفا والمروة وهما المروتان تغليبا

« وأوجب الحجَّ وثنَّ عمــرة * من بعد ماعج ولَبَّى ودعا »

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أىّ الحج أفضـــل فقال العَجّ والثَّجّ فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج نحر الابل

« ثُمَّتَ راح فى المُلَبِّينَ الى * حيث تَحَجَّى المَأْزمان ومِنًى »

تحجى بالمكان أقام والمأزمان جبلان بين عرفة والمزدلفة ومنى موضع الرمْى

« ثم أتى التعريفَ يَقْرو مُخْبِتا * مَراقِفا بين أَلال فالنقـا »

التعريف عرفات ويقرو يقصد والال ككتاب وسحاب جبل وسط عرفة ويسمى جبل الرحمة والنقا كثيب من الرمل عن يمين الامام

« واستأنف السبعَ وسبعا بعدها * والسبع مابين العِقاب والصُّوَى »

أى طاف طواف الافاضة أشواطه السبعة وقوله سبعا بعدها أراد به حصيات جَمْرة العقبة وقوله والسبع مبتدأ وما بين الخ خبر أى وهذه السبع أى الحصيات مابين العقاب بكسر العين جمع عقبة بالتحريك والصوى بضم الصـاد الارض الغليظة ومعلوم أن ما بينهما هو جمرة العقبة

« وراح للتوديع فيمن راح قد * أحرز أجرا وقلا هُجْرَ اللَّغـا »

التوديع طواف الوداع وقلا أبغض والهجر بالضم الفحش فى المنطق واللغـا كالفـتى باطل الكلام

« بذاك أم بالخيل تَعْدو المَرَطَى * ناشزة أكتادُهـا قُبَّ الكُلَى »

أى أقسم باليعملات أم بالخيل التى تعدو أى تجرى المرطى بفتحات نوع من العَدْو حالة كونها ناشزة أى مرتفعة اكتادها جمع كتد بفتح التاء وكسرها وهو العظم الذى يكون فى رأس الكتف وقبّ جمع أقب أى ضامر والكلى جمع كُلْية وكُلْوة وهما كُلْيتان وتجمع أيضا على كُلْيات

« شُعْثا تَعَادَى كسراحين الغضا * قُبْلَ الحَمَـالِق يُبارين الشَّبَا »

شعثا ثائرة الأعراف وتعادى بحذف احدى التاءين من العَدْو والسراحين جمع سِرْحان وهو الذئب والغضا شجر جَمْره شـديد وقبل بضم القاف أى مائلات والحماليق بواطن الاجفان ويبارين يعارضن والشبا جمع شباة وهى حدُّ الشئ

« يحملن كلَّ شَمَّـرِىّ باســـل * شَهْمِ الجَنَان خائض غَمْرَ الوغا »

الشمرى المشمر لملاقاة أقرانه والباسل الجرىء وغمر الحرب شدّتها ومعظمها شبهت بغمر المـاء والوغا بالمعجمة والمهملة الاصوات فى الحرب ثم سميت الحرب بذلك

« يغشى صلا الموت بخدَّيه اذا * كان لظى الموت كَريهَ المصطلى »

يغشى يدخل صـلا الموت نار الحرب على طريق الاســتعارة والتعبير بالخدين مجاز مرسل عن الوجه بل عن جهته كلها اذ المراد الكَرّ دون الفَرّ وفى وصف أصحاب سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جراحاتهم وشجـاجهم كلها فى جهة الوجه من نحو الصـدر ولم يكن فيها شئ من جهة القفا والاشعار العربية فى ذلك كثيرة وقصيدة عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثى الاسلامى التى يقال انها للسموأل اليهودى وهى التى أوّلها

اذا المرء لم يَدْنَس من اللؤم عرضُه * فكـل رداء يرتديه جميـــل

مشهورة وهى فى ديوان الحماسة مسطورة

« لو مُثِّل الحتفُ له قِرْنا لمـا * صدّته عنـــه هيبة ولا انثنى »

الحتف الموت والقرن المِثْل

« ولو حمى المقدارُ عنه مهجةً * لرَامَهَـا أو يستبيح ما حمى »

يصف ذلك الشمرى بانه يغلب القَدَر وهو معنى تداولته الشعراء وأكثرهم ولوعا به المتنبى وهو غلو فاحش ان لم يكن كفرا ولا يجدى فيـــه تمحل بعض الشراح بان القضاء قسمان مبرم ومعلق وان مثل ذلك فى المعلق لانه إما أن يسـبق العلم القديم بوقوعه وإما أن لا يسبق فهو مبرم كله وأبرد من ذلك حمله قول ابن دريد بعد هذا البيت السابق

« تغـدو المنايا طائعاتٍ أمره * ترضى الذى يرضى وتأبى ما أبى »

على أنه من قبيل من أطاع الله أطاعه كل شئ

« بل قَسَما بالشُّمّ من يَعْرُبَ هل * لُمقْسِم من بعـــد هذا منتهى »

يعرب أبو قبيـــلة من العرب وهو ابن قحطان وذكر الشارح الطـبرى فى كتابه عيون المسائل أن جميع العرب من ولد ثلاثة رجال عدنان وقحطان وقضاعة وقوله هـل لمقسم الخ أنظر ذلك مع قول النابغة

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمـرء مذهب

« هُمُ الأُلَى إن فاخروا قال العلا * بِفِى امرئ فاخَرَكُم عَفْـرُ البَرَا »

العفر التراب وكذا البرا ويطلق البرا أيضا على الخلق

« هم الألى أجرَوْا ينابيعَ الندى * هامية لمن عرا أو اعتفى »

الينابيع العيون وهامية سائلة والندى الكرم وعرا تعرّض واعتفى طلب المعروف قالوا وأحسن ماقيل فى الاعتناء بأمر الضيف قول مهيار الديلمى

ضربوا بمدرجة الطريق قِبابَهم * متقارعين على قِرى الضـيفان

ويكاد مُوقدهم يجود بنفســه * حُبّ القِرَى حَطَبا على النّيران

وأبلغ منه قول الحُطَيئة

وطاوِى ثلاثٍ عاصِب البطن مُرْمِل * ببيـداءَ لم يعرف بها ساكن رسمـا

أخى جفوة فيه من الإنْس وحشة * يَرَى البؤسَ فيها من شَراسته نُعْمَى

وأَفـرَدَ فى شِـعبٍ عجوزًا إزاءَهـا * ثلاثةَ أشـــباح تَخَـالُهُـم بَهْـمَا

حُفَـاةً عراة ما اغتـذَوا خُبْزَ مَلّةٍ * ولا عرفوا للـبُرِّ مذ خُلِقـوا طَعما

رأى شَبَحا وسْـط الظلام فراعه * فلمـا رأى ضـيفا تشـمّر واهتمّا

فقال هيـا ربّاهُ ضـيف ولا قِرى * بحقك لاتحـرمه تاالليـلَةَ اللَّحْما

فقـال ابنُـه لمّـا رآه بحـيرة * أيا أبت اذبحْـنى ويسّرْ لهـم طُعما

ولا تعتذر بالعُـدْم علّ الذى طرا * يظنّ لنـا مالاً فيوسـعنا ذمّا

فروّى قليـلا ثم أحجم برهـة * وإن هو لم يذبحْ فتـاه فقـد هَمّا

فبينا همـا عَنّت على البعـد عانة * قد انتظمت من خلف مِسْحَلِها نظما

عِطاشا تُريد المـاءَ فانساب نحوَها * على أنه منهـا الى دمهـا أظـمى

فأمهلها حـتى تروّت عطاشُـــها * فأرســل فيهـا من كِنانتـه سهما
فخرّت نَحُوص ذاتُ جَحش سمينـةٌ * قد اكتنزت لحمـا وقد طُبّقت شحما
فيـا بِشْرَه اذ جرّهـا نحو قومـه * ويابشـــرهم لمـا رأوا كَلْمَهَا يَدْمى
وباتوا كِراما قد قضَوا حَقّ ضيفهم * وما غَرِموا غُرْما وقـد غنِموا غُنْما
وبات أبوهم مِن بشاشـتِه أباً * لضـيفِهِمُ والأمُّ من بِشرِهـا أمّا

وقال الآخر

ويدلّ ضيفى فى الظلام على القِرَى * اشــراقُ نارى وارتياحُ كلابى
حــتى اذا أبصرنَه وسمِعْنَه * حيّيْنَــه ببصـابص الاذناب

وهجا القطامى امرأة منعته القرى بقصيدة منها

فلما بدا كرهانُها الضيفَ لم يكن * علىَّ مبيتُ السوء ضربةَ لازب
الا انمـا نيران قيس اذا شَـتَوا * لطارق ليل مثـلُ نار الحُبَاحب

والكلام فى ذلك كثير وقوله كرهانها كذا بأصــل الطبرى ولم أقف على هذه اللفظة والذى فى ديوانه حِرْمانُها ومُنَاخ السُّوء

« هم الذين دوّخوا مَن انتخى * وقوّموا مِنْ صَعَر ومِنْ صَغا »

دوّخوا ذللوا وانتخى أى تكبّر من النخوة وقوّموا أقاموا والصعر ميل الخدّ خاصة والصغا مطلق الميل يقول انهم أذلوا كل متكبر

« هم الذين جرّعوا من ماحلوا * أفاوِقَ الضـيم مُمِرّاتِ الحَسَا »

ماحلوا أى عرّضوا للهلاك والافاوق الافاويق حذف ياءها للضرورة وهى جمع أفواق جمع فِيقة للبن الذى يجتمع بين الحلبتين فى الضرع كذا فى القاموس وفى شرح ابن هشام الافاويق جمع فواق بفتح الفـاء وضمها وهو اجتماع اللبن فى الضرع بين الحلبتين ثم قال ناقلا عن ثعلب عن الفرّاء وأما الريح التى تخرج من المعدة فهو بالضم مهموز لاغير ومَن ماحلوا مفعول جرّعوا الاول وأفاوق مفعوله الثانى وممرات من أمر الشئ ضدّ حلا كمرّ حال من أفاوق الضيم وان كانت مضافة لما فيه أل فان اضافتها فى تقدير الانفصال لان الحسا هى التى أمرت فهى فاعلة فى المعنى فهو من قبيل الحسن الوجه والحسا جمع حَسْوة

وهى ملء الفم من المـاء وفى القاموس انه اسم مايُحتَسَى أى يشرب شـيأً فشيأً ثم ذكر ماأقسم عليه باليعملات ومابعدها فقال

« أزالُ حَشْــوَ نَثْرة موضونة * حتى أُوارَى بين أثنـاء الحَثَا »

أى لازال والنثرة الدرع والموضونة المحكمة وأثنـاء جمع ثِنًى بالقصر وثِنْيٍ وهو تراكب الشئ بعضه فوق بعض والحثا كالثرى التراب وهـذا البيت مبنى على مراعاة الحزم حتى فى أوقات الأمن كما قال مسلم

تراه فى الأمن فى دِرْعٍ مضاعَفة * لايأمن الدهرَ أن يأتى على عجل

وهو ضدّ قول الاعشى

كنت المقدّم غير لابس جُنّــة * بالسـيف تضرب مُعْلما أبطالها

« وصاحباى صـارم فى متنــه * مثلُ مَدَبِّ النمل يعلو فى الرُّبَا »

يريد بصاحبيه السـيف والفرس الآتى ذكره وصارم ماض فى الضريبة ومتنه ظهره ومدب النمـل أثره والربا جمـع ربوة وهى ماارتفع مـن الارض وهو مأخوذ من قول بعضهـم

ولم يستشر فى أمره غير نفســه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وقال أوس بن حجر

كأنّ مدب النمل يتبـع الربا * ومدرج ذرّ خاف بردا فأسهلا

على صفحتيه بعد حين جلائه * كفى بالذى أبلى وأنعت مُنْصُلا

وقال غيره

وصـقيل كأنمـا درج النمـ * ـل على متنه لرأى العيون

وكان الشيخ صفى الدين الحلىّ فى درسه بمنزله مستندا الى حائط عليه نمل كثير فقال بعض الحـاضرين

مالى أرى منزل المولى الاجل به * نمــل تتـابع فى ارجائه زمرا

فأجابه الصفىّ بداهة

لاتعجبوا من حلول النمل ساحتنا * فالنمل من شأنه أن يتبع الشـعرا

ثم وصف ابن دريد سيفه بقوله

« أبيض كالملح اذا انتضيتــه ＊ لم يلق شـيئًا حدُّه الا فــرا »

انتضيته سللته وفرى قطع وهو من قول بعضهم

وكيف ينام الليل من جل همه ＊ حسام كلون الملح أبيض صارم

وكان عليّ عليه السلام يضرب بسيفه حتى ينثنى فيخرج ويقول لاتلومونى ولوموا هذا ثم يقوّمه والى ذلك أشار بعض شعراء الاندلس بقوله

فعـاقر سـيفك حتى انثنى ＊ وعربد رمحك حتى انكسر

وقال كشاجم

كأنـ نمـلا دارجا ＊ صـعد فيــه وهبط

ماض ترى فى متنــه ＊ ماء بنـــار اختلط

يقدّ انــ أعملتــه ＊ طولا وان عارض قط

ثم قال ابن دريد

« كأنـ بين عَيره وغَربه ＊ مُفْتَأَدا تأكّلت فيـه الجُذَى »

العير الناشز فى وسط السيف والغرب الحدّ والمفتأد التنور وتأكلت أكل بعضها بعضا والجذى جمع جذوة وهى الجمرة العظيمة

« يرِى المنون حين تقفو أثره ＊ فى ظلم الاكباد سبلا لا ترى »

يقول ان هذا السـيف دليل المنيــة فهو يريها الطرق ويدلها على الارواح وهو قريب من قول الآخر

مشت الهوينا فى الصدور سيوفكم ＊ حتى عرفنــ مسالك الارواح

« اذا هوى فى جثـة غادرهــا ＊ من بعد ما كانت خَسًا وهى زَكَا»

الخسا الفرد والزكا الزوج وهو مأخوذ من قول النابغة

يقــدّ السلوقى المضاعف نسجه ＊ ويوقد بالصفاح نار الحباحب

السلوقى نسبة لسلوق كصبور بلد باليمن تنسب اليه الدروع والكلاب يريد أنه يقدّ الدرع المضاعفة ولابسها والمركوب حتى يصير الى الحجارة التى بالارض فيقدح النار وأبلغ من ذلك مايقال انه أكذب بيت قالته العرب وهو

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهام

أى لوجمعت ذراعى جزور وساقيها وعنقها ثم ضربتهن به لقطعهن ووصل الى الارض وساخ فيها فتظل تحفر عليه

«ومشرف الاقطار خاظ نحضه * حابى القصيرى جرشع عرد النسا»

مشرف مرتفع والاقطار ما أشرف من الجسم كعجزه ورأسه وخاظ بالخاء المعجمة والظاء المشالة اسم فاعل من خظا لحمه خظوا اكتنز والنحض بفتح النون اللحم حابى مرتفع القصيرى بضم القاف وفتح الصاد المهملة والراء آخر الاضلاع والجرشع بضم الجيم وفتح الشين المعجمة الضخم الصدر والعرد بفتح العين المهملة الشديد والنسا بفتح النون عرق سبق الكلام عليه فى شرح ألا عم صباحا

«قريب ما بين القطاة والمطا * بعيد ما بين القذال والصلا»

القطاة مقعد الردف والمطا الظهر والقذال جماع مؤخر الرأس وهو معقد العذار والصلا واحد الصَلَوين وهما عرقان يكونان على أصل الذنب

«سامى التليل فى دسيع مفعم * رحب اللبان فى أمينات العُجا»

سامى مرتفع والتليل بالتاء المثناة فوق كأمير العنق والدسيع كأمير أيضا مغرز العنق فى الكاهل ومفعم ممتلىء ورحب واسع واللبان بالفتح الصدر وأمينات سليمات صلاب يؤمن عليها والعُجا كهُدى جمع عجاية بالضم عصبة فى باطن اليد وهذا البيت يشير الى ماروى ان الحجاج سأل أحد فصحاء العرب عن صفة الجواد فقال أصلح الله الامير الطويل الثلاث القصير الثلاث الرحب الثلاث الصافى الثلاث فقال له صفهنّ وبين لفظك فقال أما الطويل الثلاث فالأذن والعنق والذراع وأما القصير الثلاث فالعسيب والساق والظهر وأما الرحب الثلاث فالمنخر والجبهة واللبان وأما الصافى الثلاث فالاديم والعين والحافر اه والعسيب عظم الذنب

«رُكّبْنَ فى حواشب مُكْتَنّة * الى نُسُور مثل ملفوظ النوى»

رُكّبن حال من تلك العجا السابقة والحواشب جمع حوشب كجعفر وهو موصل الوظيف فى رسغ الدابة ومكتنة مستورة والنسور جمع نسر بفتح النون وهو لحمة فى باطن حافر الفرس

من أعلاه شبهها بالنواة فى الصلابة وقال ركبن بضمير الجماعة مع انه ليس للفرس سوى عجايتين بناء على ان مدلول الجمع مافوق الواحد قال تعالى (هذان خصمان اختصموا فى ربهم)

« يرضخ بالبيـد الحصى فان رقا * الى الربى أورى بها نار الحبا »

يرضخ بالخاء المعجمة والحاء المهملة يكسر والبيد جمع بيـداء وهى القفر الحصى صغار الحجارة ورقا ارتفع وأصله الهمز كذا قال الشراح ويحتمل انه رقى من حدّ علم ثم استعمله من حدّ ضرب على لغة طيء وهم يكرهون مجيء الياء المتحركة بعد الكسرة فيفتحون ماقبلها لتنقلب الى الألف فيقولون فى بقى بقا وفى رضى رضا قال شاعرهم وهو سيدنا زيد الخير الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكان اسمه زيد الخيل

أفى كل عام مأتم تبعثـونه * على مِحْمَرٍ عود أثيب وما رضا

يقول فيها فلولا زهـير أن أكدّر نعمة * لقاذعت كعبا مابقيت وما بقا

فى جملة أبيات يردّ بها على سـيدنا كعب بن زهير والمحمر بوزن مِنْبَر يريد به أنه فرس هجين أخلاقه كأخلاق الحمير بطيء الحركة والعود المسن وأثيب جعـل ثوابا وما رضا أى وما رضى وقوله أكدّر نعمة بدل اشتمال من زهير بتقدير الرابط والتقدير فلولا تكدير نعمة لزهير والقذع الشتم وبقا بقى والربى جمع ربوة وأورى أوقد بها نار الحبا أى الحُبَاحِب بضم الحاء الأولى وكسر الثانية وفيه اكتفاء كقوله تريك المنا برؤس الاسل أى المنايا وقد سبق شئ من ذلك وأحسن من شبه ظهور النار من قدح الحوافر ابن المعتز حيث قال

وكأنما نقشت حوافر خيـله * للناظرين أهـلة بالجلمـد

وكأن طرف الشمس مطروف وقد * جعـل العجاج له مكان الاثمـد

فائدة نيران العرب اثنتـا عشرة نارا (الاولى نار القرى) وهى نار توقد لاسـتدلال الاضياف بها على المنزل وأول من أوقد النار بالمزدلفة حتى يراها من دفع من عرفة قصى ابن كلاب (الثانية نار الاستمطار) كانت العرب فى الجاهلية الاولى اذا احتبس عنهم المطر يجمعون البقر ويعقـدون فى أذنابها وعراقيبها السَّلَعَ والعُشَر وهما نباتان ويصعدونها فى الجبل الوعر ويشعلون فيها النار ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر قال أمية بن أبى الصلت يذكر ذلك

سـنة أزمة تخيـل بالنـا * س ترى للعضاه فيها صريرا
لا على كوكب ينـوء ولا ريـ * ـح جنوب ولاترى طخرورا
ويسوقون باقر السهـل للطو * د مهازيل خشـية أن تبورا
عاقدين النيران فى ثكن الاذ * ناب منها لكى تهيج البحورا
سَلَعٌ مّا ومثـله عُشَرٌ مّا * عائل مّا وعالت البَيْقُـورا

وتعقبه الصاغانى أى أن السنة المجدبة أثقلت البقر بمـا حملت من السلع والعشر قال الجوهرى وانما كانوا يفعلون ذلك فى السنة الجدبة فيعمدون الى البقر فيعقدون فى أذنابها السلع والعشر ثم يضرمون فيها النار وهم يصعدونها فى الجبـل فيمطرون لوقتهم زعموا اه وقال الشاعر

لادرّ درّ أناس خاب سـعيهم * يستمطرون لدى الازمات بالعشر
أجاعل أنت بيقـورا مسـلعة * ذريعـة لك بين الله والمطر

وأنشد البيت الثانى الامام الجوهرى فى مادة سلع وقال المجد فيها ان فى البيت تسعة أغلاط ولم يبينها لاهو ولا شارحه واليك بيانهـا . الاول ادخال الهمزة على غير محـل الانكار وهو جاعل والواجب ادخالها على المسلعة لانها محل الانكار (نحو أفغـير دين الله يبغون) . الثانى تقديم المسند وهو جاعل على المسند اليـه وهو أنت وهو خلاف الاصل فلا يُرْتَكَب الا لسبب فكان الواجب تقديم المسلعة وادخال الهمزة عليهـا وترك التقديم بأن يقال أمسلعة أنت جاعل ذريعـة . الثالث أن ترتيب البيت على ماقبله يقتضى أنه قصد الالتفات من الغيبة الى الخطاب قطعا وأنه بعـد أن حكى حالهم الشائعة التفت الى خطابهم ومواجهتهم بالتوبيخ حتى كأنهم حاضرون يستمعون وحينئذ يكون قد أخطأ فى ايراد أحد اللفظين بالجمع والآخر بالافراد ولا شك أن شرط الالتفات الاتحاد . الرابع أن الجاعلين الذين حكى عنهم فى البيت الاول هم العرب فى الجاهلية فلا وجه لتخصيص واحد منهم بالانكار عليه دون البقية لايقال هذا الوجه داخل فى الذى قبله لانا نقول هذا وارد بقطع النظر عن كون الكلام التفاتا أو غير التفات من حيث انه نسب أمرا الى جماعة ثم خص واحدا منهم بالانكار من غير التفات الى الالتفات أصلا . الخامس تنكير المسند

اذ لاوجه له مع تقدّم العهد اذ قد علم أن مراده بالجاعل هم الاناس المذكورون فى البيت الاول فكان حق الكلام أن يقال أمسلعة أنتم الجاعلون . السادس البيقور اسم جمع كما فى القـاموس واسم الجمع وان كان يذكر ويؤنث لكن قال الرضى فى بحث العـدد مامحصله ان اسم الجمع ان كان مختصا بجمع المذكر كالرهط والنفر بمعنى الرجال فيعطى حكم المذكر فى التذكير فيقال تسعة رهط لاتسع كما يقـال تسعة رجال لاتسع وان كان مؤنثـا فيعطى حكم جمع الاناث نحو ثلاث مخـاض لانها بمعـنى حوامل النوق وان احتملهما كالخيل والابل والغنم لانهـا تقع على الذكور والاناث فان نصصت على أحد المحتملين فان الاعتبار بذلك النص اه فقد صرح بانها اذا استعملت مرادا بها الذكور تعطى حكم الذكور وقد نص صاحب القاموس وغيره على أنهم كانوا يعلقون السلع على الثيران فبهذا الاعتبار لايجوز وصف البيقور بالمسلعة . السابع ايراد المسلعة صفة جارية على موصوف مذكر والذى يظهر من عبارة صاحب الصحاح أنهـا اسم للبقرة المعلق عليهـا السلع للاستمطار لاصفة محضـة حيث قال ومنه المُسَلَّعة الخ ولم يقل ومنه البقرة المسلعة وقال السـيوطى فى شرح شواهد المغنى نقلا عن أئمة اللغة إن المسلعة ثيران وحش علق فيها السلع وحينئذ فلا يجرى على موصوف كما أن لفظ الركب اسم لركبان الابل مشـتق من الركوب ولم يستعمل جاريا على موصوف فلا يقال جاءتنى رجال ركب بل جاءنى ركب . الثـامن أن المنصوص عليه فى كتب اللغة أن الذريعة بمعنى الوسيلة لاغير وأن الوسيلة مستعملة فى التعدية بالى فاستعمال الذريعـة فيها بدون الى مع لفظ بين مخـالف لوضعها واستعمالها المنصوص عليـه وأما اللام فى لك فانها للاختصاص فلا دخل لها فى التعدية كما يقال أرسلت هذا الكتاب تحفة لك . التاسع قوله بين الله والمطر لامعنى له والصواب بينك وبين الله لاجل المطر وذلك لانهم كانوا يشعلون النار فى السلع والعشر المعلقة على الثيران ليرحمها الله تعالى وينزل المطر اه محصل ما ذكروه من تلك الاغلاط وظاهر أنها أو معظمها ليس من الغلط فى شئ (الثالثة من نيران العرب نار التحالف) كانوا اذا أرادوا الحلف أوقدوا نارا وعقدوا حلفهم عندها ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العَقد (الرابعة نار الطرد) كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يشتهون رجوعه

(الخامسة نار الاهبة للحرب) كانوا اذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا أوقدوا نارا على جبلهم ليبلغ الخبر فيأتونهم (السادسة نار الصيد) وهى نار توقد للظباء لتعشى اذا نظرت ويطلب بها أيضا بيض النعام (السابعة نار الاسد) وهى نار يوقدونها اذا خافوه وهو اذا رأى النار استهالها فشغلته عن السابلة وقال بعضهم اذا رأى الاسد النار حدث له فكر يصدّه عن ارادته والضفدع اذا رأى النار تحير وترك النقيق (الثامنة نار السليم) توقد للمدوغ اذا سهر وللمجروح اذا نزف وللمضروب بالسياط ولمن عضه الكلب الكلِب لئلا يناموا فيشتدّ بهم الامر ويؤدى الى الهلاك (التاسعة نار الفداء) وذلك انّ الملوك اذا سبوا القبيلة خرجت اليهم السادة للفداء فكرهوا أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن وفى الظلمة يخفى قدر مايحبسون لانفسهم فيوقدون النار ليعرضن (العاشرة نار الوسم) قرّب بعض اللصوص ابلا للبيع فقيل له مانارك وكان أغار عليها من كل وجه وانما سألوه عن ذلك لانهم يعرفون ميسم كل قوم وكرم ابلهم من لؤمها فقال

تسألنى الباعة أين نارها * إذ زعزعتها فسمت أبصارها

كل نجار ابل نجارها * وكل نار العالمين نارها

وقد اكتفينا فى أنواع الوسم بكتابنا المطبوع بهذه المطبعة

(الحادية عشرة نار الحرتين) كانت فى بلاد عبس فاذا كان الليل فهى نار تسطع فى النهار دخان يرتفع وربما بدر منها عنق فاحرق من مرّ بها فحفر لها خالد بن سنان فدفنها فكانت معجزة له

(الثانية عشرة نار السعالى) وهو شئ يقع للتغرب والمتقفر قال أبو المضراب عبيد بن أيوب

ولله در الغول أىّ رفيقة * لصاحب دوّ خائف متقفر

أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت * حَوَالَىَّ نيرانا تَبُوخ وتزهر

وأما نار الحباحب فكل نار لاأصل لها مثل مايقتدح من نعال الدواب وغيرها وأما نار اليراعة فهى طائر صغير اذا طار فى الليل حسبته شهابا وضرب من الفراش اذا طار فى الليل حسبته شرارا وأول من أورى نارها أبو حباحب بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة فقالوا نار أبى حباحب وكان بخيلا لاتوقد له نار بليل مخافة أن يقتبس منها فان أوقدها ثم أبصرها مستضىء أطفأها فضربت العرب به المثل

فى البخل والخلف فقالوا أخلف من نار أبى حباحب وقيل كان لاينتفع بماله لبخا فنسب اليه كل نار لاينتفع بها فقيل لما تقدحه حوافر الخيل على الصفا نار الحباحب وزاد بعضهم نار الغـدر كانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان وكانت لهم نار باليمين لها سدنة فاذا تفاقم الامر بين القوم حلف بها انقطع النزاع وكان اسمها هولة والمهولة وكان سادنها اذا أتى برجل هيبه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيهـا الملح والكبريت فاذا وقع فيها استشاطت وتنغضت فيقول هذه النار قد تهددتك فان كان مريبا نكل وان كان بريئا حلف قال الكميت

همو خوّفونا بالعمى هوّة الردى * كما شب نار الحالفين المهوّل

وقال وذكر امرأة

فقدصرت عماهابالمشيب * زوالا لديهـا هو الازول

كهولة ما أوقـد المحلفون * لدى الحالفين وما زولوا

وقال أوس

اذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه * كما صـدّ عن نار المهوّل حالف

وكانوا فى نارالاهبة اذا جَدُّوا وأعجلوا أوقدوا نارين قال الفرزدق

ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا * نارين أشرفتـا على النيران

ثم قال ابن دريد

« يدير إعليطين فى ملمومة * الى لموحين بألحـاظ اللّأَى »

يدير يصرف والاعليط بكسر الهمزة وبالعين والطاء المهملتين يطلق فى الاصـل على وعاء ثمر المرخ والمراد به هنا اذنا الفرس شبهتا به فى الحـدّة والانتصاب والملمومة الرأس المجتمعة كالحجر واللوحان العينان والالحاظ جمع لحظ وهو مؤخر العين من جهـة الصدغ ويطلق على النظر أيضا واللأى الثور الوحشى أو البقرة سُمِع تبيع لَآكَ هذه أى بقرتك

« مداخل الخلق رحيب شجره * مخلولق الصهوة ممسود وَأَى ».

مداخل الخلق مجتمعه ورحيب واسع والشجر مجتمع عظم اللحيين ومخلولق أملس والصهوة مقعد الفارس وممسود مفتول ووأى قوىّ أو طويل

«لو اعتسفت الارض فوق متنه * تجوبها ماخفت أن يشكو الوجى»

اعتسفت الارض قطعتها بغير قصد ومتنه ظهره وتجوبها تقطعها والوجى وجع باطن الرجل

«لاصَكَك يشينـــه ولا فجـا * ولا دخيس واهن ولا شـــظا»

الصكك اصطكاك الكعبين وتدانيهما حتى يضرب بعضهما فى بعض ويشينه يعيبه والفجا افراط تباعد مابين الكعبين وهو الفحج والدخيس ورم فى الحافر وواهن ضعيف والشظى انشقاق الرسغين

«يجـــرِى فتكبو الرِيح فى غاياته * حَسْرَى تلوذ بجرائيم السـحا»

تكبو تسقط وغاياته نهاياته وحسرى كليـلة وتلوذ تتقى والجرائيم جمع جرثومة الاصـل والسحا شجر وهو كقول الآخر فى فرس

اذا ماسابقتها الريح فــرّت * وألقت فى يد الريح الـترابا

« تظنـــه وهو يُرَى محتجبـــا * عن العيون ان ذَأَى وان رَدَى »

محتجبا مفعول ثان لتظن وجملة وهو يرى حاليـــة والذَأْيُ والرَدْيُ ضربان من العَدْو

«اذا اجتهدت نظــــرا فى إثره * قلتَ سَنًى أومض أو برق خفا»

السنا الضوء وأومض أضاء وخفا خفوا لمع

«كأنمـا الجـــوزاء فى أرساغه * والنجم فى جبهتـــه اذا بدا»

الجوزاء من البروج والارساغ جمع رسغ وهو مابين الحافر والوظيف شـــبه التحجيل فى أرساغ الفرس بكواكب الجوزاء والوظيف هو الموضع الذى يقع عليـــه القيد والنجم الثريا شبه بها غرّة وجه الفرس

«هما عتادى الكافيان فقد من * أعددته فليناً عنى من نأى»

العتاد بفتح العين العدّة والنأى البعد والمراد سيفه وفرسه

«فان سمعت برحى منصوبة * للحرب فاعلم أننى قطب الرحا»

الرحا معظم الحرب ووسطها سميت بذلك لانهم يستديرون فيها عند القتال ولانها تهلك من حصل فيها قال رؤبة

فـدارت رحانا بفرسانهـم * فعادوا كان لم يكونوا رميا

وكذلك رحا السحاب معظمها ومنصوبة مهيئة وقطبها الحديدة الناتئة فى وسطها وهى التى تدور عليها وفيــه ثلاث لغات فتح القاف وكسرها وضمها يقول متى كانت حرب بين قوم فأنا رئيسهم ومدارهم الذى يطوفون عليه

« وان رأيت نا ر حرب تلتظى * فاعلم بأنى مسـعر ذاك اللظا »

تلتظى تفتعل من اللظا وهو اللهب

« خير النفوس السائلات جهرة * على ظبات المرهفات والقنا »

جهرة علنا وظبة كل شئ حدّه والجمع ظبات والمرهفات السيوف الرقاق والقنا الرماح

« انــ العراق لم أفارق أهله * عن شنآن صـدّنى ولا قلا »

قال الشارح الطبرى أصـل العراق شاطئ البحر ثم استعمل فى الكوفة لكونها عليه وهو اقليم كبير متسع مشتمل على بلاد كثيرة كخراسـان وهو ممـا فتح صلحا من البلدان وممـا اتفق سـنة احدى وأربعين وتسعمائة أن افتتحه السلطان سليمان خان واستخلص غرر بلاده من يد ملك العجم اسماعيل شاه وأرخ الواقعة عمّ والدتى القاضى عبداللطيف ابو كثير وكان اذ ذاك بالديار الرومية فقال

ولمـا أحلت ظبـا نا لنـا * دم الشاه واستحكمت سلخه

فتحنا العراق وذا اللفظ من * لطافتــه كانـ تاريخـــه

فأجازه بتفويض قضاء مكة واعمالها اليه وغير ذلك من نظر المسجد الحرام وخطابته اه

« ولا اطَّبى عينىّ مذ فارقتهـم * شئ يروق الطرف من هذا الورى »

اطبى بتشديد الطاء افتعـل من الطبو وهو الدعاء والاستمالة و يروق يعجب والطرف بفتح الطاء العين والورى الخلق

« هم الشّناخِيب المنيفات الذرى * والناس أدحال سواهم وهُوَى »

الشناخيب رؤس الجبال جمع شنخوب والمنيفات المشرفات والذرى الاعالى جمع ذروة بكسر الذال وضمها والادحال جمع دحل وهو الحفر فى الارض يتسع من أسفله و يضيق من أعلاه والهوى جمع هوّة بمعناه

« هـــم البحـــور زاخر آذيُّهـــا * والناس ضَحضاحٌ ثِغابٌ وأضا»

زاخر مرتفع والاذىّ الموج بالذال المعجمة والضحضاح المـاء القليل الذى يخـاض بالأرجل فيصــل الى الكعبين والثغاب بالثاء المثلثة والغين المعجمة جمع ثغب بالتحريك وبسكون الغين الغدير والاضا جمع أضاة المستنقع من سيل أو غيره

«ان كنت أبصرت لهم من بعدهم * مثلا فأغضيت على وخز السَّفا»

أبصرت رأيت ومثلا شبها وأغضيت كسرت أجفانى والوخز طعنة غير نافذة والســفا شوك البُهمى والسنبل وكل شئ له شوك والواحدة سفاة

« حاشا الاميرين اللذين أوفدا * علىّ ظلا من نعـيم قد ضفا »

مراده بالاميرين الشاه وأخوه أبو العباس اسماعيل ابنا ميكال المقـــدّم ذكرهما أوّل الشرح وكانا عاملين على فارس فكان لا يصدر كتّاب الديوان الا عن رأيه ولا ينفذ أمر الا بعــد توقيعه فأفاد معهما أموالا عظيمة وأجازاه على المقصــورة عشرة آلاف درهم ثم رحل الى بغــداد ورتب له الخليفة المقتدر خمسين دينارا كل شهر فلم تزل جارية عليــه الى أن مات وأوفد بالفاء أرســلا والظل فى اللغة الفَىء من سحاب أو غيره وضفا بالضاد المعجمة والفاء طال

« هما اللذانــ أثبتــالى أملا * قد وقف اليأس به على شفا »

الشفا آخر الامر وآخر العمر وبقية الهلال وبقية البصر وبقية النهار

« تلافَيَــا العَيْشَ الذى رنّقــه * صَرفُ الزمان فاستساغ وصفا»

تلافيا تداركا على قصد منهم لاصلاحه والعيش المطعم والمشرب ورنقه كدّره وصرف الزمان نوائبه وتقلبه من حال الى حال واستساغ وانساغ سهل وصفا خلص

« وأجْرَيا ماءَ الحيــا لِى رغَــدا * فاهتزّ غصنِى بعد ما كان ذوى »

الحيا بالقصر المطر أو الخِصْب والرغد الكثير الذى يأتى فى رفق واهتز طــال وتحرك وا هتزت الارض اذا أنبتت وذوى ذَبُل والمعنى مأخوذ من قوله تعالى (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت)

« همــا اللذان سَمَوَا بناظِرِى * من بعد إغضائى على لذع القذى»

سموا ارتفعا والنـاظر العين وهو الطرف أيضا والاغضاء مقاربة اطباق الجفون واللذع بالذال المعجمة والعين المهملة الحرقة من النـار ونحوها و يقال فيما يضرب بمؤخره كالزنبور والعقرب لسع ولسب وفيما يقبض بأسـنانه كالكلب والسـباع نهش ولمـا يضرب بفيه كالحية لدغ بالدال المهملة والغين المعجمة ومنه قول الراجز

انّ العجوز حين شاب صدغها ٭ كالحيـة الصماء طـال لدغهـا

وفرق بعضهم بين النهش بالشـين المعجمة والسين المهملة بانّ الاوّل ما كان بالضرس والثانى بأطراف الاسنان وأما قولهم لدغته العقرب فغير مختار اه طبرى والقذى جمع قذاة مايقع فى العين

« هما اللذان عَمَـرا لِى جانِبـا ٭ من الرجا قَدْ كان قِدْما قَدْ عفا »

عمرا بتخفيف الميم أى أصلحا وشيدا وجانبا ناحية والرجاء بالمدّ الطمع وقصره للضرورة وقدما قديمـا وعفا دَرَس ولو مَدّ الرجاء على الاصل لاستغنى عن تكرار قد

« وقلّدانِى مِنّـــة لو قُـــرنت ٭ بشكر أهل الارض طُرّا ماوفى »

قلدانى جعلا لى فى موضع القلادة منـة وهى مايمنّ به الانسان من المعروف وقرنت عودات بشكر أهل الارض بأن جعل فى كِفّة مِيزان وهى فى الاخرى ماوفى ذلك الشكر بها ولا عادلها (فائدة) قولهم جاؤا طرّا أى جميعا وفى حديث قُسّ ٭ ومَرادًا لِمَحْشر الخلق طرّا ٭ أى جميعا وهو منصوب على المصـدر أو الحال وفى اللسان ومزادا بالزاى فى (ط ر ر) وهو خطأ قال سيبويه وقالوا مررت بهـم طرّا أى جميعا قال ولا تسـتعمل الا حالا واسـتعملها خصيب النصرانى المتطبب فى غير الحـال وقد قيـل له كيف أنت فقـال أحمـد الله الى طرّ خلقه وقيـل رأيت بنى فلان بطرّ اذا رأيتهم بأجمعهم قال يونس الطرّ الجمـاعة وقولهم جاءنى القوم طرّا منصوب على الحـال يقال طررت القوم أى مررت بهم جميعا

« بالعشر من معشارها وكان كالـ ٭ ـحسوة من آذىّ بحر قد طما »

عشر معشارها يعنى عشر العشر كالواحد من المـائة والحسوة بضم الحاء ملء الفم من المـاء والآذىّ الموج وطما ارتفع

« إنّ ابن ميكال الامير انتاشنى * من بعد ماقد كنت كالشئ اللَّقَ »

ابن ميكال هو الشاه وانتاشنى تناولنى مقربا اليه واللق الشئ الملق المطروح الذى لايعبأ به

« ومدّ ضَبْعَىّ أبو العباس من * بعد انقباض الذَّرْع والباع الوَزَى »

مدّ بسط وضبعى بصيغة التثنية وهما وسطا العضّدين وأبو العباس أخو الشاه المتقدّم ذكره والذرع القوّة يقال ضقت بهذا الامر ذرعا أى لم تكن لى قوّة تنبسط اليه وأصله من الذراع التى تنبسط فتتناول الاشياء والباع والبوع بفتح الموحدة وتُضَمّ مابين اليدين اذا مرتا من جهة العرض ويقال انّ قامة كل انسان بقدر باعه والوزى القصير وهو كفتّى

« ذاك الذى مازال يسمو للعلا * بفعله حتى علا فوق العلا »

يسمو يرتفع والعلا المجد وعلا ارتفع فوق العلا السابق بقاعدة اعادة المعرفة معرفة وهو من قول الخنساء فى أخيها

اذا القوم مدّوا أياديهم * الى المجد مدّ اليه يدا

فنال الذى فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا

وهذا البيت والذى بعده ليسا فى أكثر الروايات

« لو كان يرقى أحد بجوده * ومجده الى السماء لارتقى »

مأخوذ من قول بعضهم

لو كان يقعد فوق النجم من كرم * قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا

وأبلغ منه قول الآخر

بلغنا السما مجدا بحق جدودنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

« ما ان أتى بَحْرَ نداه معتف * على أُوار عَيمةٍ الا ارتوى »

الندى الكرم والمعتفى الطالب للعروف والاوار شدّة اللهب والعيمة شهوة اللبن وارتوى من الرى ضدّ العطش وبعد أن كمل ابن دريد مدحهما مفصلا رجع الى الدعاء لهما مجملا فقال

« نفسى الفِداء لِأميرَىّ ومَن * تحت السماء لاميرىّ الفدا »

هو من قول النابغة

مهلا فداء لك الاقوام كلهم * وما أُثَمِّـر من مال ومن ولد

يقال ثمر الرجل ماله تثميرا نَمّـاه وكَثَّره

« لازال شـكرى لها مواصـلا * لفظىَ أو يعتاقنى صَرف المَنَى »

اعتاقه عاقه والمنى القدر وهو مأخوذ من قول أبى الاسود

سأشكر عمرا ماتراخت منيتى * أيادىَ لم تُمْنَنْ وان هىَ جَلّتِ

وفَدَ أبو بكر الخوارزمى على الصاحب بن عبـاد ومجلسه غاصّ بأهل العـلم والادب فارتفع على جميعهم وهم لايعرفونه فقـال أحدهم من ذا الكلْب نقـال أبو بكر الكلب من لايعرف للكلب مائة اسم ويحفظ فى مدحه مائة مقطوعة وفى ذمه مثلها فقال له الصاحب أنت أبو بكر الخوارزمى وقدمه وقرّبه ومن جملة قوله فى الصاحب

وماخلقت كفاك الا لأربع * عوائد لم يخلق لهـنّ يدان

لتقبيل أفواه وتبـذيل نائل * وتقليب هندىّ وأخذ عنان

فاعترض عليه بأنه ترك الكتابة التى هى صناعة الصاحب فقال

يَدٌ تراهـا أبـدا * فوقَ يدٍ وتحت فَم

ماخُلِقت بنـانُها * الا لسـيف أوقلم

فأعطـاه الصاحب عطـاء جزيلا فلما انصرف ترك فى المجلس رقعـة فيها هذان البيتـان

لاتمدحنّ ابن عباد وان هطلت * كَفّاه بالجود حتى أخجل الديمـا

فانها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لا بخـلا ولا كرما

وسافر من وقته فلمـا وقف عليهما ابن عباد قال

أقول لركب من خراسـان يمموا * أمات خوارزميكم قيـل لى نعم

فقلت اكتبوا بالجصّ من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من كفـر النعم

ثم رجع ابن دريد الى ماكان عليه من ذكر العراق على سبيل الاستطراد فقال

« إنّ العراق لم أفارق أهله * عن شنأن صدّنى ولا قلى »

الألى جمع الذى من غير لفظه فهو بمنزلة قَوْم ورَهْط ونَفَر وقِلّى بُغْض وزاغ مال وهفا زل وهو ناظر الى قول الشاعر

فان يك جُثْمانِى بأرض سـواكم * فانّ فؤادى عندكِ الدهرَ أجمعُ

« لكنّ لى عزما اذا امتطيتـه * لمبهـم الخطب فـآه فانفأى »

العزم النفاذ فى الامر وامتطيته جعلته مطيتى والمطا الظهر والخطب الامر وفآه شقّه فانفآى انشقّ

« ولو أشاء مدّ قُطْريه الصِبَا * علىّ من ظل نعـيم وغنى »

أشاء أريد مدّ بسط وقطريه جانباه والصبا الفتوّة واللهو والظل الستر والنعيم ما يتنعم به من المآكل والمشرب وغيرهما من الملاذ وأكثر مايستعمل مصدرا كقولك نحن فى رخاء من نعيم وقد يستعمل صفة وينبغى أن يكون الفعل منه كقدم فهو قديم والغنى ضد الفقر

« ولاعبـتنى غادة وهنـانة * تضنى وفى ترشافها برء الضنا »

الغادة الناعمة والوهنانة التى فيها فتور عنـد القيام وتضنى تسقم والترشاف بفتح التـاء كسائر المصادر التى على هذا الوزن ماعدا تبيان وتلقاء من الرشف وهو المص والبرء الشـفاء والضنا السقم والمبـالغون من الشعراء يتزهون المحبوب عن رشف رضابه وأول من فتح هذا الباب النابغة الذبيانى فى وصف المتجردة امرأة النعمان بن المنذر بقوله

زعم الهـمام ولم أذقـه أنه * يُشْفَى بَرَيّا ريقِها العَطِشُ الصَدِى

وقال غيره وعندى من معاطفها حديث * يخـبّر أنّ ريقتها مدام

وفى ألحاظها السَّكْرَى دليل * وما ذقنا ولا زعم الهـمام

وقال امرؤ القيس

وثغـر لهـا طيب واضح * لذيذ المُقَبَّـل والمُبْتَسَم

وما ذقتـه غير ظَنّى به * وبالظن يُقْضَى على ما اكتتم

وقال بشار بن برد

يا أطيب الناس ريقا غير مختبرَ * الا شهـادة أطراف المساويك

قد زرتنا زورة فى الدهر واحدة * ثَنِّ ولا تجعليها بيضة الديك

وقال نُصَيب

كأن على أنيابها الخمـــر شجها * بماء الندى من آخر الليل غابق
وما شمتــه الا بعيني تفرسـا * كما شيم في أعلى السحابة بارق

وقال البها زهير

فتنت به حلوا مليحا فحـدثوا * بأعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه * ولم أرَ عَدْلاً وهو سكران يطفح

وقال آخر بابليّ اللحـاظ في كل عضو * ليَ من قوس حاجبيه سهام
حرّموا ريقَه عليّ ولكن * صَدَقَ الشرعُ ما يحلّ المدام

وعلى ذكر الخمر قد شبهها ابن حمديس بالاكسير في قوله

ومشرق كيمياء الشمس في يده * ففضة المـاء من القائها ذهب

أخذه ابن الوكيل فقال

وليست الكيميا في غيرها وجدت * وكل ماقيـــل في أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيـــد ذلك أفراحا وينقلب

والكلام في هذا المقام كثير فلا نطيل به

« تَفْرِي بسيف لحظها ان نظرَتْ * نظرة غَضْبَى منك أثناء الحشا »

تفري تقطع واللحظ مؤخر العين الذي يلي الصدغ واســتعار السيف للحظ لانه يقتل كما يقتل السيف وغضبى غاضبة وأثنـاء جمع ثَنًى مقصور وهو ماانثنى بعضه على بعض والحشا مارق من البطن وما أبرد قوله نظرة غضبى وما أقل جدواه بل لافائدة فيـه البتة وهذا البيت ليس في أكثر النسخ وكذا أبيـات كثيرة لم يشرحها الطبري ولا ابن هشام تركاها وان وجدت في غيرهما من نسخ القصـيدة لغلبة الظن بأنها دخيلة يعلم ذلك من ركاكتها ومخالفتها لابيات الناظم المتفق عليها

« في خدّها روض من الورد على الـنِّـسْرِينِ بالالحاظ منـه يُجتَنَى »

النسرين ضرب من الرياحين وهو فارسي ويجتنى يقتطف

« لوناجت الأعْصَمَ لانحطّ لها * طوعَ القِياد من شماريخ الذُّرَى »

ناجت سارّت والاعصم الوعل الذى فى يديه بيـاض ومنه فرس أعصم وقيل سمى زلك لاعتصامه بالجبال والوعل التيس الجبلى والاروية العنز الجَبَلية وربما قالوا للانثى وعلة والقياد الحبل الذى تقاد به الدابة وانحط نزل والشماريخ جمع شمراخ وهو رأس الجبل والذرى جمع ذروة

« أو صابَت القانتَ فى مخلوق * مستصعب المسلك وعر المرتقى »

« ألهاه عن تسبيحه ودينـــه * تأنيسها حتى تراه قد صـبا »

صابت وافقت ووجدت والقـانت المطيـــع والمخلوق الاملس ومستصعب صعب المسلك الموضع الذى يسلك فيــه ووعر صعب والمرتقى المصعد وألهاه شغله وتسبيحه قوله سبحان الله ودينه طاعته وتأنيسها أنسها وحديثها وصبا فعل أفعال الصبيان

« كأنما الصهباء مقطوب بهـا * ماء جنى ورد اذا الليل عسا »

« يمتاحه راشف برد ريقهـا * بين بياض الظَّلْم منها واللمـا »

الصهباء الخمر سميت بذلك لحمرتها والمقطوب الممزوج والجنى كل ماتجنيه من ثمر أوغيره وعسا الليل بالعين المهملة والغين المعجمة أظلم ويمتاحه من المتح وهو الاستقاء أى يرتشفه والماتح المستقى من أعلى والمـائح يكون أسفل والراشف المتناول للشراب بأطراف شفتيه والظلم بياض الاســنان حتى كأنها من شــدة البياض يعلوها سواد وقيل هو ماء الاسنان واللمـا سمرة الشفتين

« سقى العقيق فالحَزيز فالملا * الى النَّحيت فالقُرَيّات الدُّنَى »

« فالمِرْبَد الاعلى الذى تلقى به * مصارع الاســد بألحاظ المها »

هذه مواضع بالبصرة والقريات جمع قُرَيّة مصغّرا والدنى المتقاربات ومصارع الاسد موضع سقوطها عند الموت والمها أراد بها بقر الوحش تشبه بها النساء لحسن عيونها ومشيها

« محل كل مقرم سمت به * مآثر الآباء فى فرع العـــلا »

المقرم بصيغة المفعول وصف للكامل فى الجود والشجاعة وأصله الفحل الكريم ففيه مناسـبة للربد وسمت ارتفعت ومآثر مناقب أى انه عريق فى المعالى وللعراقة مدخل فى الكمالات النفسانية اذ لم يزل السلف الصالح يمتنع من تعليم الاراذل والوضعاء مايزيد

عن قدر حاجتهم حذرا مما يترتب على الزيادة من الضرر العام اذ قد يتخذون العلم آلة للشرور ولذلك شواهد لاتحصى فى كل زمان ومكان

« من الألى جوهرهم اذا اعتزوا * من جوهر منهُ النبيُّ المصطفى »

هذا غاية فى المدح فان اتصال الرحم بسـيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسـلم أشرف منقبة يقع فيها الفخر ففى الحديث الشريف ان كل نسب وسبب منقطع الا نسبى وسببى وان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة ولمـا سمع عمر رضى الله تعالى عنه ذلك تزوج أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون بينه و بينه نسب وسبب

« صلى عليه الله ماجن الدجى * وماجرت فى فلك شمس الضحى »

الصلاة من الله الرحمة وجن سـتر والدجى جمع دجية وهى الظلمة والفلك مدار النجوم الذى يضمها والضحى ارتفاع النهـار فويق الضحوة وهى مؤنثـة وان صغروها على ضحى لانه للفرق بينهـا وبين الضحوة اذ تصغيرها ضحية والبيت كقول مهلهل يرثى أخاه كليبا

لا أصلح الله منـا من يصالحكم * مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

وقال بشـــار

عليك سلام الله مالاح كوكب * وما ناح قمـرىّ وما ذر شـارق

« جَوْنٌ أعارته الجنوب جانبـا * منها وواصت صَوْبَه يَدُ الصبا »

الجون الاسود ويطلق على الابيض لانه من الاضـــداد والجنوب الريح القبلية وواصت واصلت والصوب المطر والصـبا الريح الشرقيـة وجون فاعل سـقى فى قوله سقى العقيق

« نأى يمـانيا فلمـا انتشرت * أحضانه وامتدّ كسراه غطا »

فى جميع النسخ التى بيدى نأى وفسرتها الشراح بمعنى طلع ولم أجد ذلك المعنى للنأى فيما وقفت عليه من كتب اللغة ثم وجدت نسخة شرح ابن هشام على مافيها من عجائب الاغلاط قدكتب فيها مأى بالميم وهو ينـاسب المقام نوعا مّا اذ يقال مأى الشـجر مأيا طلع وقيل أورق كما فى اللسان ويمانيا بالتخفيف أى من ناحية اليمن وانتشرت امتدت

وأحضانه نواحيه وكسراه بفتح الكاف وكسرها شِقّاه وأصل الكسر الشقة السفلى من الخباء ترفع أحيانا وغطا بالغين المعجمة انبسط وانتشر وهو اما من غطا الليل غطوا وغطيا غشى كل شئ وألبسه أو من غطت الشجرة تغطى غطيا طالت أغصانها وانبسطت على الارض

« فجلل الافق فكل جانب ٭ منها كأنْ من فطره المزن حبا »

جلل غطى والافق الناحية وهو ماانتهى اليه البصر من الدائرة الفاصلة بين ماظهر من السحاب وما خفى مع وجه الارض وآفاق الارض نواحيها وأطرافها من حيث أحاطت بك والفطر بالفاء الشق والمزن السحاب الابيض وحبا اتصل بعضه ببعض وكأن مخففة من الثقيلة وعملها مخففة كعملها مثقلة والمزن على رواية النصب اسمها وجملة حبا خبرها ومن فطره متعلق بحبا وعلى رواية الرفع فاسمها محذوف والمزن مبتدأ وجملة حبا خبره والجملة خبر كأن فى موضع رفع هكذا أعرب ابن هشام ونص هو والطبرى على الفطر بمعنى الشق زاد الطبرى بعد أن قرر المعنى على ذلك قوله ويروى كأنّ بين قطريه جبا والجبا بكسر الجيم الماء الذى يجمع للابل اه وفى نسخة الشرح المطبوعة بمطبعة صاحب الجوائب قطره بالقاف كتابة وضبطا بالعبارة وأرى ان ماخلا رواية الفاء أنسب فى المعنى وان كان جميع الروايات لايخلو من ركاكة المعانى وفى المقصورة كثير من هذا والله تعالى أعلم

« وطبق الارض فكل بقعة ٭ منها تقول الغيث فى هاتا ثوى »

طبق الارض غطاها وطبق السحاب الجوّ غشاه والبقعة بضم الباء وفتحها قطعة من الارض على غير هيئة التى الى جانبها والغيث المطر وهاتا بمعنى هذه وثوى أقام يعنى أن كل بقعة تقول ان الغيث أقام فى البقعة التى بجانبها وذلك لنضرتها وحسن رونقها

« اذا خبت بروقه عَنَّت لها ٭ ريح الصبا تشبّ منها ما خبا »

خبت سكن لهيبها والعرب تشبه البرق بالنار وعنّت عَرَضَتْ والصبا الريح الشرقية وتشب توقد وخبا سكن

« وان ونت رعوده حدا بها ٭ حادى الجنوب فحدت كما حدا »

ونت فترت والرعود جمع رعد وهو صوت الملك أوصوت سوطه الذى يسوق به المطر كما صحّ فى الحديث الشريف فهو منشأ الاسـباب الظاهرة ضرورةَ أنَّ العقل لايُحيـل انّ للاسباب الظاهرة أسبابا أخرى خَفِيّة وحادى الجنوب سائقها

« كأن فى أحضـانه وبركه * بركا تداعى بين سجـــر ووحا »

أحضانه نواحيه وبركه بفتح الباء وسكون الراء صدره والبرك الثانى بهذا الضبط الابل الباركة وتداعى بحذف احدى التاءين والسجر بالسين المهملة والجيم الحنين بالحاء المهملة والوحا الصوت يقول كانّ فى أحضان هذا السحاب ابلا تتداعى بحنين وأصوات من كثرة رعودها

« لم أر كالمُزْن سَوَاما بُهَّـلا * تحسبها مرعية وهى سـدى »

السوام بفتح السـين الابل الراعية قال الله تعالى (فيه تُسِيمون) والبهل بالباء الموحدة وتشديد الهاء جمع باهل الابل المطلقة بلا راع والسدى المهملة لاراعى لها

« يقول للاجراز لمـا استوسقت * بسـوقة ثِق بِرِيِّ وحيـا »

الاجراز جمع جرز بضمتين وبفتح الجيم وسكون الراء الارض التى لم يصبها مطر واسـتوسقت حملت من الوسق بسوقه أى بحمله أى بمـا ساقه اليها من الخصب وثق اطمئنى ورىّ امتلاء وحيا خصب

« فأوسع الاحداب سيبا محسبا * وطبّق البُطْنان بالمـاء الروَى »

أوسع ملأ وفى رواية فوسع والاحداب جمع حدب بفتح المهملتين المرتفع من الارض فى غلظ سيبا عطية محسبا بصيغة اسم الفاعل كافيـا مقنعا وطبق البطنان المنخفض من الارض والروى بالكسر والقصر الكثير

« كأنمـا البيـداء غِبّ صوبه * بحْـرٌ طَمَى تيّـاره ثم سجـا »

البيداء القفر وغب بعد وصوبه نزوله وطمى ارتفع وتياره موجه وسجا سكن

« كأنمـا الجوّ استحال طبعـه * فصـار ماء كله ثم هـــوى »

الجوّ عبارة عما بين السماء والارض استحال انتقل فصار ماء كله بعد أن كان هواء ثم هوى أى سقط أى ان مانزل وأصاب الارض حتى صارت كالبحر انمـا هو الجوّ بعد استحالته للمـائية وهذا البيت ليس فى كثير من الروايات وفى هذا جواز انقلاب العناصر بعضها الى بعض وهو مبرهن عليه فى علم الحكمة .

«ذاك الجَدَى لازال مخصوصا به * قوم هم للناس غَيث وجَدَى »

الجدى المطر العام ويطلق على العطية كما فى آخر البيت واختلفوا فى مدّه وقصره ويرى الشارح الطبرى ان استعمال اللفظ بمعنى واعادته بمعنى آخر من الاستخدام كالجدى هنا قال وهذا على ماذهبنا اليه اجتهادا منا ثم عند الوصول فى الشرح الى هذا المحل اطلعنا على من وافقنا على ذلك وهو الصلاح الصفدى حيث أورد بيتى السراج الوراق وهما

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المــرء كدّاحه

وكن عن الراحة فى معــزل * فالصــفع موجــود مع الراحه

قائلا ما أحسن استخدام الراحة هنا فى معنييها الاوّل الراحة من الاستراحة والثانى راحة اليد قال حتى انه أى الصفدى توسع فى الاستخدام وأطلقه على نقل لفظ استعمله الغير فى أحد معانيه الى معنى آخر منها ومثله بقوله مضمنا

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهــره بمخــلد

اذا عاينت كتبى الجــديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

حيث نقل تجلد من التجلد الى التجليد وبقوله مضمنا أيضا

قل للرقيب يسترح من رصدى * ماأصبح المعشوق عندى مشتهى

واريت قلبى عن سـيوف لحظه * وكل شئ بلــغ الحــدّ انتهى

حيث نقل الحدّ من الغاية الى السـيف وبقول أبى الحسين الجزار حيث ضمن بيت ابى نواس فى الراح أبياته فى يوم نوروز وكتب بها الى بعض أصحابه وهى

كتبت بها فى يوم لهــو وهامتى * تمــارس من أبطاله ماتمــارس

وعنــدى رجال للمجون ترجلت * عمائمهــم عن هامهم والطيالس

فللراح مازرّت عليــه جيوبها * وللمــاء مادارت عليه القــلانس

قال الصفدى أنظر الى هــذا الرجل كيف تلاعب بالكلام ونقل المعنى بحسن التوطئة له من وصف الكاس المذكور فى الابيات السـينية المشهورة حتى كأنّ البيت لم يقله أبو نواس الا فى الصفاع يوم النوروز فنقل الراح من اسم الخمر الى جمع راحة وهى اليد اهـ

« لستُ اذا ما بَهَضَتْنِي غَمْــرة * ممن يقول بَلَغ السَــيْلُ الزُّبَى »

بهضه الامر غلبه وفدحه وبالظاء أكثر والغمرة الشـدّة والزبى بالزاى جمع زبية وهى حفرة تحفر للاسد فى المواضع المرتفعة من الارض كالهضبة والرابية وتغطى بشئ ويجعل عليها اللحم فاذا جاء الاسد ليأكله سقط فيها وهو ناظر لقول العجاج

* قد بلغ السيل الزبى فلا غِيَر * أى قد جل الامر أن يغير ويصلح واذا بلغ السيل الزبية فقد بلغ الامر منتهاه

« وان ثوت بين ضلوعى زفرة * تملا مابين الرجا الى الرجا »

« نهنهتها مكظومة حتى يُرَى * مخضوضعا منها الذى كان طغا »

ثوت أقامت والضلوع واحدتها ضلع وهى مؤنثة واشتهر أن اضلاع الرجل أقل من أضلاع المرأة لانها خلقت منـه قال الرازى وهو غير صحيح وعليـه فالمراد بكلمة من فى قوله تعالى (وخَلَق منها زوجها) أى من نوع الانسان تنبيها على أنه سبحانه وتعالى جعل لآدم انسانا مثله فقد يشار الى الشئ تارة بحسب شخصه وتارة بحسب نوعه كقوله صلى الله عليه وسلم فى يوم عاشوراء هـذا اليوم الذى أظهر الله فيـه موسى والمراد النوع لا الشخص اه ولئن صح ماورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الآية الكريمة ان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم فيحمل على أنها خلقت من جزء يسير من ضلعه كما تدل عليـه من التبعيضية ويؤيده قوله من غير أذى ويحتمل انه خاص بآدم وحواء دون بنيهما وعليه يحمل أيضا حديث خلقت المرأة من ضلع عوجاء ان صح ولم يكن كناية عن عدم استقامتها فيكون المراد بالمرأة حوّاء من قبيل أنت الرجل علما أو الجنسُ ويُتَحَقّق بها من قبيل الرجل خير من المرأة والزفرة أن يمتلئ صـدر الانسان غمّاً فيكثر التأوه لذلك والرجا الجانب ونهنهتها زجرتها وكففتها ومكظومة مردودة ومخضوضع متذلل وطغا جاوز القدر

« ولا أقول إن عَرَتْنِى نَكْبة * قولَ القَنوط انقدّ فى البطن السَلَى »

عرتنى أصابتنى ونكبة مصيبة تَنْكُب بصاحبها عن طريق السلامة والقَنوط اليائس وانقدّ انقطع والقدّ القطع طولا فان كان عرضا فهو قَطٌّ هذا أصله ومنه القِدّ وهو الشِراك لانه يُقَدّ طولا والسلى للماشية بمنزلة المَشيمة التى يلتفّ بها الولد فى بطن أمّه واذا انقطعت

قتلت والسلى يكون للماشية خاصة والمشيمة للناس خاصة وأراد انقطع فى البطن السلى فلم يتزن له فقال انقدّ لانه بمعنى انقطع لأن العرب لاتقول فى هذا الا انقطع

«قد مارَسَتْ مِنّيَ الخُطوب مَرِسا * يساوِر الهَوْلَ اذا الهول علا »

مارست صاعبت والخطوب جمع خطب وهو الامر وهو مايمر على الانسان فى عمره من المكاره والمرس بكسر الراء شديد المِرَاس وفى نسخة مارسا وهو من مرس الحَبْلُ كنصر وقع فى أحد جانبي البَكْرَة ومرست هى كفرح فهى مَرُوس نشب حَبْلها بينها وبين القَعْو وهو مِحْور الحديد تجرى فيه والمراد أنه لايبالى بالشدائد لكثرة اصابته بها و يساور يقابل والهول الخوف وعلا ارتفع

« لى التواءٌ ان مُعَادِيّ التوى * لى استواء ان مُوَالِيّ استوى »

التواء اعوجاج ومطل ورجوع عن الاستقامة ومعاديّ من العداوة والتوى مطل واعوجّ ورجع عن الاستقامة لى استواء أى استقامة والموالى ضدّ المعادى واستوى استقام قال تعالى (ذو مِرّة فاستوى) أى فاستقام وأما قوله تعالى (ولما بلغ أَشُدَّه واستوى) فمعناه كمل وتمّ

« طَعْمِيَ شَرْيٌ للعدوّ تارة * والأَرْيُ بالراح لمن وُدّى ابتغى »

الطعم بفتح الطاء مايؤدّيه الذوق وهو أيضا الشهوة وبضم الطاء الطعام والشرى الحنظل والتارة الوقت والمدّة والارى العسل والراح الخمر وودّى محبتى وابتغى طلب والبيت من قول الشنفرى

وله طعمان أرى وشرى * وكلا الطعمين قد ذاق كل

(فائدة) الطعوم تسعة أصلها أربعة الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة والباقى مركب منها وهو المزوزة والعفوصة والدسومة والحرافة والتفاهة وذلك لانّ الجسم إما لطيف أو كثيف أو معتدل والفاعل فيه إما البرد أو الحر أو المعتدل وثلاثة فى ثلاثة بتسعة

« لَيِّنٌ اذا لُوِينْتُ سَهْلٌ مَعْطَفِى * أَلْوَى اذا خُوشِنت مرهوب الشذا »

لين بالتخفيف كما خفف ميت أى أنا لين أى سهل ولوينت سوهلت ومعطفى ميلى وانحنائى وألوى شديد الخصومة اذا خوشنت فوعلت من الخشونة ومرهوب

مَخُوف والشذا الاذى وهو أيضـا المسك وحدّ كل شئ وبالدال المهـملة البقية وهو من قول جرير

يَسَرٌ أبو مَرْوان إن عاسرتَه ٭ عسِرٌ وعنـد يسـاره ميسور

« يعتصِم الحِلْم بجنبَى حَبْـوَتِى ٭ اذا رياحُ الطَّيش طارت بالحُبا »

هذا احتراس اذ ليس فى البيت قبله كبير فائدة لان كل انسان يقدر على أن يجـازى بالحسنة حسنة وبالعكس وانمـا الفضل لمن يجازى الشر بالخير والسيئة بالحسنة ويعتصم يستمسك والحلم ضـد الجهل والطيش والحبوة بضم الحاء وكسرها مايحتبى به من ثوب ونحوه بأن يُدَار على الظهر ويُشَدّ على الساقين وهى من خواصّ العرب والجمع حُبًى بضم الحاء وكسرها ويُكْنَى بحَلّ الحبا عن الطيش

« لايَطَّبِينى طـمَع مُـدَنِّس ٭ اذا استمـال طـمع أو اطَّبَى »

أى لايميلنى وهو كالتعليل لدوام حلمه لان الطمع مَجْلَبة الخِفّة والطيش وقال صلى الله عليه وسـلم ارضَ بما قسَم اللهُ لك تكن أغنى الناس وقال أبو حازم انما بينى وبين الملوك يوم واحد أمّا أمس فلا يجدون لذته وأنا وإياهم من غد على وجل وانمـا هو اليوم فمـا عسى أن يكون اليوم وعَقَده أبو الفتح البُسْتِى فقال

قد مَرّ أمس ولم يعبأ به أحـد ٭ من الانام ببُؤسٍ مرّ أم رَغَدِ

وعنـدىَ اليومَ قُوتٌ أسـتعِدّ به ٭ وان بقِيتُ غدا أصلحتُ أمْرَ غَدِ

وقصيدةُ أبى الحسن على بن زريق الكاتب البغدادى التى قال فيها الامام أبو محمد بن حزم من تختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى رضى الله تعالى عنه وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرفَ كُلُّها حِكَمٌ ومواعظ وهى التى أوّلها لاتَعْذُليه الخ

« وقد عَلَتْ بِى رُتَبًـا تجَـارِبِى ٭ أَشْفَيْنَ بى منها على سُبُل النُّهَى »

علت ارتفعت والرتب جمع رتبـة وهى الرفعة والمنزلة والتجارب بكسر الراء الاختبار للامور وأشفين أى أشرفن يريد الرتب منها أى من التجارب والنهى العقول

« اذا امْرُؤٌ خِيف لافراط الأذَى ٭ لم يُخْشَ مـنِّى نَزَق ولا أذى »

الأذى مايتأذى به والنزق الخفة ولمـا كان اطلاقه موهما للوهن والضعف عقّبه بقوله

« من غير ما وَهْنٍ ولكِنّى امرُؤ * أصون عِرضا لم يُدَنّسه الطَّخَا »

الوهن بسكون الهاء هنا وبفتحها الضعف والعرض بالكسر يُراد به النَّفْس وصيانته تَوَقّى مايُخِلّ به من جهة الشرع والمروءة والفتوّة والطخا بالطاء المهملة والخاء المعجمة العيب وهو ممدود وقصَره للضرورة وهو جائز فى الشعر لانه ردّ للاصل بخلاف مدّ المقصور فممنوع عند أكثر البصريين لانه خلاف الاصل وأجازه الاخفش والكوفيون وزعم أبو العباس أحمد بن ولّاد أن ذلك جائز على مذهب سيبويه وأنه يخرج من قوله وربما مدّوا فقالوا مساجيد ومنابير كما قال الفرزدق تنقادَ الصياريف لان هذه زيادة كما تلك زيادة فأما قصر الممدود فى السجع فجائز أيضا لانه كالضرورة وشاهده ماروى عن قيس بن عاصم أنه قيل له بِمَ سُدْتَ قومَك فقال ببَذْل القِرَى وتَرْك المِرَا ونُصْرة المَوْلَى فالمرا ممدود ولكنه قَصَره فى السجع ومَن مَنَعه فى الشعر منعه فى السجع ومعنى البيت مأخوذ من قول حَسّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

أصونُ عِرْضِى بمالى لا أدنّسه * لا باركَ اللهُ بعد العرض فى المال

والبيت الذى بعد هذا يدل على أنه أراد صيانة العرض بالبذل وهو قوله

«وصَوْنُ عِرض المرء أن يَبْذُل ما * ضُنّ به مما حواه وانتصى »

ضن بالبناء للمجهول بُخِل وانتصاه اختاره وانتقاه وهو كقول زهير فى معلقته

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفِرْه ومن لايتّق الشتمَ يُشْتَمِ

وقول عمرو بن الاهتم السعدى

ذرِينى فان الشحّ يا أمّ هيثم * لِصَالح أخلاق الرجال سروق

ذرينى وحَظّى فى هوَاىَ فاننى * على الحَسَب الزاكى الرفيع شفِيق

ذرينى فانى ذوعيال تُهِمُّنى * نوائبُ يَغْشَى رُزْؤُها وحقوق

وكل كريم يَتَّقِى الذمَّ بالقِرَى * وللحق بين الصالحين طريق

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكنّ أخلاقَ الرجال تضيق

ثم قال ابن دريد

« والحمد خيرُ ما اتّخذتَ جُنّة * وأنفسُ الأَذخار مِن بعد التُّقَى »

الجنة بالضم السترة والعدّة وهو من قول الخنساء

نَعِفّ ونعرف حقّ القِرَى ٭ ونتخذ الحمــدَ ذُخرا وكنزا

ثم قال ابن دريد

« وكلُّ قَــرْنٍ ناجِمٍ فى زَمَنٍ ٭ فهو شــبيه زمنٍ فيــه بدا »

القرن بفتح القاف الأمّة من الناس ويطلق على ثلاثين سنة وعلى ثمـانين وعلى مائة وناجم ظاهر ومنــه سمى النجم نجما والمعــنى كقول بعضهم عقول الناس على قدر زمانهم وكقول الآخر

زَمانُنا كأهْــله ٭ وأهــلُ كما ترى

وسَــيْرُه كسَيرهم ٭ وسيرهم الى وَرا

وقال صاحب العقد الفريد إن متأخرى كل طبقة أكمل عقلا وأحسن ألفاظا وأهدى طبـاعا قال الشارح الطبرى وهوكما قال أى صاحب العقد لأن العلوم لازالت تتهذب واللطائف مابرحت تتزايد من المتأخرين اه قلت وهــذا لايُسَلَّم الا بالنسبة للعامّة فأما الخاصة الذين انبجست من أعين بصائرهم بحار العرفان بمـا اقتفوا من آثار الشرائع الحقّة خصوصا صحابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبقية خواصّ القرون الثلاثة بل ومن على شاكلتهم الى يوم القيامة فأولئــك قومٌ علّمهم اللهُ بمصــداق قوله عز وجل (واتقوا الله ويُعلّمكم اللهُ) وحديث مَن عمِل بمـا علِم ورّثه اللهُ عِلْمَ مالم يَعْلم فعلوم العامّة بأسرها جهالة بحتة فى جانب النزر من علومهم والله يختص برحمته من يشاء والله واسع عليم

« والناسُ كالنَّبْت فِنهُــم رائِق ٭ غَضٌّ نَضِيرٌ عُودُه مُرُّ الجَنَى »

الناس جمع لاواحد له من لفظه قال سيبويه وزنه الفُعَال وأصله الأُنَاس فحذفوا الهمزة اختصارا وأدغموا اللام فى النون والرائق المعجب والغض الطرى والنضــير الناعم والجنى مااجتنى من الثمر وفيه تلميح الى ماضربه ســيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لِخُبْث المَنْبِت مع حسن النبات من قوله اياكم وخَضْراءَ الدِّمَن قيــل وما خَضْراء الدِّمَن قال المرأة الحَسْناء فى المَنْبِت السُّوء

« ومنــه ماتقتحِم العَــينُ فان ٭ ذُقْتَ جَناهانساغَ عَذْبا فى اللَّهَى »

الاشارة الى القسم الثانى وهو ماعذب طعمه وان قبح منظره وحسن طعمه دليل على طيب منبته قال الشاعر

لاعذر للشجر الذى طابت له * أعراقه أن لا يطيب جناه

وتقتحم تزرى وانساغ سهل بَلْعه وعذبا طيبا واللَّهى جمع لَهَاة وهى اللَّحمة المشرفة على الحَلْق وأما اللُّهَى بضم اللام فهى العطايا واحدها لُهْوَة

وبقى على الناظم قسمان أحدهما ماراق عُودُه وطاب ثَمَرُه كما قال صلى الله عليه وسلم المؤمن كالأُتْرُجّة رِيحُها طَيِّب وطعمُها طيب وعقَدَه ابن الرومى بقوله

كانكم شَجَر الأُتْرُجّ طابَ معًا * حَمْلا ونَوْرا وطاب العود والورق

والثانى ماخبُث عُوده وثمره قال الشاعر

فَنَذْلُ الرجالِ كنذل النبات * فلا للثمار ولا للحَطَبْ

وبالجملة فلا عبرة بمجرد المنظر ففى الحديث الشريف ان الله لاينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم وقال خالد بن صفوان

وما المرء الا الاصغرانِ لسانُهُ * ومَعْقُوله والجسمُ خَلْقٌ مصوَّر

فانْ طُرَّةٌ راقتك فاخبرْ فربّما * أمرَّ مَذاقُ العُود والعودُ أخضر

وما الزَيْن فى بادٍ تَراه وانّما * يَزِين الفَتى مَخْبورُه حين يُخْبَر

ثم قال ابن دريد

« يُقَوَّم الشارِخُ مِن زَيْغَانه * فيستوى ماانعاجَ منه وانحَنَى »

« والشيخُ ان قوّمتَه مِن زَيْغه * لم يُقِم التثقيفُ منه ما انحنَى »

الشارخ الحديث السن المقبل الشباب وزيغانه ميله وانعاج انعطف والشيخ ضدّ الشارخ والزيغ الميل والتثقيف التقويم

« كذلك الغصن يسيرٌ عَطْفُهُ * لَدْنا شديدٌ غَمْزُه اذا عسا »

عطفه ميله واليسير السهل واللدن اللين والغمز العصر باليد وعسا صَلُب واشتدّ وقد أخذ هذه الابيات من قول سابق البربرى

قد ينفع الأدبُ الاحداثَ فى مَهَل * وليس ينفع بعد الكِبْرة الأدب

ان الغصون اذا قومّتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخُشُب

وقال آخر

يقوّم بالثِقـاف العودُ لَدْنًا * ولا يتقوَّم العُود الصَليب

وقال آخر

أتَرُوض عِرْسَك بعد ماهَرِمَتْ * ومن العَنـاء رياضةُ الهَرِم

وتطرف القاضى الفاضل حيث قال

ما كان يَكْمُل مَـدْخَلِي اا * حَمَّام اذ شاهدتُ قِبَّتَـهْ

فكأننى فيــه خَــرُو * فُ شِوًى ومِن فَوْقِي مِكَبَّهْ

فانه كان أحدب قصيرا وخشى أن يتخيل فيــه غيره هذا المعنى فيهجوه ودخل عليــه القاضى السعيد أبو المكارم فوجد بين يديه أترجة كبيرة مفرطة فى الضخامة قال فأحدقت اليها وحصل لى فكر وذهول فقال لى القاضى الفاضل ماأنت مفكرا الا فى خلق هذه الا ترجة وما فيها من التعويج فأنت تعجب فى المناسـبة بينى و بينها قال فانخلع قلبى خوفا ثم رجع الىّ فكرى فقلت لاوالله يامولاى وانما خطر لى معنى بديع ويسر الله تعالى أن نظمت فيها

لله بل للحسن أترجــة * تذكّــر النـاسَ بأمر النعيم

كانهـا قــد جَمعت نَفْسَها * من هيبة الفاضل عبدالرحيم

فأعجباه واستحسنهما وقال ابن أفلح وهو أحسن من اعتذر من الانحناء

قالوا انحنَى كِبَرًا فقلت سَفَاهَةً * لمقـال من لم يتّئد فى قِيـله

سكَنَ الحبيبُ شَغَافَ قَلْبِي ثاوِيا * فَحَنوتُ منعكِفا على تقبيـــله

ثم قال ابن دريد

« من ظَلَمَ الناسَ تحامَوْا ظُلْمَه * وعزَّ فيهم جانبَـاه واحتمى »

قد وردت حكم نبوية كثيرة مبـدوأة بمن ولعلها مأخذ النـاظم وقد حذا هـذا الحذو أبوالحسن على بن عبدالواحد الفقيه البغدادى الماجن الشاعر فى قصيدته التى عارض بها الدريدية على وجه الهزل والمجون حيث قال (وفى فوائد الكتبى صحيفة ٢٣٧ من ثانيــه ان اسمه محمد)

من لم يُرِدْ أن تنتَقِبْ نِعالُه * يَحْملها فى كُمِّه اذا مشى
ومن أراد أن يصون رِجْله * فلُبْسُها خير له من الحفى
من دخلت فى عينه مِسَلّة * فاسأله مِن ساعته عن العمى
مَن أكل الفَحْم يُسَوِّدْ فَمُه * وراح صحن خدّه مثلَ الدجا
من صفع الناسَ ولم يَدَعْهُمُ * أن يصفعوه فعليهم اعتدى
من شرب المُسْهِل من أجْل الدوا * أطالَ تَرْدادا الى بيت الخلا

الى أن قال

من فاته العِلْم وأخطاه الغِنَى * فذاك والكلبُ على حدٍّ سوا

ظُلِم عرابى من بكر بن وائل فقَتل ظالمَه فعُنِّف فقال ماأساء من قَتَل ظالمَه فقيل له تحبّ أن تلق الله تعالى ظالما أو مظلوما فقال ظالما ماعذْرِى ان قال لى ماخلقتك مثل العِير حتى تجيء وتشكو الىّ ومن أمثالهم رَهَبُوت خير من رَحَمُوت أى أن تُرْهَب خير من أن تُرْحَم وقال بعض الشارحين ان مأخذ بيت ابن دريد من قول زهير فى معلقته

ومن لايَذُد عن حوضه بسلاحه * يهدَّم ومن لايظلم الناس يظلم

وهو من جملة أبيات كثيرة أسلفناها لك فى شرح لاميته كلها مفتتحة بقوله ومن ومنها قوله

ومن يعص اطرافَ الزِجاج فانه * يُطيع العَوالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَم

ويتعلق بهذا البيت الثانى أمران . الاول فى توقف فهم كثير من الكلام العربى على معرفة العادات والحوادث التاريخية فان هذا البيت لايمكن فهم معناه الا بفهم عادة العرب فى الحروب وذلك أن الفريقين كانا اذا التقيا سدّد كل منهما زِجاجَ رماحه نحو الآخر ثم يسعى الساعون فى الصلح فان استتبّ والا قَلَبا الرماحَ واقتتلا بالأسنة فمعنى البيت أن من أبى الصلح ذللته الحرب والزجاج بكسر الزاى جمع زُجّ بضمها وهو الحديد المركب فى أسفل الرمح والسنان فى أعلاه واللهذم بجعفر بالذال المعجمة القاطع من الأسنة وكبيتى الحماسة من كان مسرورا بمقتل مالك الخ وهما فى المقارنة الرابعة من المقارنات العشر الآتية فان من لم يعرف عادتهم فى عدم نَدْب القتيل الّا اذا أُخِذ بثاره لم يفهم معناهما وكقول عروة

واني وان عَشَّرتُ من خشية الردى * نُهَــاق حمــار انني لجـــزوع

فان من لم يعرف عادة الجاهلية فى انه اذا دخل أحدهم أرضا موبئة يضع يديه على قفاه وينهق نهيق الحمار لينجو من وبائها زعموا والتعشير نهاق عشرة أصوات فى دفعة واحدة وكقول الآخر

ولا عيب فينا غير نسل لمعشر * كرام وأنا لا نَخُطّ على النَّمْــل

النمل جمع نملة وهى شئ فى الجلد كالقَرْح ودواؤه أن يُرْقَى بريق ابن المجوسى من اخته تقول المجوس ذلك فمعنى البيت أنا لسنا بمجوس نتزوج الاخوات فمن لم يعرف ذلك لم يفهم معنى البيت وكقول زهير بن أبى سلمى

يقولون حِصْنٌ ثم تأبَى نفوسُهم * وكيف بحصن والجبالُ جُنُوح

ولم تلفظ الموتَى القبورُ ولم تَزُل * نجـــوم السماء والأديم صحيح

كانت عادة العرب أن يستعملوا فى الدعاء للميت عدم البعد أى الموت فيقولون لاتَبعَد ولا يبعَد الخ يريدون بذلك استعظام موت الرجل العظيم كأنهم لايصدّقون بموته كما بيّنه زهير بذينك البيتين

فمراده أنهم يريدون أن يقولوا مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف يجوز أن يكون قد مات والجبال لم تُنْسَف والنجوم لم تَنْكَدِر والقبور لم تُخْرِج موتاها وجِرْم العالَم صحيح لم يحدث فيه حادث أما الامثال العربيـة بأَسْرها فلا تعرف مضاربها الا بمواردها وفى الشريعة المطهرة كثير من هذا القبيل أى لايفهم معناه الا بمعرفة الحادثة فمن الكتاب الكريم قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج) الآية الكريمة فان أصــل الحادثة ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسـلم من المهاجرين ومُتَبَنّاه كان استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلاق زوجته زينب بنت جحش لِما كان فيها من الشَمَم والترفّع عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسِك عليك زوجك واتق الله وقد كان الله تعالى أعلمه من قبل بانها ستكون زوجته وأن زيدا سيطلقها فعاتبه على اخفاء ذلك لجلالته لديه وقد أراد الله تعالى بتزويجه اياها بلا ولىّ من الخلق ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق ولا شئ مما يكون

شرطا فى حقوقنا ومشروعا لنا تشريفا له ولها أن يبطل التبنى وما كان مبنيا عليه هذا هو أصل الحادثة والحق فى تأويل الآية الكريمة وما عداه باطل تخشى سوء عاقبته لانه اجتراء عظيم على مقام النبوّة أما دعوى نسبة العشق الى الانبياء وسيدهم الاعظم نبينا صلى الله عليه وسلم فدعوى باطلة منشؤها الجهل العظيم اذ العشق فراغ القلب عما سوى المعشوق وقد قال صلى الله عليه وسلم لوكنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا فقلبه صلى عليه الله وسلم لايسع غير الحق تبارك وتعالى وكذا قلوب الانبياء انظر قوله تعالى فى حق يوسف عليه السلام (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) واذا لم يَسَعْ أبا بكرٍ مُخَالّةً فكيف يسع امرأةً عشقا سبحانك هذا بهتان عظيم والقلب اذا امتلأ من محبة الله تعالى دفع ذلك عنه مرض عشق الصور لان هذا المرض انما تبتلَى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى المعرضة عنه المتعوّضة بغيره منه نعم قد حُبِّبت اليه النساء وكانت عائشة أحبهن اليه وذلك لسرّ فيهنّ عامّة وفى عائشة خاصة أبانه صلى الله عليه وسلم بقوله انه لايأتينى المَلَك فى لحاف امرأة غيرها أى مع اختفائه عند كشف رأس خديجة ومن أراد زيادة فى هذا المقام فليراجع زاد المعاد فى باب هديه صلى الله عليه وسلم فى علاج العشق وليقرأ شرحنا لحديث حُبِّب الىّ مِن دنياكم ثلاث فى باكورة الكلام والله يختص برحمته من يشاء ومن الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين والمراد عبد الله واسماعيل اذ عُرِضا على الذبح وقصة اسماعيل فى القرآن الكريم أما عبدالله فقد كان أبوه عبد المطلب نذر لئن أكمل الله له عشرة ذكور ليذبحنّ أحدهم لله عند الكعبة فلما تكاملوا عشرة أخبرهم ودعاهم الى الوفاء بنذره فأطاعوه وقام عند الكعبة يقول اللهم انى نذرت لك نحر أحدهم وانى أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت فخرجت على عبدالله فهمّ بذبحه فأشير عليه بأن لايفعل لئلا تتخذ الناس ذلك سنة بل يقرّب عبد الله ويقرّب معه عشرة من الابل فان أصيب زِيد عشرة أخرى وهكذا حتى تصاب الابل فأصيبت وهى مائة فنُحِرت فداء لعبد الله ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن العَوَاتِك مِن سُلَيم وهنّ جدّاته الثلاث عاتكة بنت هلال بن فالجَ بن ذَكْوان أمّ عبدمَنَاف بن قُصَىّ جدّ هاشم وعاتكة بنت مُرّة بن هلال بن فالجَ بن ذَكْوان أمّ هاشم

ابن عبدمناف وعاتكة بنت الأَوْقص بن مُرّة بن هلال بن فالجَ بن ذَكْوان أمّ وهب ابن
عبدمناف بن زُهْرة جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أمّ آمنة بنت وهب فالاولى
من العواتك عَمّة الثانية والثانية عمة الثالثة وبنو سليم تَفْخَر بهذه الولادة ولبنى سُلَيم مفاخر
منها انها أَلّفَتْ معه يوم فتح مكة أى شهد منهم ألف وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدّم لواءهم يومئذ على الألوية وكان أحمر ومنها أن عمر كتب الى أهل الكوفة والبصرة
ومصر والشام أن ابعثوا الىّ من كل بلد أَفْضَــلَه رجلا فبعث أهل الكوفة عُتْبة بن فَرْقَدَ
السُّلَمِيّ وبعث أهل البصرة مُجَاشِع ابن مسعود السلمى وبعث أهل مصر مَعْنَ بن يزيد
السلمى وبعث أهل الشام أبا الاعور السلمى وبالجملة فالعواتك اللاتى ولَدْنَهُ صلى اللهُ عليه
وسـلم اثنتا عشرة اثنتان من قريش وأولئك الثلاث من سُلَيم واثنتان من عَدْوان وكنانية
وأَسَدية وهُذَلِيّة وقُضَاعيّة وأَزْدِيّة وأَصْلُ العاتكة المتضمّخة بالطيب . الامر الثانى فى قول
زهير يطيع العوالى بسكون الياء ونَحْوُه اهمالُ أَنْ الناصبة والجزم بها وتأكيد الماضى واثبات
حرف العلة أو نون الرفع مع الجازم الى غير ذلك ممـا حقيقة الحال فيه انه مبنى على لغات
أخرى أو ضرورات سائغة لان الحق ان العرب معصومون عن الخطأ واللحن فى الألفاظ
حتى قيل ان البـدوى لايطاوعه لسانه فى ذلك ولا التفات لمـا نقله فى المُزْهِر عن ابن
فارس ولا لمـا ذكره الزمخشرى فى المفصّل من أن تحريك هاء السكت فى قوله وارَحْمتاهُ
لَحْن ولا لمـا أطال به فارس افنـدى صاحب الجوائب فى مقدّمة ديوانه وفى جاسوسه
فان فى بعضه مايَجُرّ الى الكفر أو يكاد وذلك كنسبة اللحن الى القرآن الكريم ارتكانا على
الكلام البـاطل الموضوع من بعض الزنادقة وهو قولهم ان فى كتاب الله تعـالى أشـيـاء
ستصلحها العرب بألسنتها وكقوله فى مقدّمة ديوانه ربما كان منشأ اللحن فى كلام العرب
من الرواة لعدم اتقان الكتابة فى الصدر الاول فقوله * وأنت الذى فى رحمة الله أطمع *
أصله فى رحمة منه فاشتبه لفظ منه بلفظ الجلالة وزيادة الألف كزيادتها فى وأوصى ربك
من بعض القراء لان ابن عباس قرأ بدل وقضى ربك ووصى ربك لاشتباه اللفظتين خطا
فزاد أحد القراء ألفا اه كلامه السخيف الناشئ عن جهله بالدين الحنيف . ونحن نلخص
لك فى هـذا المقام كلام سيبويه قال فى باب ماينتصب على التعظيم والمدح وان شئت

جعلته صفة تجرى على الاول وان شئت قطعته فابتدأته وذلك قول الله عز وجل (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) فلو كان كله رفعا كان جيدا فأما المؤتون فمحمول على الابتداء وقال تعالى (ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه) الى قوله (وحين البأس) فلو رفع الصابرين على أوّل الكلام كان جيدا ولو ابتدأ فرفعه على الابتداء كان جيدا كما أبتدأ والمؤتون الزكاة ونظير هذا من الشعر قول الخِرْنِق بنت هِفّان

لايَبْعَدَنْ قومِى الذين هُمُ * سُمّ العُداة وآفة الجُزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الأُزر

فرفع الطيبين كرفع المؤتين ومثل هذا فى الابتداء قول ابن حماط العكلى

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم * إلا نميرأطاعت أمر غاويها
الظاعنين ولما يُظعِنوا أحدا * والقائلون لِمَن دارٌ نُخَلّيها

وزعم يونس أنّ من العرب مَن يقول النازلون والطيبن ومنهم من يقول الظاعنون والقائلين فنصبه كنصب الطيبين الا أن هذا شتم لهم وذم كما ان الطيبين مدح لهم وتعظيم وان شئت أجريت هذا كله على الاسم الاوّل وان شئت ابتدأته جميعا فكان مرفوعا على الابتداء كل هذا جائز فى ذين البيتين وماأشبههما اه وقال الزجاج اختلف الناس فى اعراب المقيمين فقال بعضهم هو نسق على ما المعنى يؤمنون بما أنزل اليك وبالمقيمين الصلاة أى يؤمنون بالنبيين المقيمين الصلاة وقال بعضهم نسق على الهاء والميم المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل اليك وهذا عند النحويين ردىء لاينسق بالظاهر على المضمر الا فى شعر وذهب بعضهم الى ان هذاوهم من الكاتب وقال بعضهم فى كتاب الله تعالى أشياء ستصلحها العرب بألسنتها وهذا القول عند أهل اللغة بعيد جدّا لان الذين جمعوا القرآن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أهل اللغة وهم القدوة وهم الذين أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعوه وهذا ساقط عمن لايعلم بعدهم وساقط عمن يعلم لانهم يقتدى بهم فهذا مما لاينبغى

ان ينسب اليهم والقرآن الكريم محكم لالحن فيه بشئ يتكلم العرب بأجود منه فى الاعراب ولسيبويه والخليل وجميع النحويين فى هذا باب يسمونه باب المدح قد بينوا فيه صحة هذا وجودته قال النحويون اذا قلت مررت بزيد الكريم وأنت تريد أن تخلص زيدا من غيره فالخفض هو الكلام حتى تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم واذا أردت المدح والثناء فان شئت نصبت وان شئت رفعت وجاءنى قومك المطعمين فى المحل والمغيثون فى الشدائد على معنى أذكر المطعمين وهم المغيثون وعلى هـــذا الآية الكريمة لانه لمـا قال بمـا أنزل اليك وما أنزل من قبلك علم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فقال والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة على معنى أذكر المقيمين وهم المؤتون وأنشـــدوا بيت خرنق بنت هفـان لايبعدن قومى البيتين على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون رفعه ونصبه على المدح وبعضهم يرفع النـازلين وينصب الطيبين وكله واحد جائز حسن اه وقال ابن جنى فى المحتسب القطع لكونه بتقدير الجملة أبلغ من الاتباع لكونه مفردا قال فى سورة فاطر قرأ الضحاك الحمد لله فاطرَ السموات وهذا على الثناء على الله سـبحانه وذكر النعمة التى اسـتحق بها الحمد وأفرد ذلك فى الجملة التى هى جعل بما فيها من الضمير فكان أذهب فى معنى الثناء لانه جملة بعـد جملة وكلما زاد الاسهاب فى الثنـاء والذم كان أبلغ ألا ترى الى قول خرنق لايبعدن الخ ويروى النازلون والطيبون والنازلين والطيبون والنازلون والطيبين والرفع على هم والنصب على أعنى فلما اختلفت الجمل كان الكلام أفانين وضروبا فكان ابلغ منـه اذا ألزم شرحا واحدا فقولك أثنى على الله أعطـانا فأغنى أبلغ من قولك أثنى على الله المعطينا والمغنينا لان معك هنـا جملة واحدة وهناك ثلاث جمـــل ويدلك على صحة هـــذا المعنى قراءة الحسن جاعل الملائكة بالرفع فهـــذا على قولك هو جاعل الملائكة ويشهد به أيضا قراءة خليد بن نشيط جعل الملائكة قال أبو عبيدة اذا طال الكلام خرجوا من الرفع الى النصب ومن النصب الى الرفع يريد مانحن فيه لتختلف ضروبه وتتباين تراكيبه اه وذكر الامام العلامة تقىّ الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى ماملخصه زعم قوم أن قراءة من قرأ أن هذان لساحران لحن وان عثمان رضى الله عنه قال ان فى المصحف لحنا وستقيمه العرب بألسنتها وهـــذا خبر باطل فان الصحابة رضوان الله تعالى عليهـــم كانوا

يتسارعون الى انكار أدنى المنكرات فكيف يقرّون اللحن فى القرآن الكريم مع أنه لا كلفة عليهم فى ازالته وقد ثبت فى الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب التابوت بالهاء على لغة الانصار فمنعوه من ذلك ورفعوه الى عثمان رضى الله تعالى عنه وأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش ولما بلغ عمر أن ابن مسعود قرأ عتى حين على لغة هذيل أنكر عليه ذلك وقال أقرئ الناس بلغة قريش فان الله تعالى انما أنزله بلغتهم وقال المهدوى فى شرح الهداية ماحاصله نسبة اللحن الى القرآن باطلة ولم يوجد فى القرآن الكريم حرف واحد الا وله وجه صحيح فى العربية وقال الله تعالى (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) والقرآن محفوظ من اللحن والزيادة والنقصان اه وكذا لايصح ماينسب لعائشة عليها السلام من ذلك حينما سئلت عن المقيمين والصابئون وان هذان وإن ذكره بعض المفسرين كالثعلبي وغيره لان هذه القراآت كلها متوجهة فى العربية على أفصح اللغات وقال الامام أبوبكر بن الانبارى الاحاديث المروية عن عثمان فى ذلك منقطعة الثبوت ومايشهد عقل بأن عثمان وهو امام الناس فى وقته وقدوتهم يجمعهم على المصحف الذى هو الامام فيتبين فيه خللا ويشاهد فى خطه زللا فلا يصلحه كلا والله لايتوهم عليه هذا ذو انصاف وتمييز ولا يعتقد أنه أخر الخطأ فى الكتاب ليصلحه من بعده وسبيل الجائين بعده البناء على رسمه والوقوف عند حكمه وقال فى كتاب المصاحف لما فُرِغ من المصحف أُتِى به الى عثمان فنظر فيه فقال أحسنتم وأجملتم وأرى فيه شيئاً ستقيمه بألسنتنا فهذا الأثر لااشكال فيه ان صح لانه رأى فيه شيئاً كتب على غير لسان قريش فوعد باقامته على لسانها ووفى بوعده كما كتب التابوت بالتاء اه وفى شرح الرائية لابن القاصح هذا الخبر لايصح عن عثمان لأن راوييه ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيأ ولا رأياه وظاهر ألفاظه ينفى وروده عن عثمان لما فيه من الطعن عليه فى منصبه ونصيحته للسلمين فغير ممكن أن يتولى لهم جمع القرآن مع سائر الصحابة ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنا وخطأ يتولى تغييره من يأتى بعده اه وقد تؤوّل أثر عثمان بتقدير صحته على أن المراد باللحن الرمز والاشارة فى نحو الكتب والصبرين من مواضع الحذف وفى نحو لاأوضعوا خلالكم وجزاوا الظالمين بعد الزاى ألف بعدها

واو وبعد الواو ألف ونحو لاأذبحنه ونحو بنيناها بأييد بياءين قبل الدال وكذلك من نباء المرسلين وسأوريكم وشبهه فلو قرئ ذلك بظاهر الخط كان لحنا وبالجملة فلا إخال واضع هذا الاثر الا زنديقا يريد به اثارة الفتنة على عثمان رضى الله تعالى عنه والطعن فى الدين وقد علمت مما أسلفناه لك عن الزجاج أن جميع النحويين سيبويه ومن قبله ومن بعده مجمعون على باب المدح وله شواهد شتى من كلام فصحاء العرب ممـا يدل على اختلاق هـذا الاثر ولقد سمعت بعض جهال الفرنج المتلصقين فى اللسان الشريف العربى يزعم أن القرآن الكريم ناقص كثيرا عما أنزل مستندا فى ذلك الى كلام فى شأن سورة الاحزاب لم يدر معناه لانه وارد فى منسوخ التلاوة فلزمنى لافهامه مااستند اليه وافهامه أقسام النسخ عناء شـديد فى زمن مديد كل ذلك من تحككهم بالعربية وتمحكهم فى التطفل عليهـا وتأميل المسـتحيل من نيلها لمقاصد يعلمها الله تعالى فانا لله وانا اليـه راجعون وبعض الناس يسميهم المستشرقين وقال الازهرى المسـتعربة قوم من العجم دخلوا فى العرب فتكلموا بلسانهم وحكوا هيآتهم وليسوا بصرحاء فيهم وتعرّبوا مثل استعربوا اه فأنت ترى أن تسميتهم بذلك أنسب وفى عقيلة الشاطبى فى رسم المصحف الكريم

وقال مالكُ القرآن يكتب بالـ * كتاب الاوّل لامستحدَثا سُطِرا

قال شارحه الامام السخاوى المتوفى سـنة ٦٤٣ بدمشق عن ٩٠ سـنة أما الامام السخاوى المتأخر زمن الامام السـيوطى فتوفى سـنة ٩٠٢ بالمدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مانصه قال أشهب سئل مالك رضى الله تعالى عنه أرأيت من استكتبته مصحفا أترى أن يكتب على ماأحدث الناس من الهجاء اليوم فقال لاأرى ذلك ولكن يكتب على الكتبـة الاولى قال مالك ولا يزال الانسان يسألنى عن نقط القرآن فأقول له أما الامام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ولا يزاد فى المصاحف مالم يكن فيها وأما المصاحف الصغار التى يتعلم فيها الصبيان وألواحهم فلا أرى بذلك بأسا فهذا معنى قوله وقال مالك البيت والذى ذهب اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحـال الاولى الى أن يعلمها الآخر وفى خلاف ذلك تجهيل الناس بأوليتهم وقال أبوعمرو الدانى رضى الله تعالى عنه المتوفى سـنة ٤٤٤ عقيب قول مالك هـذا ولا يخالف فى ذلك اه

ثم قال بعد أوراق وما كتبوا أى الصحابة شيئاً عن ضعف معرفة وعدم تحصيل فاياك وما تراه من قول من يقول لم تكن العرب أهل كتابة ففى هجائهم ضعف ويحتج بحديث انا أمّة أمّيون لانكتب ولا نحسب وبأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايكتب فانما ذلك كله لعدم التحصيل أما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم لايكتب فذلك فضيلة فى حقه وآية من آياته وأما ذلك الحديث فهو غالب حالهم فقد كتب منهم جماعة وكانوا الغاية القصوى فى المعرفة والذكاء والفطنة ثم ذكر كُتّابه عليه الصلاة والسلام ورضى الله تعالى عنهم ومنهم عثمان وعلىّ وأبىّ وزيد بن ثابت ومعاوية وخالد بن سعيد وأَبَانُ بن سعيد والعلاء بن الحضرمىّ وحنظلة بن الربيع وكلهم كتب الوحى وكان الزبير بن العوّام وجهم بن الصلت يكتبان أموال الصدقة وكان حذيفة يكتب خرص النخيل وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات وقال معاوية قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يامعاوية أَلِقِ الدواةَ وحَرِّف القلمَ وانصب الباء وفرّق السين ولا تُعوّر الميم وحسّن الله ومدّ الرحمن وجوّد الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فانه أذكر لك

وكان زيد بن ثابت آية فى الذكاء والمعرفة قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياثابت انه تأتينى كُتُب لا أحِبّ أن يَعْلمها كلّ أحد فهل تستطيع أن نتعلم السريانية فقلت نعم فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة

ثم قال بعد ان أبطل مانقل عن عثمان مما سبق وعلى فرض صحته فاللحن الرمز والايماء كقول التميمى

خَلُّوا عن الناقة الحمراء واقتعدوا الـ * عَوْدَ الذى فى جَنَابَىْ ظهرِه وَقَع

انّ الذئاب قد اخضرّت بَرَاثِنُها * والناسُ كُلُّهُمُ بكْرٌ اذا شبِعوا

كان هذا الشاعر أسيرا ورأى الذين أسروه قد عزموا على غزو قومه فلحن لقومه فى هذين البيتين وأراد بالناقة الحمراء أرضَ الدَّهْناء شبّهها بالناقة لانها أرضٌ لِيّنة والناقة ركوبها سهل وأمرهم بالتحوّل الى الصَّمّان فكنىّ عنه بالعَوْد والوَقَع آثار الدَّبَر فى ظهر الجَمَل وأرضُ الصَّمّان صُلْبة تَبْقَى فيها الآثار لاتنسخها الرياح وكنىّ عن الخِصْب بقوله

ان الذئاب الخ والعرب اذا أخصبوا غزا بعضهم بعضا وفى ذكر الذئاب كناية عن أهل العُدْوان وقال آخر وكنّى عن الخصب باخضرار النعال

قوم اذا اخضرّت نِعالُهُمُ * يتناهقُون تَنَاهُقَ الحُمُرِ

وقوله والنــاس كلهم الخ لان فى بكر بن وائل عداوة لبنى تميم ولذا قال والناس كلهم اذا أخصبوا وشـبعوا كبكر فى عداوتكم اه قلت ومعلوم أنّ من كَشَفَ حِجَابه يرى الصحابة عليهم الرضوان قاصرين فى عِلْم الكتابة وقد عميت بصيرته عن أنّه بلحظة رضاءٍ من الحضرة النبوية على اقتفاء سَنَن العمل بهَـدْيه الشريف ينقلب كِيَان النفوس الامّارة الى مايشبه النفوسَ المَلَكية وهنالك الفُيُوض القدسية لعمرى ان ذلك هو الإكسير الحقيق الجابر لكل كَسِـير لامايُعزَى لجابر من ذلك الاكسر انظر الخنساء كيف ملأت الافاق نحيبا على صخرهـا ثم جادت بفَلَذَات أكبادها ولم تزل تتضرّع فى نَيْلهـم الشهادة جميعـا فى القادسية حتى أجيبت وأمثال ذلك لايحصى

وبعـــد فقد أجمع القراء السـبعة فى سورة قريش على قراءة ايلافهم بالياء مع كتابتها فى المصاحف العثمانية بلا ياء واختلفوا فى قراءة لئيلاف مع كَتْبها فيها بالياء (تنبيه) اعلم أن القرآن الكريم المحفوظ الآن فى الصدور المجموع بين الدَّفّتين هو عَينُه الذى فى اللوح المحفوظ المنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بالروح الامين وأنه جمع كذلك فى عهده صلى الله عليه وسـلم ثم جمعـه أبو بكر بمعنى انه كان كاملا فى عهد النبوة لكنـه مفرّق فى رِقاع شـتّى مكتوبة فكان ذلك بمثابة أوراق وجدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهـا القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لايضـيع منها شئ لان أبا بكر أوّل من جمعه فى المصحف مكتوبا فى الورق ثم جمعه عثمان ثالثا لابذلك المعنى بل كما قال القاضى أبو بكر فى الانتصار لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين وانما قصد جمعهم على القراآت الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والغاء ماليس كذلك وأخذهم بمصحف واحد باتفاق المهاجرين والانصار لما خشى الفتنة باختلاف أهل العراق والشام فى بعض الحروف اه وكان زيد بن ثابت فى جمع أبى بكر لايكتفى بمجرد وِجْدانِه مكتوبا حتى يشهد به مَن تلقّاه سماعا على أن ذلك المكتوب

كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمتى شهد شاهدان بذلك أثبته مع كونه كان حافظا فكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط وفى الكشاف ولا التفات الى مازعموا من وقوعه (أى المقيمين) لحنا فى خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب فيا لهم من النصب على الاختصاص من الافتنان وغبا عنه ان السابقين الاولين الذين مَثَلُهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كانوا أنفذ همة فى الغيرة على الاسلام وذبّ المطاعن عنه من أن يتركوا فى كتاب الله ثُلْمة ليسدّها مَن بعدهم وخَرْقا يَرفُوه مَن يلحق بهم اه ولا فرق فى القطع بين أن يكون فى النعوت كبيتى خرنق أو المعطوفات فقد أنشد سيبويه للقطع مع حرف العطف قوله

ويأوى الى نسوة عُطَّل * وشُعْثا مَرَاضِيع مثل السَّعَالى

ولا دليل على منع القطع بين المبتدا والخبر بناء على انه أى الخبر جملة أولئك على أن ذلك غير متعين اذ يجوز كونه جملة يؤمنون وقال الخطيب أجمع الصحابة والمحققون على صحة هذا الاعراب اه وكفى بالصحابة فضلا عن غيرهم حجة والصلاة عماد الدين فمقيموها جُدَراء بالمدح قال الرازى وهذا الوجه هو المعتمد فى هذه الآية أما ماروى عن عثمان وعائشة فبعيد لأن هذا المصحف منقول بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه اه وبعد فان فى آخر ذلك الاثر الباطل أن عثمان لما قيل له مالَكَ لاتغيره قال انه لايُحِلّ حلالا ولا يحرِّم حراما وقد بعث عثمان بعد ذلك الجمع الى كل مصر مصحفا وحرق ماسوى تلك المصاحف وسُمِّى كلّ منها إماما لاالمصحف الذى كان عند عثمان وحده كما قيل وجميع القراآت السبعة بل العشرة ثابتة فى الامام لأنهم قالوا لابدّ فيها من أمور ثلاثة صحة السند وموافقة قواعد العربية ومطابقة الرسم العثمانى الثابت فى الامام وقال فى النشر المراد بهذا الثبوت ولو تقديرا أنظر كيف كتبوا الصراط والمصيطرون بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التى هى الاصل لتكون قراءة السين وان خالفت الرسم من وجه قد أتت على الاصل فيعتدلان وتكون قراءة الاشمام محتملة ولو كتب بالسين على الاصل فات وعدّت قراءة غير السين مخالفة للرسم هذا ماوسع العبد الضعيف فى خدمة هذا المقام والله أسأل أن يدفع عنا جميع

الاسواء فى الآخرة والدنيا ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم وكتابه الكريم آمين وقول خرق النازلين الخ أى انهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفى ذلك الوقت يتداعَوْن نَزَالِ كما قال ربيعة بن مقروم الضَّبّى

ولقد شهدتُ الخيلَ يوم طِرادها * بسَليم أوظِفـــة القوائم هيكل
فدَعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوّلَ نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

وانما ينزلون عن الابل الى الخيل فى الغارات يقودون خيولهم ليريحوها ويركبون ابلهم فاذا قربوا من عدوّهم وأغاروا نزلوا عن ابلهم وركبوا خيولهم لئلا يُتْبَعوا فيُدركوا والازار ماستر النصف الاسفل والرداء ماستر الاعلى (فائدة) وقع فى صحاح الجوهرى ذكر هذا البيت بهذا الترتيب وهو

ولأنتَ أشجع مِن أسامة اذ * دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجّ فى الذُّعُرِ

وهو مركّب من بيتين أحدهما لزهير وهو

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدرع أنتَ اذا * دعيت الخ

والثانى للمسيّب بن عَلَس خال الاعشى ميمون وهو

ولأنت أشجع من أسامة اذ * يقع الصُّراخ ولج فى الذعر

وبيت زهير من قصيدة يمدح بها هَرِم بن سنان المُرّى وبيت المسيّب من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب الكِنْدى ورويت لابن أخته الاعشى المذكور والله تعالى أعلم ثم قال ابن دريد

«وهُم لِمَن لان لهم جانِبُــه * أَظْلَم مِن حَيّات أَنْباثِ السَفَا»

لان سهل والأنباث التراب المستخرج من البئر الواحد نَبَث والسفا تراب البئر والقبر وهــذا نظم لقولهم فى المثل السائر أظلم مِن حَيّة وأظلم مِن أفْعَى لأنها لاتحفِر جُحْرا بل تسكن بجحر غيرها قال الشارح الطبرى ومراد الناظم دفع السيئة بالسيئة والا فالظلم مرتعه وخيم ثم ساق قصة السيدة نفيسة فى كتابها رقعة لأحمد بن طولون لما اشتدّ ظلمه ووقفت بها فى طريقه فلما مَرّ نادتْه فترجّل لها وأخذ الرقعة الى آخر الحكاية المشهورة ولعلها حصلت من غير السيدة نفيسة عليها السلام وذلك لأن وفاتها

بمصر كانت سنة ٢٠٨ وولادة أحمد المذكور فى سنة ٢٢٠ ووفاته بمصر سنة ٢٧٠ فليتنبه لذلك

«والناسُ كُلًّا ان فحصتَ عنهمُ * جميعَ أقطار البلاد والقُرَى»
«عَبِيد ذى المال وان لم يطمعوا * مِن غَمْره فى جُرْعةٍ تشفِى الصدا»

فحصت كشفت وأقطار نواحى والغمر الماء وهو هنا العطاء قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأما المال فهو غاد ورائح ولا يعتبره أهل البصائر فمن ثم لم يكن له دخل فى الكفاءة كما هو مقرر فى الفروع وذكر الطبرى فى شرح هذا البيت أن الملك الاشرف قايتباى أراد التزوّج بابنة بعض العلماء فامتنع أبوها لعدم كفاءة السلطان فعقد السلطان مجلسا جمع فيه العلماء فقالوا نعم وقرّبوا ذلك لفهمه بأنه كم من شخص بات فقيرا وأصبح ملكا وبالعكس وذكروا له شواهد كثيرة بجملة من الجراكسة قال ونقل شيخ الاسلام بن حجر العسقلانى فى تاريخه أن أحد الشراكسة فى العسكر كان فى عصر يوم لايملك مايقوته تلك الليلة وهو فى غاية الضيق والضنك فبينما هو كذلك اذ مات السلطان فاتفق العسكر على تولية ذلك الشركسى فأجلسوه فى القلعة على كرسى الملك كل ذلك قبل الغروب فبعث للشيخ بهذه الحادثة ليثبتها فى تاريخه اه وسئل بعضهم عن سبب محبته لغنىّ بخيل فقال كيف لا أحبه وحبيبى عنده وكلا نصب على الحال من الضمير فى عنهم وقُدِّم لكونه من المجرور كقوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافةللناس) وكقول الشاعر

لئن كان بَرْدُ الماء حَرّانَ صاديا * الىّ حبيبا إنّها لحبيب

فحرّان حال من ضمير الىّ وكقول الآخر

اذا المرء أعْيَتْه السيادة ناشئا * فَطَلَبُها كَهْلا عليه عسير

فكهلا حال من ضمير عليه ثم قال ابن دريد

« وهُمْ لِمَن أمْلَقَ أعداءٌ وان * شارَكَهُم فيما أفاد وحوى »

مأخوذ من قول عروة بن الورد

ذرِينى للغِنَى أسعَى فانى * وجدت الناسَ شرُّهم الفقير
وأبعدهم وأهْوَنهم عليهم * وان أمسى له كَرَمٌ وخير

ثم قال ابن دريد

« عاجَمْتُ أيّامي وما الغِـرّ كمن ٭ تأزَّر الدهرُ عليـــه وارتدَى »

عاجمت ماضغتُ وبَلَوْت وأيامى يعنى زمانه والغِرّ الذى لم يجرّب الامور وتأزر الدهر الخ من المقلوب أى تأزر هو وارتدى على الدهر كقولهم أكل الدهر عليه وشرب أى أكل هو وشرب على الدهر وقولهم ليلك نائم ونهارك صائم أى تنام فيـه وتصوم فيـه وكذلك ماهنا أى أنه مرت عليه صروفه من الخير والشر كما قال الآخر

اذا مالبِستَ الدهر مستمتِعا به ٭ تخرّقتَ والملبوسُ لم يتخـــرّق

وبيت ابن دريد مأخوذ من قول الشاعر

لقد عَجَمَتْ مِنّى الحوادثُ ماجدا ٭ عَرُوفا بريب الدهر حين يَريب

ثم قال ابن دريد

« لا ينفــع اللُّبُّ بِلا جَدٍّ ولا ٭ يَحُطُّك الجهل اذا الجدّ علا »

معنى ذلك كثير فى كلامهم قديما وحديثا قال الشاعر

أرَى زمنًا نَوْكَاهُ أسعدُ أهلِه ٭ ولكنما يشــقَى به كلُّ عاقل

وأحسن القاضى الفاضل فى قوله

واذا السعادة لاحَظَتْك عيونها ٭ نَمْ فالمخـاوِفُ كلُّهنّ أمَان

واصطد بها العنقاءَ فهى حبائل ٭ واقتد بها الجَوزاء فهى عِنان

وما ألطف قول عبدالقدوس

وليس رِزْق الفتى من حيث حِيلَتُه ٭ لكنْ جُدود بأرزاق وأقسـام

كالصَّيد يُحْرَمه الرامِى المُجِيدُ وقد ٭ يُرْمَى فيُرْزَقُه مَن ليس بالرامى

ثم قال ابن دريد

« من لم يعِظْه الدهر لم ينفعه ما ٭ راح به الواعظ يوما أو غدا »

هو مأخوذ من قول عدِىّ بن زيد

كفى زاجرا للمرء أيامُ دهره ٭ تَرُوح له بالواعظات وتغتدى

عن المرء لاتسأل وسَلْ عن قرينه ٭ فكل قرين بالمُقـارِن يقتـدى

ومن تصاريف الزمان ان أبا بكر بن اللبانة رأى فخر الدولة ولد المعتمد بن عباد بعد نكبة أبيه المعتمد يعمل فى الصياغة فقال من جملة قصيدة

أذكى القلوبَ أسىً أجرى العيونَ دمًا * خَطْبٌ وُجُودُك فيه يشبه العَدَما

وعاد كَوْنُك فى دُكّانِ قارعة * من بعدما كنتَ فى قصرٍ حكى إرَما

صَرَفْتَ فى آلة الصَّيّاغ أنْمُلةً * لم تَدْرِ الا الندى والسيف والقلما

يَدٌ عهِدتُك للتقبيل تبسُطها * فتستقلّ الثريّا ان تكونَ فَما

ياصائغا كانت العُلْيا تُصَاغ له * حَلْيا وكان عليه الحَلْىُ منتظما

للنفخ فى الصور هَوْلٌ ماحكاه سوى * هولٍ رأيتُك فيه تنفُخ الفَحَما

وددْتُ اذ نَظَرَتْ عينى اليك به * لو أنّ عينىَ تَشْكو قَبْل ذاك عَمَا

لُحْ فى العُلَى كوكبا ان لم تَلُح قمرا * وقم به رَبْوة ان لم تَقُم عَلَما

واصبر فيا ربّما اَحْمَدْتَ عاقبةً * من يحمِل الصَّبْرَ يَحْمَدْ غِبَّ ما لزِما

والله لو أنصفتك الشمس لانكسفت * ولو وفَى لك دمع العين لانسجما

ولا ريب أن هذه القصة عِظة لمن يتعظ ومثلها قصة البرامكة وسبحان من يُعزّ ويُذِلّ لا اله الا هو

«مَن لم تُفِدْه عِبَراً أيّامُه * كان العَمَى أولى به من الهدى»

المعنى مأخوذ من قول أبى عيينة

ما راح يوم على قوم ولا ابتكرا * الا رأى عبرة فيه من اعتبرا

ولا مضت ساعة فى الدهر فانصرفت * حتى تؤثر فى قوم لها أثرا

انّ الليالىَ والايامَ أنْفُسَها * عن عيب أنْفُسِها لم تَكْتُمِ الخبرا

ثم قال ابن دريد

«من قاس مالم يَرَه بما رأى * أراه ما يدنو اليه ماناًى»

هو من قول الشاعر

قِسْ بالتّجارِب أحداثَ الزمان كما * تقيس نَعْلا بنعل حين تَحْذُوها

وقال آخر

يَرَى فَلَتاتِ الرأيِ والرأيُ مُقْبِل * كأنّ له فى اليوم عينا على غد

والقياس حمل مجهول على معلوم فى الحكم لعلة جامعة بينهما والسادة الحنفية يقدّمونه على الحديث الضعيف وعلى الاثر وذكر الشارح الطبرى أن الشريف الفاسى لما دخل مكة المكرمة وهاجت عليه طلبة العلم بها صار يعوّل على الادلة والقياس فهجاه بعضهم بقوله

أتانا طـالب من أرض فاس * يطالب بالدليـــل وبالقياس

وما يُعْزَى الى فاسٍ ولكن * الخ

« من مَلّكَ الحِرْصَ القِيادَ لم يزل * يَكْرَع فى ماءٍ من الذّل صَرَى »

الحرص الاجتهاد فى طلب كل مرغوب فيه وكرع فى المـاء اذا تناوله بفيه أوخاضه والصرى مقصورا بكسر الصاد وفتحها المـاء الدائم الذى طال مكثه والمعنى مأخوذ من قول أبى العتاهية * أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجال * وهذا محمول على الحرص لجمع المـال فأما الحرص لبذله فممدوح

«من عارَضَ الاطماعَ باليأس رَنَتْ * اليه عَينُ العِزّ من حيث رنى»

فيه تلميح لقوله صلى الله عليه وسـلم الغِنَى اليَأسُ ممـا فى أيدى النـاس وقال هشام لشاعر وفد عليه ألست القائل

لقد علمتُ وماالاشراف مِن شِيَمِي * أنّ الذى هو رِزْقِى سوف يأتينى

أسعَى اليــه فيُعْنِينِى تَطَلُّبُــه * ولو قعــدتُ أتانِى لا يُعَنّينِى

فقال نعم وسافر لوقته ففكر الخليفة أن هــذا شاعر لايؤمن لسانه فبعث اليــه بعشرة آلاف درهم فلحقه بها البريد وهو داخل منزله فقال سلم على الخليفة وقل له قد صح قولى وعلى ذكر تخوّف هشام من الشاعر أورد الطبرى هنا أن الملك المعظم عيسى حضر عنده الشعراء يوما وفيهم ابن عُنَين فقال لابد أن تهجونى فى وجهى فقبّلوا الارض واسـتعفوا فألحّ عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ما ذُكِرنا لامْرِئٍ * قَطّ إلّا الخ

وأنشــد أبو عمرو النميرى أبيـات ابن الرومى التى جعلها فى خَبّـاز رُقاقٍ وأودعها التشبيهاتِ العُقْم وهى

لم أنس بالأمس خبّازا مررتُ به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفّه كرةً * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلّا بمقدار ما تنداح دائرةٌ * فى صفحة الماء يُلقى فيه بالحجر

والشاعر المنقاد لشهوات أفكاره الذى لايتأثم مما يسوّد صحيفته يوم القيامة لايعجزه شئ أنظر كيف هجا ابن الرومى المذكور القمر بشعر يقول فيه

كلفٌ فى بياض وجهك يحكى * نمشا فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق فى كلّ شهر * فترى كالقلامة الجنباء

ولآخر فى ذمّ الشمس

رمداء عمشاء اذا أصبحت * عمياء عند الليل لاتبصر
ويغتدى البدر لها كاسفا * وجرمه من جرمها أصغر
حرورها فى القيظ لا يتّقى * ونورها فى القرّ مستحقر

وهجا ابن الرومى والده بما لم يسبق اليه وهو قوله

لو كان مثلك فى زمان محمد * ما جاء فى القرآن برّ الوالد

وكذلك ابن عنين حيث يقول

وجنّبنى أن أفعل الخير والدٌ * قليلٌ اذا ماعدّ أهل التناسب
بعيد من الحسنى قريب من الخنا * وضيع مساعى الخير جمّ المعائب
اذا رمتُ أن أسمو صعودا الى العلى * غدا عرقه نحو الدنيّة جاذبى

وبالغ علىّ بن بسام فى هجاء أبيه حتى فاق غيره فى ذلك وقال ابن المعتز

من شاء يهجو عليا * فشعره قد كفاه
لو أنه لأبيه * ما كان يهجو أباه

وقد يحسّن الشاعر القبيح وبالعكس قال ابن الرومى

فى زخرف القول ترويجٌ لباطله * والحقّ قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان ذممت فقل قئ الزنابير
مدحا وذمّا وما جاوزت وصفهما * حسن البيان يرى الظلماء كالنور

وتلطف ابن عنين فى اعتذاره لوهب عن فَعْلَته فقال

ياوهب لا تكثرت للعائبيك بها * فانمـا أنت غيث ربمـا رَعَدا

وقد سارت فَعْلَة وهب فى الآفاق وضُربت بها الامثال وألّف فيها بعضهم وقال ابن قلاقس فى ألحَى

هى فوق الصدر قد سدّته من شرق لغـــرب

لحية روّته فى النـا * س ولا فَعْلَة وهب

وهذا بخلاف قول بعض الشعراء المُغَنّين من قصيدة أنشدها لزُبَيدة

أزبيـدةُ ابنــةَ جعفر * طـــوبى لزائرك المُثـاب

تعطين مِن رجليـكِ ما * تعطِى الاكُفُّ من الرِّغاب

حتى انّ عبيدها جعلوا يقرعون رأسه فقالت دعوه فانه أراد خيرا فأخطأ وهو أحب الينا ممن أراد شرا فأصاب سمع قولهم شمالك أندى من يمين فلان فظن أنه من هذا الباب ثم قال ابن دريد

مَن عَطَف النفسَ على مكروهها * كان الغنى قرينَــه حيث انتوى

عطف النفس على مكروهها ثناها عليـه وقنّعها به وقرينه صاحبه وانتوى من النيـة بتشديد الياء وتخفيفها وهى القصد والمعنى يشير للحديث الشريف القناعة مال لا ينفَد

من لم يقف عند انتهاء قدره * تقاصرت عنه فَسيحات الخُطا

انتهاء بلوغ وتقاصرت قصرت وفسيحات واسعات والخطى جمع خطوة بضم الخاء للاسم وهى مسافة ما بين القدمين وبفتح الخاء للمصدر والمعنى ينظر لقول صالح بن عبد القدوس

اذا لم تسطع شـيأً فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

وقول أبى الطيب

ومن جهلت نفسه قدرَه * أرى غيرَه منه مالا يرى

(من ضيّع الحزمَ جنى لنفسه * ندامة ألذعَ من سفْع الذّ كا)

ضـيع ترك والحزم الاحتراس لانه كالحِزام للفرس وجنى جرّ جريرة على نفســه والندم الأسف وألذع أحرق والسفع الوهج والذكا التهاب النار . غنت جارية الرشيد بقول مسلم ابن الوليد من قصيدته التى مدح بها يزيد بن مَزْيَد الشيبانى

تراه فى الأمن فى دِرع مضاعفة * لا يأمن الدهرَ أن يُدعَى على عَجَل
لا يعبَق الطيبُ خَدّيه ومَفرِقه * ولا يُمَسّح عينيه من الكَحَل

فكان يزيد يقول للرشيد انى لأحرِص على أن لا أكذّب شعرائى فأمر الرشيد يوما أن يؤتى بيزيد على الحالة التى يوجد بها فلم يجد عليه درعا فقال قد أكذبت شاعرك فرفع ثوبه واذا الدرع تحته فأمر له بخمسين ألف دينار ولشاعره بنصفها . وحكى مسلم هذا قال دخلت على يزيد وعنده المرآة ووصيفة تريه وجهه وهو يمشُط لحيتَه فأنشدتُه قصيدتى هذه الى أن بلغت قولى لايعبق الطيب الخ فصرف الوصيفة ورمى المشط وقال قد حرّم علينا مسلم الطيبَ فما رؤى بعد ذلك ظاهرَ الطيب ولا مكتحلا وكان أعطر أهل زمانه فكان يقول اللهُ بينى وبين مسلم حرّم علىّ أحبَّ الاشياء الىّ

من ناط بالعُجْب عُرَى أخلاقه * نيطت عرى المقت الى تلك العرى

ناط علّق لايستعمل الا مجردا فما فى جوهرة التوحيد من قوله وكل موجود أنط للسمع به لعله تحريف من الناسخ والعُجْب الزهو والخيلاء والعرى جمع عروة وهى من نحو الدلو مقبضه ومن الثوب مدخل زِرّه قال الاصمعى سمعت اعرابيا يقول الحسد ماحِقٌ للحسنات والزهو جالب لمقت الله ومقت الصالحين والعجب صارف عن الازدياد من العلم داع الى التخبط فى الجهل والبخل أذمّ الاخلاق وأجلبها لسوء الاحدوثة والبيت ناظر الى قوله صلى الله عليه وسلم لاينظر الله الى من جرّ ثوبه خُيَلاء والى قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنيهما أدخلته النار وقال ابن الشخير ليزيد بن المهلب وهو يجرّ ثوبه ماهذه المِشية التى يبغضها الله ورسوله قال أما تعرفنى قال بلى أولك نطفة مَذِرة وآخرك جيفة قَذِرة وأنت بينهما تحمل العَذِرة وينسب ذلك الكلام لعلى عليه السلام وللحصرى

أرى أولاد آدم أبطرتهم * حظوظُهم من الدنيا الدنيّه
فلِمْ بَطِرُوا وأوّلُهم مَنِىّ * ولِمْ نَخَرُوا وآخرهم منيّه

(من طال فوق منتهى بسطته * أعجزه نَيْلُ الدُّنَى بَلْهَ القُصَا)

الدنى جمع دنيا والقصى جمع قصوى أو قصيا وبله اسم لِدَعْ ومصدر بمعنى الترك واسم مرادف لكيف وما بعدها منصوب على الاول مخفوض على الثانى مرفوع على الثالث وفتحها اعرابٌ على الثانى بناءٌ على ماعداه وجاءت فى الحديث الشريف مِنْ بَلْهِ على غير الاوجه الثلاثة وفسرت بمعنى غير وسيأتى استيفاء الكلام عليها فى حرف الباء من اختصارنا للمغنى كما يأتى الكلام على فُعْلَى فى شرح الخُطَب ان شاء الله تعالى

من رام مايعجِز عنه طَوقُه ✻ مِلْعبْء يوما آض مخزولَ المَطَا

رام طلب والعَجْز والمعجِز والمعجِزة وتفتح جيمهما والعَجَزانُ والعُجوز الضعفُ والفعل كضرب وسمع وعجزت المرأت كنصر وكرم عُجوزا صارت عَجوزا والطوق الطاقة والعبء الثقل وآض رجع ومخزول مقطوع والمطا الظهر وملعبء أصله من العبء

والناسُ ألفٌ منهمُ كواحد ✻ وواحد كالألف ان أمرٌ عَنَا

عنا قصد وشقّ وقد عقد قوله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من ألفٍ مثلِه الا المؤمن وكان أمير المؤمنين علىّ رضى الله تعالى عنه يقوَّم بألف وكذا الزبير بن العوام وبعث عمر رضى الله تعالى عنه مالكا النضرى وطلحة الأسدى لعامله بالشام عن ألفى فارس استنجده العامل أن يرسلهما اليه

وللفتى من ماله ماقدّمت ✻ يداه قبل موته لاما اقتنى

الفتى الشاب واقتنى افتعل من القنية وهى أن يتخذ المال لنفسه لاللبيع وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأمضيت وقال الشاعر

تسائلنى هَوَازنُ أين مالى ✻ وهل لى غيرُ ما أنفقتُ مال

وقد جمع البقاعى مايصل ثوابه بعد الموت بقوله

للعبد يجْرِى الأجْرُ بعد الموت فى ✻ تسع كما قال النبىُّ المصطفى
إجراء نهر حَفْر بئر غَرْس نَخْـ ✻ ـلٍ نشر علم والتصدق فى الشفا
وبناء بيت ابن السبيل ومسجد ✻ وبتركه ابنا صالحا أو مصحفا

وما ألطف قول أبى الطيب

وكلما لقىَ الدينارَ صاحبُه * فى ملكه افترقا من قبل يصطحبا

مالٌ كأن غراب البين يرمقه * وكلما قيل هذا مُجتدٍ نَعَبا

وأنكت منه قول الصفدى

لا تجمع الدينارَ واسمح به * ولا تقل كن فى حمى كَفّى

ما الدهر نحوىٌّ فينحو الهدى * ويمنع الجمعَ من الصرف

وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه البخيل يتعجل الفقر يعيش فى الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء ومن هجاء البخلاء

لا تعذُلونى ان هجرت طعامه * خوفا على نفسى من المأكول

فمتى أكلت قتلته من بخله * ومتى قتَلت قُتِلت بالمقتول

ثم قال ابن دريد

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

هو مأخوذ من قول عبدالصمد أرى الناس احدوثة فكن حديثا حسنا

انى حلبت الدهرَ شَطريه فقد * أمرّ لى حينا وأحيانا حلا

حلبت الدهر شطريه أى اختبرته من خير وشر وأصله من حَلَب الناقة يقال حلب شطرها أى نصفها ومنه قولهم فى المثل حلب فلان الدهر أشطره أى مرت عليه صروفه من خير وشر قال الشاعر

مازال يحلُب هذا الدهر أشطره * يكون متبِعا يوما ومتبَعا

وقال آخر

أصبر لدهر نال منـ * ـك فهكذا مضت الدهور

فرح وحزن مرةً * لا الحزن دام ولا السرور

وفى البيت أن نعماء الدهر أكثر من بؤسه ومأخذه قوله تعالى (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) وقوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين

وفُرّ عن تجربة نابٍ فقل * فى بازل راضَ الخطوبَ وامتطى

فرّ أى كشف عن أمرى وفتش وهو من قولهــم فُرّ عن الدابة اذا فُتح فوهــا ليُنظر ماسنّها ومنه قولهم فى المثل عَينُه فُرارُه والناب الذى بعد الرَّباعيَة والبازل المسنّ وراضَ أذلّ والخطوب الامور وامتطى ركب المطا وهو الظهر وهو عقد لقول الحجاج ولقد فُررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة

والناس للموت خَلًا يَلُسُّهم * وقلّما يبقى على اللَّسّ الخلا

مأخوذ من قول الشاعر

وأرانا كالزرع يحصُدنا الدهــ*ــر فمِن بين قائم وحصيــــد

والخلا رَطْب النبات ويابسُــه الحشيشُ جمع خلاةٍ والمَخْلاة ما يجعل فيه الخلا يلسهم يرعاهم وأصــل التشبيه من قوله تعالى فى الدنيا (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الآية الكريمة وفى الحديث الشريف الدنيا مزرعة الآخرة

عجبت من مستيقن أن الردى * اذا أتاه لايداوَى بالـــرُّقَى

وهو من الغفــلة فى أُهْــوِيّة * كخـابط بين ظلام وعَشَــا

الردى الهلاك والرقى جمع رقيــة والأهوية الحفرة يضــيق أعلاها ويتسع أســفلها والخابط الذى يضرب ورق الشجر بالعصا ليتناثر ويعلفه الأبل والعشا ضعف البصر كذا فى شرح ابن هاشم زاد الطبرى بموجب الظلام قال والعشا ضــد الجهر لان الأعشى هو من لايرى ليلا ويرى نهارا والاجهر عكسه اه

نحن ولا كفران لله كما * قد قيل للسارب أَخْلَى فارتعى

اذا أحسَّ نبأةً ريــعَ وان * تطامنت عنــه تمــادى ولهـا

نحن كلمة تعظيم من حيث ان النــاظم آية من آيات الله تعــالى وكل آياته عظيــمة فيجب أن يعبر عنها بما يشعر بالتعظيم كما يؤيده قوله ولا كفران أى جحود كذا فى الطبرى والسارب الظاهر بمــا له من المــاشية والابل وكل متصرف فى حوائجــه بالنهار سارب وأخلى دخل فى الخلا وهو الرَّطْب من النبات وارتعى افتعل من الرعى أى صادف خيرا كثيرا فأرعى ماشيته فأما الرعى بكسر الراء فهو الكلأ كما تقول الطحن والطحن والرزق والرزق بالفتح المصــدر وبالكسر الاسم وأحس علم ووجد والنبأة الصوت وريع أفزع وتطامنت سكنت ولها من اللهو

كثلّة ريعت لِلَيثٍ فانزوت * حتى اذا غاب اطمأنت أن مضى

الثلة بالفتح الجماعة من الغنم وبالضم الجماعة من الناس قال الله تعالى (ثلة من الاولين) وريعت أفزعت والليث الاسد والليث أيضا ضرب من العناكب يصيد الذباب وانزوت انكمشت واطمأنت سكنت ومضى ذهب وهذه الابيات المتقدمة والمتأخرة مأخوذة من قول صالح بن عبد القدوس

نراع اذا الجنائز قابلتنا * ونسكن حين تخفى ذاهبات

كروعة ثلة لمغار ليث * فلما غاب عادت راتعات

وبيت ابن دريد هذا ساقط فى أكثر النسخ

نَهال للشئ الذى يروعنا * ونرتعى فى غفلة اذا انقضى

نهال نفزع من الهول وللشئ أى من أجل الشئ هكذا أطبق الشراح وجميع نسخ المتون التى بيدى على نهال ولم أجدها من هذا الباب فيما وقفت عليه من كتب اللغة أى باب خاف فلعله نُهال مجهول هاله الامر من باب قال والمعنى كقول الشاعر

نُراع لذكر الموت ساعة ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب

(انَّ الشقاءَ بالشقىّ مُولَع * لا يملك الردَّ له اذا أتى)

أى ان المُقَدَّر كائن وقد ورد اذا أراد الله أن يُنفِذ قضاءه وقَدَره سلب من ذوى العقول عقولهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه حدثنى بأعجب ماوقع لك فى الجاهلية قال أخبرك باثنتين أما احداهما فاذا ذكرتها أضحك وأما الثانية فاذا ذكرتها أبكى فقال صلى الله عليه وسلم هات فقال كان لى صنم من تمر أعبده فاذا جعتُ أكلتُه وأما الثانية فكانت لى ابنة حفرت لأدفنها فكلما أصاب لحيتى التراب نفضَتْه ثم دفنتُها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَ مَاعُقُولٌ ياعمر قال عقول وأىّ عقول وانما أضلها باريها ومعنى البيت من قول الشاعر

صُبّت عليه ولم تنصبّ من أَمَم * ان الشقاء على الاشقينَ مصبوب

ونحوه قول المتنبى

وشبه الشئ منجذب اليه * وأشبه مابدنيانا اللئام

وقال آخر فى أمة سوداء

رآهـا ناظرى فصـبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

ثم قال ابن دريد

واللوم للحُـــرّ مقيم رادع * والعبـد لا يردعه إلا العصا

هو من قول الآخر

العبــد يُقــرع بالعصا * والحُــرّ تكفيه المقــالة

وقال بشار الحُـرُّ يُلْحَى والعصا للعبد

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقـــلُه فقد نجا

ينظر الى قول زياد الأعجم

وفى الحلم والاسلام للمرء وازع * وفى ترك طاعات الفؤاد المتيم

بصائر رشــد للهدى مستبينة * واخلاص صدق علمها بالتعلم

وقال آخر

اذا طالبتك النفس يوما بشهوة * وكان عليهـا للخلاف طريق

فخالف هواها مااستطعت فإنما * هواها عدو والخلاف صديق

وينسب لعلى عليه السلام

اذا حار أمْرُك فى معنيـين * ولم تدر أين الخطا والصواب

فخـالِف هواك فان الهوى * يقود النفـوسَ الى مايُعـاب

وقال صلى الله عليه وسلم آفة الدين الهوى وقال حُبُّك الشئَ يُعْمِى ويُصِمّ

كم من أخ مسخوطة أخلاقُه * أصـفيته الودَّ لخُلْق مرتضَى

مسخوطة غير مرضية وأصفيته أخلصته وهو كقول بشار

اذا كنتَ فى كل الامور معاتبـا * صــديقَك لم تلقَ الذى لاتعاتبــه

فعش واحدا أو صِـل أخاك فانه * مقـارف ذنب مَرّةً ومُجانبــه

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأىُّ الناس تصفو مشاربه

(اذا بلوتَ السيف محمودا فلا * تَذُمُّه يوما أن تراه قد نبـا)

بلوت اختبرت ومحمودا غير مذموم ونبا ارتفع عن الضريبة فلم يعمل فيها شيأً وقد نظم قولهم لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة وهو أيضا مثل قول ابن أخى المهلّب بن أبى صُفرة يخاطب عمه المهلب

جفانى الامير والمغيرة لى جفا * وأمسى يزيد لى قد ازورّ حاجبُه
وكلُّهم قد نال شِبْعا لبطنه * وشِبْعُ الفتى لؤم اذا جاع صاحبه
فياعَمّ مهلا فاتخذنى لنَبْوةٍ * تُلِمّ فان الدهر جَمٌّ عواقبه
أنا السيف الا أن للسيف نبوة * ومثلى لاتنبو عليه مضاربه

وقال أبو تمام

وقد يَكْهُم السيفُ المسمى منيّة * وقد يرجع المرء المظفّر خائبا
(والطِرف يجتاز المَدَى وربما * عَنّ لمعداه عِثار فكبا)

الطرف الفرس الكريم وهو للذكر خاصة كالحِصان كما أن الحِجْر خاصة بالانثى أما الفرس فمشتركة ويجتاز بالجيم يفتعل من جاز يجوز وبالحاء المهملة أى يحوز المدى ويملكه بسبقه والمدى الغاية وعَنّ عَرَض ومعداه عَدْوُه وهو ضرب من الجرى وعثار سقوط وكبا سقط على وجهه وما أحسن قول بعضهم معتذرا عن كبو الفرس

أما الجواد فلا يُعْزَى الى زلل * وهل يزلّ جواد أنت صاحبه
لكنه خَرّ نحوَ الارض من دَهَشٍ * لَمّا تيقن أن الليث راكبه

وقال آخر

حاشا لصافنك الميمون طالعه * يزِلّ والفَلَك الدوّار خادمه
لكنه نظر الاملاك شاخصة * الى علاك فلم تثبت قوائمه
(من لك بالمهذب النَّدْب الذى * لايجد العيبُ اليه مُختَطَى)

مأخوذ من قول النابغة الذبيانى

ولستَ بمستبق أخا لاتَلُمُّه * على شَعَث أىُّ الرجال المهذب

والمهذب الخالص من العيوب والندب الخفيف ومختطى مفتعل من الخطو أى لايجد العيب اليه طريقا

اذا تصــفحتَ أمور النــاس لم * تُلْفِ امرأ حاز الكمال فاكتفى

تصفحت فتشت وبحثت وتلف تجد أمرأ رجلا وحاز ملك أى صار فى حيزه

عوّل على الصـــبر الجميـل انه * أمتـع ما لاذ به أولو الحِجا

وعطّف النفسَ على سُبُل الأُسى * اذا استفزّ القلبَ تبريحُ الأَسى

عوّل اعتمد والصبر الحبس للنفس والجميل الحسن وأمتع أبقى ولاذ تستر والحجا العقل وعطف ثنّ وسُبُل طُرُق والأُسى التأسى واحدها أسوة بالضم والكسر واستفز استخف وتبريح شدة والاسى الحزن وهو مأخوذ من قول الخنساء

فلولا كثرة البـاكين حولى * على اخوانهـم لقتلت نفسى

وما يبكون مثلَ أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

وقال آخر

ولولا الأُسى ماعشت فى الناس ساعة * ولكن اذا ما شئتُ جاوَبَنى مِثْلى

فالدهـــر يكبو بالفتى وتارة * يُنهِضُـــه من عـــثرة اذا كبا

لاتعجبن من هالك كيف هوى * بل فاعجبن من سالم كيف نجا

الدهر الامد الممدود ويكبو يسقط وهو ينظر الى قول الشاعر

ان الليالىَ لم تُحسِن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان

وقال آخر

والدهر لا يبقى على حالة * لكنه يُقبِــل اويدبر

فان تلقّـاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

والبيت الثانى عَقْـد لقول الحســين بن الحسن البصرى ليس العجب ممن عِطب كيف عطب ولكن العجب ممن نجا كيف نجا من شـيطان حرمت منه السموات والارض

ان نجوم المجد أمست أُفَّلا * وظلّه القالص أضحى قد أزا

النجوم واحدها نجم وسمى النجم نجما لطلوعه ونَجَم النبتُ والقَرْن طلعا وأراد بالنجوم هنا السادة وأهل الشرف والمجد الشرف أُفلا غائبة يعنى أنهم ماتوا وانقرضوا والقالص المُنْضَمّ

كذا فى الشروح وهو ركيك المعنى فالا ظهر انه الطويل من قولهم فرس قالص اى طويل القوائم وأزا انضم وتقلص وهذا ينظر لقول لبيد ذهب الذين الخ

الا بقـايا من أناسٍ بِهِـــم * الى سبيل المَكْرُمات يُقْتَدَى

البقايا جمع بقية وأناس الناس الالف واللام فى الناس عوض عن الهمزة التى فى أناس وسبيل طريق والمكرمات جمع مكرمة وهى الافعال الحسنة وهو مأخوذ من قول الخنساء وان صخرا البيت

اذا الاحاديث انقضت أنباؤها * عادت كنشر الروض غاداه السَّدَى

الانباء الاخبار والنشر الريح وغاداه با كره والسدى بفتح السين ما سقط نهارا والندى ما سقط ليلا

لا يسمع السامع فى مجلسهم * هُجْرا اذا خالطهـــم ولا خَنَا

الهجر بالضم الافحاش فى المنطق والخنا نحوه والمعنى مأخوذ من قول كعب بن سعيد الغنــوى

اذا ما ترا آه الرجال تحافظوا * فلم تنطق العوراء وهو قريب

ويطلق المجلس على الناس قاله أبو على واستشهد بقول مهلهل

ذهب الخيار من المعاشر كلهم * واستبّ بعدك ياكليب المجلس

وتقاولوا فى أمر كل عظيمة * لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وقال آخر

أصمّ عن ذكر الخنا سمعَهُ * وما عن الخير به من صمم

(ما أنعمَ العيشــة لو أن الفتى * يَقبَل منه الموت أسناءَ الرُّشَا)

أنعم أطْيَبَ والعيشة الحياة واسناء أرفع مده للضرورة والرشى جمع رشوة وهى المحاباة وزعم بعض الشارحين ان أسناء بالمدّ جمع سنيّ كأيتام جمع يتيم والمعنى قريب من قول الشاعر

أسُكَّانَ بطن الارض لو يُقبل الفدا * فُدِيتم وبذلنا كُمُ ساكنَ الظهر

وقال ابن مقبل

ماأطيب العيشَ لو أن الفتى حَجَر * تنبو الحوادث عنـه وهو ملموم
لايُحرز المرءَ اعنـاءُ البـلاد ولا * تبنَى له فى السموات السـلاليم

وأعناء أى نواحى جمع عِنْو أوعِنًا ويروى أحجاء بذلك المعنى جمع حَجًا بالفتح . ومن بديع نثر ابن الجوزى اعلم ان الدنيا ان حَلّت انحلّت أوجَلَت أوجَلّت أوحَلَت أوحلت أوكَسَت أوكَسّت أوهَنَت أوهنَت تسلُب العِزّ المُلَاهى بالمَلَاهى وتشغل القلب اللاهى عن الله وهى أُمّ الدواهى و بيت الدواهى فالسـعيد من خرّب رباعها واذا مَدّت اليـه باعها باعها كم من قبور تُبْنَى وما تبنا وكم من مريض عُدْنا وما عُدْنا يامغترًا بالسلامات كم من عاشق لمـا سلامات وكم من ملك دُقّت له الطبول ورفعت له العـلامات فلما علامات وفى صحيح البخارى أن موسى صَكّ مَلَكَ الموت ففقأ عينه قال فى النهاية قيل المراد أنه أغلظ له فى القول يقال أتيته فلطم وجهى بكلام غليظ وقيل هذا الحديث ممـا نؤمن به وبأمثاله ولا يدخل تحت كيفية اه وقال الزركشى صكه أى لطمه على عينه ففقأها كذا صرح به مسـلم فى روايته وانمـا فعل ذلك لأنه جاء الى قبضـه ولم يخبره وكان موسى قد علم أنه لايُقبَض حتى يُخبَر ولهذا لمـا أخبره فى الثانية قال الآن وهـذا أولى ماقيل فيه اه

أولو تحلى بالشـباب عمـرَه * لم يستلبه الشيبُ هاتيـك الحلا

أى ماأنعم العيشة لو دام تحلّيه بالشباب ولم يستلبه الشيب هاتيك الثياب قال بعضهم

من شـاب قد مات وهو حىّ * يمشى على الأرض وهو هالك
لو كان عمـر الفتى حسـابا * كـان له شـيبُهُ فذلك

وقال الارّجانى

نَعَم بـين أيامى وشَـعرىَ اذ بدا * لتعجيـل اتلافى خلافٌ يُجَـدَّد
فقد أصبحتْ سُودا وشَعرىَ أبيضا * وعهدى بها بيض وشعرىَ أسود

وقال آخر وأجاد

ألا ياسائرا فى بطن قفـر * ليقطع فى الفـلا وعرا وسهلا

قطعت نقا المشيب و بنتَ عنه * وما بعـــد النقا إلا المصـــلّى

ولله در القاضى الفاضل اذ يقول

اليك بعـــد انقضاء اللهو واللعب * عنى فـــلم أرَبِى ما يقتضى أرَبِى

والعـــمر كالكاس والأيام تمزُجه * والشيب فيه قذى فى موضع الحَبَب

أقول ان غاض منى فيض فضـته * ياوحشتا لشـباب ذاهب الذهب

ثم قال ابن دريد

هيهات مهما تسـتعر مسترجَع * وفى خطوب الدهر للناس أُسَى

مأخذه من قول الشاعر

وما المـال والأهلون الاودائع * ولا بدّ يوما ان تُرَدّ الودائع

وقول مسلم

دلت على قولهـا الدنيـا وصدّقها * مااسترجع الدهر ممـا كان أعطانى

(وفتيةٍ سامَرَهم طيفُ الكرى * فسامَروا النومَ وهم غِيدُ الطُّلَى)

الفتية الشبان جمع فتى وسامرهم حادثهم والسَّمَر الحديث بالليل والطيف مايراه الانسان فى المنـام والكرى النوم وغيد مائلة الطلى جمع طُلْية أو طلاة وقالوا طلوة وهى عرض العنق والمعنى من قول الشاعر

لم يَطُل ليـلى ولكن لم أنم * ونَفَى عنى الكرى طيف ألم

كذا فى بعض الشراح وفيه نظر وقوله وفتية الواو عند سيبويه واو العطف والخفض بربّ مضمرة بعد الواو ولا يجوز أن يكون الخفض بالواو لأنها حرف عطف فكما لايجوز أن يرفع بها وانمـا الرفع والنصب بعامل غيرها فكذلك الخفض وهى عنـد أبى العباس المبرد عوض من رب والدليل على صحة قول سيبويه أنا قد وجدنا الاسم مخفوضا على ارادة رب بغير واو أنشد النحويون

رجلٍ كان مقبـلا فأتاه * حتفه عاجلا كأن قد رآه

نخفض رجلا باضمـار رب ولم يأت بالواو عوضـا كما زعم المبرد ولو كانت عوضـا من رب لم يكن بدّ من اثبات الواو هنا وقد تقع هذه الواو أوّل القصائد نحو وقاتم الاعماق

وهى ايضا عاطفة لأن القصيدة تجرى مجرى الرسالة وانما يؤتى بالشعر بعد خطب يجرى أو خطاب يتصل ونحوها فى ذلك أمّا بعد قال ابن النحاس تبدل من رب الواو وتبدل من الواو الفاء نحو فمثلك حبلى قال الشارح الطبرى وقول من جعلها بدلا أحسن من قول من جعلها عوضا لأن البـدل قد يجتمع مع المبدل منـه بخلاف العوض والمعوض فلا يجتمعان الا لضرورة والعـرب تقول ورب رجل لقيته ولو كان عوضا لمـا جاز الجمع بينهما اه قالوا وسبب تعجيل المنـامات الرديئة وتأخير الجيدة لطفه تعـالى بالناس لئلا يطول انتظارهم وقوع الرديئة وبعكسها الجيدة وقال ابن سينا ان الرؤيا لاتختص بالانسان بل تكون أيضا لذوات الاربع اه

والليلُ مُلْقٍ بالمَوَامِى بَرْكَهُ ❊ والعِيس يَنْبُثْنَ أفاحيصَ القَطَا

الموامى جمع موماة وهى القفر وبركه صدره والعيس البيض من الابل يخالط بيـاضها حمرة وينبثن يستخرجن النبيثه وهى تراب البئر وأفاحيص جمع أفحوص وهو للقطا بمنزلة العش للطائر والقطا طير وهو جمع قطاة

بحيث لاتُهدَى لسمع نَبْأة ❊ الاتَنِيم البُوم أو صوتَ الصَّدا

تهـدى تُرسَل والسـمع حِسّ الاذن ويقال أيضا للأذن سمع والنبأة الصوت ونئيم صوت والبوم طائر قبيح الصوت يقع على الذكر والانثى والصَّـدا والفَيّاد ذَكَرُه والصدا الصوت الذى يردّ عليك من الجبل

شايعتُهم على السُّرَى حتى اذا ❊ مالت أداة الرحل بالجِبْس الدَّوَى
قلت لهم ان الهُـــوينا غِبُّهـا ❊ وَهْنٌ فجِـدُّوا تحمَدوا غِبَّ السُّرَى

شايعتهم تابعتهم والسرى سير الليل والأداة الِحلس والبرذعة وقِطَع الأكسية وكل شئ وَلِيَ ظهر الدابة فهو حلس والجبس الرجل الضعيف الجبان والدوى الأحمق وانمـا كان نومه مذموما فى هذه الحالة لانها يلزمها أخذ الحذر فضلا عما يترتب على نومه من دوام السير الهوينا بخلاف ماذا جدّ السير فلا يكاد يقر للراكب قرار وقد عقد المثل وهو عند الصباح يحمد القوم السرى وقد سبق الكلام عليه مستوفى

وموحِش الاقطار طامٍ ماؤُه ❊ مُدَعْثَر الاعضاد مهـــدوم الجَبَا

كأنما الريش على أرجائه * زُرقُ نِصالٍ أُرهفت لتُمتَهى
وَردتُه والذئب يعوى حولَه * مُستَكُّ سَمّ السمع من طول الطَّوى

الاقطار النواحى طام مرتفع مدعثر مهدوم والاعضاد ما حول شفير الحوض من الحجارة والجبا بفتح الجيم البنا حول البئر وأرجاؤه نواحيه وزرق يعنى سهاما صافية ونصل السهم والسيف والرمح حديدته وأرهفت صُقلت وحُدِّدت وتمتهى تفتعل من أمهيت السكين اذا سقيته الماء لتُحدّه أى لكثرة ورود الطير ماءه سُل ريشُها عنده ومستَكّ ضَيِّقٌ وسَمّ كل شئ ثَقبه والطوى الجوع وهذا الكلام يتضمن وصف الحوض الذى وصله والمقصود أنه وصل الى محل لا يصل اليه الا الطير والذئب ومأخذه قول النجاشى الحارثى

وماءٍ كلون الغِسْل قد عاد آجنا * قليل به الاصوات فى بَلَدٍ مَحْل
وجدتُ عليه الذئبَ يَعوِى كأنه * خليعٌ خلا من كل مال ومن أهل
فقلت له ياذئب هل لك فى فتى * يواسى بلا منّ عليك ولا بخل
فقال هداك الله للرشد انما * دعوتَ لما لم يأته سَبُعٌ قَبْلى
فلستُ بآتيه ولا أستطيعه * ولاكِ اسقِنِى ان كان ماؤك ذا فضل
فقلت عليك الحوضَ انى تركته * وفى صَغْوه فضلُ القَلوص من السَّجل
فطرّب يستعوِى ذئابا كثيرة * وعدّيت كلٌّ من هواه على شغل

الغسل بكسر الغين ما يغسل به الرأس والآجن الماء المتغير والمحل الجدب والخليع الذى خلعه أهله لجناياته وتبرؤا منه ولاكِ أى ولكن حذفت نونه ضرورة لالتقاء الساكنين وكان الوجه كسرها للتخلص لكنها شبهت بحرف المدّ واللين اذا سكن وسكن ما بعده وعليك اسم فعل بمعنى الزم والحوض مفعوله والصغو بفتح الصاد المهملة وبالغين المعجمة الجانب المائل والسجل الدلو العظيمة ومثلها الغَرْب اما الصغيرة فَخُرْجة وطرّب فى صوته رجّعه ومدده واسم النجاشى قيس وهو الذى جلده أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ثمانين على سكره فى رمضان وزاده عشرين فقال ما هذه العِلاوة فقال لجراءتك على الله فى شهر رمضان ثم رفعه للناس فهجا أهل الكوفة بقوله

اذا سـق الله قوما صوب غادية * فلا سق الله اهـل الكوفة المطرا
التاركين على طُهـرٍ نساءهم * الخ

ثم قال ابن دريد

ومُنتَـج أُمُّ أبيـه أمُّـه * لم يتخوّن جسمَه مسّ الضَّـوَى
أفرشـتُه بنتَ أخيـه فانثنت * عن وَلَد يُورَى به ويُشْـتَوَى

منتج اسم مفعـول من أنتجت البهيمة مجهولا ويروَى ومنتجًى من انتجيب الشئ اخترته ويتخون ينتقص والضوى الهزال ويورى يستضاء ويشتوى به اللحم والمعنى رب غصن مولود أو مختار أم أبيه أمه يعنى الارض فالارض العامة أم الغصن وأم الارض الخاصة وهى القطعة التى نبت فيها الغصن التى هى بمنزلة أبيـه أو المراد غصن قطع من فرع شجرة فالفرع أبو الغصن وتلك الشجرة أم الفرع وأم الغصن فأم أبيه أمه أفرشت ذلك الغصن بنت أخيـه أى غصنا من فرع آخر من تلك الشجرة ومراده بالاول وهو المنتج الزند الأعلى وبالثانى وهو المعبر عنه ببنت الأخ الزندة وهى العود الأسفل وذلك أن العرب اذا أرادت استخراج النار أخذت عودين من المَرْخ وهو الذى يقال له الكلخ أو العَفار وهو الدِفْلَى كذا قيل أو غيرهما فتفرض فى أحدهما فرضا ثم تدخل العود الآخر فى ذلك الفرض وتحكه حتى تخرج النار كذا فى شرح ابن هشام ومن أمثالهم اقدَحْ بدفلى أو مرخ ثم شُدَّ بعدُ أو أرْخ وقال الاعشى

زنادك خـير زناد الملـوك * صـادف منهن مَرْخ عَفَـارا
ولو بتَّ تقـدح فى ظلمـة * حصاةً بنَبْـع لأوريتَ نارا

بأن يؤخذ عود قدر شبر فيحدّد طرفه ثم يجعل المحدّد فى ثقْب الزَّندة وهى بين رجليه ثم يُديره ويفتِله فيورى والمراد بالولد النار لأنها نُتجت بينهما والمعهود فى نكاح الاقارب حصول الضوى ففى الحديث الشريف اغتربوا لا تُضْوُوا وقال الشاعر

الا فتى نال العـلى بهمه * ليس أبوه بابن عم أمّـه
* ترى الرجال تهتدى بأمّه *

وقال الشافعى من نكح من قرابته الادنَين خَشِيتُ عليـه أن يأتى الولد نحيفا ونازع الشارح الطبرى فى تفسير المنتج بما تقدم وان أجمع عليه بقية الشارحين بأنه إما أن يراد

به الغصن أو النار فان أريد الاول لم يساعده قوله لم يتخون الخ لأن النقص انما يقع فى جسد المولود لا فى جسد أبيه وان أريد الثانى لم يساعده قوله أفرشته الخ ثم قال فالمرضى أنه يريد بالمنتج جوادا ولدته فرس من ابن لها بلا هزال ولا ضوى ثم علا هذا الجواد أخته لأمه من ذلك الابن فهى بنت أخيه فأتت منه بولد جواد يقدح الجلمد بحافره فيورى نارا اه ملخصا والجواب انا نختار الشق الاول ونقول ان المنتج وان كان أبا للنار لكنه ابنٍ لأخيه الذى هو فرع الشجرة لأن أمهما واحدة وان كان الفرع أباه باعتبار آخر فكان ذلك المنتج ناشئا فى ذاته عن نكاح القُرْبَى الذى من شأنه حصول الضَّوَى ومع ذلك فلم ينتقصه ذلك الضَّوَى لأن هذا المعنى قديم فى شعر العرب وأخذه ابن دريد من قول ذى الرُّمَّة

وسَقْط كعين الديك عاورت صحبتى * أباها وهيأنا لموضعها وكرا
أبوها أخوها والضوَى لا يضيرها * وساقُ أبيها أُمُّها عقَرت عقرا
وقد أُنتِجت من جانب من جنوبها * عَوانا ومن جنب الى جنبها بِكرا
فلما بدت كفنتها وهى طِفلة * بطلساء لم تكمل ذراعا ولا شبرا

وسبق فى شرح الخازنية مزيد لذلك ثم قال ابن دريد

ومَرْقَب مخلولق أرجاؤه * مستصعَب المسلك وعر المُرْتَقَى
أوفيت والشمس تمجّ ريقَها * والظل من تحت الحذاء يُحْتَذَى

المرقب الجبل سمى بذلك لأنه يرقب فيه العدو ونحوه ومخلولق أملس وريق الشمس ولعابها ما يتراآى فى الظهيرة كخيوط العنكبوت وهو أشدّ الحرّ فلا ظل بل كأنه قطع قدر النعل من تحته وهو من قول العجاج وانتعل الظلّ فصار جوربا

وطارقٍ يؤنسه الذئب اذا * تضوّر الذئب عِشاءً وعوى
أوَى الى نارىَ وهى مَألف * يدعو العُفاةَ ضوؤها الى القرى

وطارق يعنى ضيفا أتى ليلا وكل من أتاك ليلا فقد طرق وسمى النجم طارقا لأنه يطلع من الليل وتضور صاح من الجوع وعوى صاح أيضا وهو مأخوذ من قول السعدى وهذا المعنى كثير فى كلامهم

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى * وصــوت انسـان فكــدت اطــير
وأوى أتى ومألف مجتمع للزوار والعفاة القاصدون الطالبون للمعروف والقرى الضيافة وهو مأخوذ من قول بعض المتقدمين

حَضَأت له نارى لِيُبصر ضوءَهـا * وما كان لولا حضأةُ النـار يبصر
دعته بغير اسم هــلمَّ الى القِـرى * فأسرى يَبُوع الارضَ والنـار تَزْهَر

وقال الغــزى

اذا سجا الليـل بالألْواء واحتجبت * زهرُ النجوم فضَـلَّ الحـافر الوقِعُ
دعتــه نارُ مَقَـارِيهم بألســنةٍ * فوق الغضا من شروق الأُكْم تندفع

الالواء جمع لِوًى وهو الرمْل الملتوِى

وقال الاربِلى

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعدّ لمن يُقْرَى
اذا ضـل عنهم طارق رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمـــرا

وقال البغـــدادى

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * إن الحمـام لَمُغْـــرَم بالبــــان
من معشر نشروا على تاج الرُّبى * للطـــارقين ذوائبَ النــيران

ولا بن خفاجة

حمــراء نازعت الرياحَ رداءَهـا * وَهْنـا وزاحمت السماء بَمَنْكِب
ضَربتْ سمــاءً من دخان فوقها * لم تُدرَ فيـــه شعلة من كوكب
وتبسمت عن كل ريحة خمرة * باتت بهـا ريح الشمال بمَرْقَب
قد أُلْهِبت فتــذهّبت فكأنهـا * شَقْراءُ تمرَح فى عَجَاج أشهب

ولمحمد بن عطية

بتنـــا نديرالراح فى شـاهق * ليـــلا على نَغْمَـــة عــودين
والنـار فى الارض التى دوننـا * مثـــل نجوم الجوّ فى العـــين

ثم قال ابن دريد

لله ما طَيْفُ خَيالٍ زائر * تَزُفُّه للعين أحلامُ الرُّؤَى

الطيف مايراه الانسان فى نومه من صورة من يحب أو يكره والخيال ماتشبَّه لك فى اليَقَظة أو فى الحلم من صورة وتزفه توصله والاحلام جمع حُلُم وهو مايراه الانسان فى نومه والرؤى جمع رؤية والمعنى مأخوذ من قول الطائى

ظبيٌ تقنَّصتُه لما نصبتُ له * فى آخر الليل أشراكا من الحُلُم

ولله جار ومجرور خبر مقدم واللام فى مثله للتعجب وما زائدة وطيف مبتدأ مؤخر

يجوب أجواز الفلا معترضا * هولَ دجى الليل اذا الليل انبرى

يجوب يقطع أجواز جمع جوز وهو الوسط والهول الخوف والفلا جمع فلاة وهى القفر والليل اسم للظلام وانبرى اعترض سئل بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا مع أنه فى الليلة الواحدة بل فى الساعة الواحدة يراه خلائق كثيرة فى أماكن شتى فقال نعم هو صلى الله تعالى عليه وسلم

كالشمس فى كبد السماء محلُّها * وشعاعها فى سائر الآفاق

(سائِلْه أن أفصح عن أنبائه * أنَّى تسدّى الليلَ أم أنى اهتدى)

أنى أى من أين وتسدّى الليل بالسين والدال المهملتين ركبه وقطعه وهو من قول الشاعر

عجبت لمسراها وأنَّى تخلَّصتْ * الىَّ وبابُ السجن دونِىَ مغلق

(أو كان يدرى قبلها مافارس * وما مَوامِيها القفار والقرى)

يدرى يعنى الخيال وقبلها يعنى قبل هذه الزورة وفارس البلد المعروف وصرفه ضرورة والمَوَامِى القفار واحدها مَوْماة ووزنها فَعْلَلة وهى من مضاعف الميم والواو لافَعْلاة كأرطاة لقلته ولا مَفْعله كمَدْعاة ومَوْلاة لان باب صَلْصَلْت أكثر من باب دعوت ووشيت اه ابن هشام

وسائلى بمزعجى عن موطن * ماضاق بى جنابه ولانبا

قلت القضاء مالكٌ أمر الفتى * من حيث لايدرى ومن حيث درى

اى وسائل لى عن مزعج والموطن محل الاقامة ونبا تجافى وهو مأخوذ من قول أحد بنى أسد

ماللرجال مـــع القضاء محـالة * ذهب القضاء بحيـــلة المحتال

وقال الفرزدق

ولو أنى ملكت يدى ونفسى * لكانَ علىّ للقـــدر الخيار

وقال آخر

قضـــاء الله يغلب كل شئ * ويذهب بالجـــزوع وبالصبور

(لاتسألَنّي وسَل المقـــدارَ هل * يعصِم منـــه وَزَر أو مُدَّرى)

المقدار القَدَر السابق ذكره ويعصم يمنع والوزر الملجأ الحصين والمدرى مفتعل مايدَّرَى به من رؤس الجبال

لابدّ أنـ يلقَ امرؤ ماخَطَّه * ذو العـرش ممـا هولاق ووحا

خطه علمه وقيـــل كتبه ذو العرش وهو الله تبارك وتعالى فى اللوح المحفوظ ووحا كتب معطوف على خط عطف تفسير والمعنى من قول الشاعر

ولا تقولَنْ لشئ سوف أفعـله * قد قدّر اللهُ ما كُلُّ امرئ لاقى

ولابن الرومى

واذا خشيتَ من الامور مقدّرا * وهربت منـــه فنحوَه تتوجه

(لاغـرو أنـ لج زمان جائر * فاعترق العظمَ المُمِخَّ وانتـــق)

لاغرو لاعجب ولج لزم ودام والجائر المـائل واعترق العظم أخذ عنه اللحم وانتقى أخذ النِّقىَ وهو المُخّ والمِمخ الكثير المخ ويقال للعظم المِمخّ قَصِيد والقصيد أيضا المخُّ السمين وضدُّه الرارُ والرير

فقـــد تَرَى القاحلَ مخضرا وقد * تلـــق أخا الاقتار يوما قد نمـا

القاحل اليابس والاقتار الفقر ونما كثر ماعنده وهومن قول أبى محجن رضى الله تعالى عنه

قد يُقـــتر المرء يوما بعـــد ثروته * ويكتسى العودُ بعد اليبس بالورق

(ياهؤُلَيّا هل نَشَـدتُنّ لنـا * ثاقبةَ البرقع عن عَيْنَىْ طَلا)

هؤليا تصغير هؤلا المقصورة فأما الممدودة فتصغيرها بالمدّ كقوله

ياما أمليح غزلانا شـدنّ لنا * من هؤليائكنّ الضال والسَّمُر

ونشدتن طلبتن وثاقبة خارقة والبرقع بضم القاف وفتحها وكعصفور خرقة تجعل على الوجه والطلا ولد البقرة وولد الظبية وقد ذم بعض الشعراء البرقع ومدحه بعضهم فمما قالوا فى ذمه

اذا بارك الله فى خـرقة * فلا بارك الله فى البرقـع

يوارى الملاحَ ويخفى القباحَ * فهـذا يضرّ ولم ينفـع

يريك عيون المهـا غِـرّة * ويكشف عن منظَر أشنع

ومما قالوا فى مدحه وهو للمثقب العبدى

اذا نُجْن السوالفَ مصغيات * وثقبن الوصاوصَ للعيون

أرَيْنَ محاسنا وكنَنَّ أخرى * من الاجساد والبَشَر المصون

والوصاوص جمع وَصواص أووَصوص وهو خَرْق فى الستر ونحوه على مقدار عين تنظر فيه ويقال لثقب البرقع أيضا وصواص والوصواص أيضا البرقع الصغير وخيط البرقع الذى يشدّ به يقال له البَشَام كذا قيل ولم أقف عليه بهذا المعنى (فائدة) قال السخاوى فى شرح المفصل والنحاة ينشدون ياما أمليح غزلانا البيت ظنا منهم أنه شعر قديم وانما هو لعلى بن محمد العرينى وهو متأخر وكان يروم التشبيه بطريقة العرب فى الشعر وله مدح فى على بن عيسى وزير المقتدر المقتول فى شوال سنة ٣٢٠ ونسبه قوم من النحاة الى المجنون وأنشدوا معه بالله ياظبيات القاع الخ والصحيح ماقدمته اه

ما أنصـفت أمّ الصبيين التى * أصْبَتْ أخا الحلْم ولمّا يُصْطَىَ

أمّ الصبيين إما كلمة تقولها العرب للمرأة الكاملة العقل أوالصبى ناظر العين أو هو بضم الصاد الخُرْص فى الاذن وثاقبة البرقع أى مضيئته من ضوء وجهها ومنه النجم الثاقب ويحتمل أنها خارقته كما تقدم والاَوْلَى حَمْل اثباته الالف فى يُصطىَ الذى هو يُفتعَل من الصبا على لغة من يُجرى المعتل مُجرى الصحيح ويحذف للجـازم الحركة المقدرة وعليه قراءة انه من يتقِ ويصبر وقوله ألم يأتيك والانباء البيت وقول زهير

متى تأتيـه تأتى لجّ بحر * تقاذَفُ فى غواربه السفين

(اسْتَحْيِ بِيضا بين أفوادك أن * تقتادَكَ البِيضُ اقتيادَ المهتدَى)

بيضا يعنى الشيب والافواد جمع فَوْد والفَوْدانِ جانبا الرأس عن يمين وشمال وتقتادك تفتعل من قاد يقود والقائد المتقدم والسائق المتأخر والبيض الجوارى والمهتدى الأســير وهذا المعنى كثير متداول قال الشاعر

عُمَـــيرةَ ودّع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وقال أبو العتاهية

نَزّه مشيبَك عن عيب يدنِّســه * ان البياضَ قليل الحمل للدنس

وقال دريد بن الصمة

صبا ماصبا حتى علا الشيبُ رأسَه * فلمـا علاه قال للباطـل ابعُـــد

ولبعض الشعراء فى ضدّ هذا

وقائلة خَـلِّ الصِّـــبا لرجاله * فان الصبا بعد المشيب جنون

فقلت لها ان الصــبا فيه راحة * ألذ الكرا عند الصباح يكون

(هيهات ما أشـــنعَ هاتا زَلّةً * أطَرَبا بعـد المشيب والجَلَا)

هيهات بمعنى بعد وأشنع أقبح وهاتا بمعنى هذه وزلة سقطة وخطيئة والطرب الفرح هنا ويكون الجَزَعَ وانما هو خفة تصيب الشخص عن شدة السرور أوشدّة الجزع والجلا انحسار الشعر عن مقدم الرأس حتى يبلغ النصف أونحوه يقال رجل أَجْلَى وأَجْلَه قال رؤبة

لمـا رأتنى خَــلَقَ المُمَــوَّهِ * بَرّاقَ اصـــلاد الجبين الأجلهِ

بعـــدَ غُدانِيّ الشـباب الأَبْلَه * ليت المُنَى والدهرَ جَرْى السُّمَّه

* لله دَرّ الغانيات المُدَّه *

المدّه المُدّح مَدَهَه مَدَحه والتَمَده التمدّح كالتمتّه ومَتَه الدلوَ مَتَحها والمليه المليح والمَزْه المزح ومازَهَه مازَحه والمعنى ينظر الى قول العجاج

بكَيت والمحتزن البَكِيّ * وانمـا يأتى الصِّبا الصبيّ

أطــربا وأنت قِنَّسرىّ * والدهر بالانسان دَوارِىّ

والقنسرى الشيخ ولم يسمع الا فى هذا البيت وقال هُذْبَة بن خَشْرَم

طربتَ وأنت أحيانا طــروب * وكيف وقد تعــلّاك المشيب

(بل رُبّ ليل جَمَعَت قُطْرَيه لى * بنتُ ثمــانين عروسا تُجتَــلَى)

القطران الجانبان يعنى أن ساعات اللذات قصار وبنت ثمــانين الخمر لان من شربها يجلد ثمــانين ويحتمل أنها مضى عليها ثمــانون عاما والعدد لامفهوم له قال أبو نُوَاس

بنت عشر لم تعــاين * غير نار الشمس نارا

وجعــل الخمر عروسا على سبيل الاســتعارة والعروس يقع على الذكر والانثى قال ابن دريد سألت أبا عثمان عن اشــتقاق العروس فقال تفاؤلا من قولهم عرِس الصــبى بأمه اذا ألِفها

لم يملك المــاءُ عليها أمرَها * ولم يدنّسها الضِرامُ المحتضَى

يعنى أنها غير ممزوجة ولم تُكْسر حدّتُهــا والمحتضأ من حضأت النــار اذا حركتها بعود ليزداد اشتعالها ويقال للعود المِحْضأ والمِسْعَر وخفّف الهمزة لاجل القافية والمعنى مأخوذ من قول أبى نواس

اسقنى صهباء صرفا * لم يدنّسها المــزاج

(حينا هى الداء وأحيانا بها * من دائها اذا يَهِيج يُشْتَفَى)

الحين اسم مبهم يقع على قليل الزمان وكثيره ويقع على ســتة أشهر ومذهب مالك على سنة بدليل قوله تعالى (تؤتى أكلها كل حين) ويقع على أربعين سنة قالوا فى قوله تعالى (حين من الدهر) ان آدم أقام أربعين ســنة مصوّرا ونفخ فيــه الروح حينئذ وحكى عاصم فى قول النابغة

فبادرها الراقون من سوء سمِّها * مطلقــة حينا وحينا تُراجَع

قال أبو على الحين هنا كالساعة ومعنى بيت ابن دريد من هذا وأصله قول الاعشى

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

وتبعهما الحسن بن هانئٌ بقوله

دع عنك لومى فانّ اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

ووجه ذلك أن نشوة الشرب الاول قد انكسرت سَورتها بابطال قُوَى الخمرة فيحصل فتور وكسل فاذا عَلّ حصلت نشوة أخرى مستجدّة لانّ المحل قابل باســتعداده لقرب

العهد وعلى هذا لا يزال صاحبها مستمرَّ السكر لانه كلما فترَ عملُ الاولِ قوّاه بالآخر وهكذا وذلك يؤدّى الى تعكر الدم وثخنه وصيرورته كالدُّرْدىّ فيترتب عليه مايترتب من الامراض السوداوية لاحتراق الرئة بذلك وقوله

قد صانها الخمَّار لما اختارها * ضِنًّا بها على سواه واختبا

ليس فى كثير من النسخ واختبا افتعل من خبأت الشئ سترته وخفّف الهمزة للقافية

فهى تُرى من طُول عهدٍ ان بدت * فى كأسها لِأَعْيُن الناس كَلَا

من طول عهد يعنى قدم مدة وبدت ظهرت وفى كأسها يعنى الاناء والكأس أيضا اسم من أسماء الخمر وقوله كلا أى كلا شئ والمعنى مأخوذ من قول اعرابى

وتريك رِقّتها كأنّ الكأس منها خالية

ولأبى نواس

درس الدهرُ ما تجسم منها * وتبقّى لبابُها المكنون

وقد أكثر الشعراء من الكلام فى هذا المقام قال ابن سناء الملك فى تعتيق الخمر

قبل أن تُغرس الكروم وتلتفّ عليها الاوراق والزَّرَجُون

سامحه الله تعالى وسامحنا لنقل هذا الكلام من فضله وكرمه وان كُنَّا قصدنا بنقله التنبيه على أنه وأمثاله من سوء الادب كَمَثَل مثل قول ابن الفارض

شربنا على ذكر الحبيب مدامة * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقوله

حديثى قديم فى هواها وما له * برغم الحجا بَعْدٌ وليس له قَبْل

على ظاهره من هذه الخمرة التى هى أم الخبائث وقيل المراد بقوله كلا السرعة لان العرب تقول الامر كلا ولا أى بقدرهما فى السرعة وقيل يعنى بقوله كلا أى كلالًا أى اعياء أى أنها تُعْيي من نظر اليها فكيف من شربها وحذَف لا الثانيةَ اكتفاء

كأنّ قَرْن الشمس فى ذُرورها * بِفعلِها فى الصحن والكأسِ اقتدى

قرن الشمس أعلاها وأول مايبدو منها فى الطلوع وهو الذرور والصحن أكبر آنية الشراب أى أن لها فى الكأس اشراقا كأن قرن الشمس يقتدى بها فيه وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

اسقنيها خمرا لِيستخلف الشمـ * ـسَ سناها على بيـاض النهار

ولـه ايضـا

وراحٍ من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قَدَح من نُضار

هواء ولكنـــه راكـد * وماء ولكنــه غير جار

وقال ابن الرومى

فكأنهـا وكان شـاربها * قمَر يقبِّل عارضَ الشمس

(نازعتُها أَرْوَعَ لاتسطو على * نديمه شِـرَّتُه اذا انتشى)

نازعتها ناولتها من قوله تعـالى (يتنازعون فيهـا كاسا) وقال ابن هشام والطبرى أى حادثت عليها الا أن فى نسخة ابن هشام ناعَتُّها بدل نازعتها ولا أدرى أهى تحريف وانما فسر نازعتها أملا ولا أعرف هذا المعنى الذى ذكراه لنازعتها ولا لناعَتُّها على فرض صحتها فالله اعلم والاروع من يروعك بجماله وكماله ويسطو يصول وشِرته حدته ونشاطه وانتشى سكِر وهو من قول سيدنا حسان رضىالله تعالى عنه

لا أَخْدِش الخَدْش بالجليس ولا * يَخشى نديمى اذا انتشيت يدى

وقال آخر

اذا صدمتنى الكأس أبدت محاسنى * ولم يخش نَدمانى أذاى ولا بُخْـلى

ولست بفحاش عليـــه وإن أسـا * وماشكل من آذى نداماه من شكلى

ثم قال ابن دريد

كأن نَوْر الروض نظمُ نثرِهِ * مرتَجِلا ومنشدا وان شدا

النور النبت الابيض والزهر يكون أبيض ثم يصفر هذا قول ابن الاعرابى وقيل الزهر نور كل نبات من أى لون كان والمرتجِل من ارتجل الخطبة أو القصيدة اذا أتى بهما من غير تروّ وشدا ترنم يصف ذلك الاروع باللسن والنباغة فى أفانين الكلام

من كل مانال الفتى قد نلتُه * والمرء يبقى بعده حُسن الثنا

فان أَمُتْ فقد تناهت لذتى * وكل شئ بلغ الحـدّ انتهى

وان أعش صاحبت دهرى عالمـا * بمـا انطوى من صَرفه وما انسرى

أخذ مصراعَ البيت الاول لفظا ومعنى من قول الشاعر وهو زُهَير بن جَنَاب الكلبى وكان مَلِكا

أبَنِىَّ إن أهلك فانى قدبنيت لكم بَنِيـــهْ
وتركتم أبنـاء سـا * دات زنادُكُم ورِيَهْ
ولكُلُّ مانال الفـتى * قد نلته الا التَّحيَّـهْ

أى البقاء والشعر من مجزوّ الكامل المرفّل ومصراعَه الثانى من أعشى هَمْدان فى قوله

ويومَ أهوازك لا تنسَــه * ليس الثنا والذكر بالغابر

وقال عمــارة

فأثنُوا علينــا لاأبا لابيكم * بأفعالنا ان الثناء هو الخلد

والبيت الثانى من قول قيس

متى يأت هذا الموتُ لم تبق حاجة * لنفسىَ الا قــد قضيت قضـاءها

وقول زهـــير

لقـد طالبتها ولكل شئ * وان طالت لحاجته انتهاء

والبيت الثالث ينظر لقول الشاعر

لقد عَجمت منى الحوادثُ ماجدا * عَروفا بريب الدهر حين يَريب

وانطوى استتر وصرفه نوائبه وانسرى انكشف

حاشا لمـا أسّاره فى الحِجا * والحِلم أن أتبع رُوّادَ الخَنَا

أسّاره أبقاه والحجا العقل والحلم هنا ضـد الجهل وهو التغافل عن كل مكروه ولا يقع الا عن مقــدُرة والا فهو ذُلّ والروّاد جمع رائد وهو الذى يتقـدّم القوم ليتخير لهم منزلا ينزلونه والخنا الفساد والمعنى ينظر لقول الشاعر

وانّى لتنهـانِى خلائقُ أربع * عن الفحش فيها للكريم روادع
حياء واســلام وشيب وعفة * ومالمرء الا ماجنتــه الطبائع

والى قول الكميت فى مسلمة بن عبد الملك

فما غاب عن حلم ولا شهد الخنا * ولا استعذب الفحشاء يوما فقالها

(أو أن أُرى مختضعا لنَكبة * أو لابتهاج فَرِحا أو مزدهى)

مختضعا متذللا والنكبة المصيبة لأنها تنكب أى تعدل بصاحبها عن طريق السلامة من نكب عن الطريق من حد نصر عدل ونكب بصيغة المجهول أصيب بها وابتهاج افتعال من البهجة وهى السرور ومزدهى مفتعل من الزهو أى الكبر أى محل زهو أى زاهيا ومعنى البيت من قول متمم بن نويرة

ولست اذا ماالدهر أحدث نكبة * ورُزأ بزوّار القرائب أخضعا

ولا فرِحا ان كنت يوما بِغبطة * ولا جزِعا ان ناب دهرى فأوجعا

وقوله تعالى (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) لايقدر عليه الا خالق القوى والقُدَر جل جلاله مولانا وفى بعض نسخ الدريدية

ثم الصلاة دائما منى على * محمد وآله ذوى النهى

وفى بعضها عطفا على قوله أو أن أرى مختضعا الخ

أو أن أُرَى ممانعا لصاحب * مِن بَذْلِ أنْ بذل أو إنْ غيّرا

أو أن أُرَى مغاضبا لمانع * علىّ من نواله ان منعا

أو أن أُرَى مبتهجا لموعد * من عند مخلوق ولو كان الغنى

رضيت بالله فنعم المرتضى * لكل أسباب غُدوّ ومَسَا

ولم أرها الا فى بعض نسخ المتون . ذكر الطبرى انه فرغ من تأليف شرحه على هذه المقصورة فى ١٤ رمضان المعظم سنة ١٠٢٥

المحاكمات العشر وهى المقارنات

المقارنة الاولى

بين مقطوعة ابن عنين الدمشقى

هو محمد بن نصر وفى التاج يعرف بأبى العنين وهو تحريف وقد ذكره ابن خلكان وهو صاحب قصيدة مقراض الاعراض وبها نفى من دمشق فقال

فعلام أبعدتم أخا ثقة * لم يقترف ذنبا ولا سَرَقا
انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان يُنْفَى كل من صدقا

فى الملك العزيز أخى السلطان صلاح الدين والملك العزيز عثمان بن السلطان المذكور ثلاثتهم فى القرن السادس وهى

ما كل من يتسمَّى بالعزيز لها * أهل ولا كل برقٍ سُحْبُه غَدِقَه
بين العزيزين بَوْنٌ فى فِعالهما * هذاك يعطِى وهذا يأخذ الصَّدَقه

وبين قول ربيعة الرَّقِّى

لَشَتَّانَ ما بين اليزيدينِ فى النَدا * يَزيدِ سُلَيم والأَغَرِّ ابن حاتم
يزيدُ سُلَيم سالمَ المالَ والفتى * أخو الأَزْد للاموال غيرُ مُسَالِمِ

تسمَّى مطاوع سمَّى والضمير فى لها يعود على التسمية المفهومة من يتسمى وغدق الماء كفرح كَثُرَ فهو غدق بالتحريك وغدق بكسر الدال وبهما قرئ قوله تعالى (لأسقيناهم ماء غدقا) وعينٌ غدِقةٌ وشتان اسم فعل ماض بمعنى بَعُد وفاعلها إمّا ما وهى عبارة عن البَوْن أى الفضل والمزية مصدر بَانَهُ يَبُونه اذا فَضَله و بينهما بون أى فى الشرف فان تباعدا بالجسم قيل بَيْنٌ بالياء أو عن المسافة وهى مَفْعَلة من السَّوْف وهو الشَّم لان الدليل يَسُوف تُراب الموضع الذى يسير فيه وما موصولة على الوجهين اى البون الذى بينهما أو المسافة التى بينهما وإمّا بين هو الفاعل وما زائدة ويجوز رفع بين ونصبها اذا لم تسبق بما كقوله

وشــتان بينكما فى الندى * وفى البأس والخير والمنظَر

الرواية بنصب بين على أنه فاعل شتان وقوله

شــتان بينهما فى كل منزلة * هذا يُخَاف وهذا يُرتَجى أبدا

الرواية برفع بين وقرئَ قوله تعـالى (لقـد تقطع بينكم) بالرفع والنصب وتوجيه الرفع أن بين اسم غير ظرف وانمـا معناه الوصـل وتوجيه النصب أنه على الظرفية والفاعل ضمير يعود على الاتصال المفهوم من لفظ شركاء لان الشركة تشـعر بالاتصال أو الفاعل هو الظرف مبنيا على الفتح لاضافته الى غير متمكن أو منصوبا حملا له على أغلب أحواله وموضعه رفع كدون فى قوله تعالى (ومنَّا دُونَ ذلك) وقرئَ يُفْصَل بينكم بالمجهول فالنائب إمّا ضمير المصدر أو الظرف مبنيا أو منصوبا كما ذكرنا وقيل مابين زائدة واليزيدين فاعل مرفوع تقـديرا وبمـا تقرر يعلم مافى كلام بعضهم من أن العرب لم تستعمل لفظة بين بعد شتان حتى احتاج فى قول القائل

جازيتمونى بالوصـال قطيعة * شتان بين صنيعكم وصنيعى

الى تخريجه على تقدير ما موصولة ببين ونون شتان مفتوحة وضعِّف كسْرها أما بيتا الرقى بفتح الراء نسبة الى الرقة بلد على الفرات فهما من قصيدة سببها أن ربيعة المذكور قصد يزيد بن أسيد بضم الهمزة وفتح السين وينتهى نسـبه الى سليم بضم السين وفتح اللام وكان يزيد اذ ذاك واليا على إرمينية من قبل أبى جعفر المنصور فمدحه بشعر أجاد فيــه فقصر يزيد عن اكرامه فتركه ومدح يزيد بن حاتم من الأَزْد من ذرية المهلّب بن أبى صُفْرة فبالغ فى اكرامه وصلته ولمـا تولى يزيد المهلبى وهو ابن حاتم المذكور أفريقية سـنة ١٥٤ ويزيد سليم المذكور ديار مصر فى ذلك العام خرجا معا فكان المهلبى يقوم بكفاية الجيشين فقال ربيعة المذكور

يزيدَ الخــيرِ انّ يزيد قومى * سَمِيُّــك لايجود كما تجـود

تقود كتيبة ويقود أخرى * فترزق من تقود ومن يقود

قلت قد أشبه المهلبى فى ذلك أزواد الركب من قريش وهم ثلاثة أبو أمية بن المغيرة الذى يرثيه أبو طالب عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من قصيدة

ألا انّ زاد الركب غيرَ مُدافَعٍ * بسَرْوِ سُحَيم غيّبتـــه المقـابر

ومسـافر بن أبى عمرو بن أميـة بن عبـد شمس وزَمْعة بن الاسود بن المطلب سُمُّوا بذلك لانهم كانوا اذا سافروا لم يتزوّد معهم أحد ووفد عليـه بافريقية التميمى الشاعر وأنشـــده

اليك قصرنا النصف من صلواتنا * مسـيرة شهرٍ ثم شهر نُوَاصِـلُهْ

فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا * لديك ولكن أهنأ البرّ عاجِلُهْ

أما المقارنة بين القطعتين فسنبين لك انها تقضى بتفضيل بيتى ربيعـة ولْنَخْتَصِر لك قبل ذلك مقالة تكون لك فى هـــذا السبيل هاديا مرشدا وهى انه متى تقاربت المعانى فى بيتين أو أبيـات أو جملتين أو جمل عسر التعبير عن علة كون هذا أجود من ذاك وكان المعوّل عليـه فى التفضيل انمـا هو الذوق البحت والسليقة السليمة بل قد يوجد من الكلام فى غير المقارنة مايبلغ فى حسن اللفظ والمعنى مبلغا يأخذ بمجامع القلوب فان حاولت التعبير عن صفة ذلك الحسن استعصت عليك العبارة وضاق عنها نطاق الامكان حتى قالوا ان ذلك كالحسن فى وجوه الملاح يعرف ولا يوصف ألا ترى انه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود فيهما سائر علامات العِتْق والجَودة والنجابة ويكون أحدهما أفضـل من الآخر بفرق لايعلمه إلا أهل الخِبْرة والدُرْبة الطويلة وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال المتقاربتان فى الوصف السليمتان من كل عيب قد يفرق بينهما العالم بأمر الرقيق حتى يجعل بينهما فضـلا كبيرا فاذا قيل له أو للنخاس أنَّى لك هذا التفضيل لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما وانمـا يعرفه كل واحد منهما بسليقته وكثرة دُرْبَته وطول ملابسته فكذلك الشِـعْر قد يتقارب البيتان الجَيّدان النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشـعر أيهما أجود ان كان معناهما واحدا أو أيهما أجود فى معناه ان كان معناهما مختلفا ذكر هذا المعنى محمد بن سلام ودعبل بن على الخزاعى فى كتابيهما وحكى اسحق الموصـلى قال قال لى المعتصم أخبرنى عن معرفة النَغَم وبيِّنها لى فقلت ان من الاشـياء أشياء تحيط بهـا المعرفة ولا تؤديها الصـفة قال وسألنى محمد الامين عن شعرين متقاربين وقال اختر أحدهما فاخترت فقال من أين فضلت هـذا على هذا

وهما متقاربان فقلت لو تفاوتا لامكننى التبيين ولكنهما تقاربا وفضلت هـذا بشئ تشهد به الطبيعة ولا يعبرعنـه اللسان اه فاحرص على ذلك وسبب بيتى ابن عنين انه رحل الى الملك العزيز صاحب اليمن وهو أخو السلطان صلاح الدين فمدحه حتى استغنى وتوجه الى مصر ومِلكُها يومئذ الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين فطلبه أرباب ديوان الزكاة بزكاة مامعه من التجارة فقال هذين البيتين وانما قلنا ان المقارنة هنـا اقتضت ماسنبينه لك من تفضيل بيتى الرقى لان ثمة تفاوتا فلذا كان فى الامكان مطاوعة اللسان للعبارة وهذا التفاوت بين كل مصراع مع نظيره ألا ترى أن قول الدمشـقى ماكل من يتسمى بالعزيز لها فضلا عن توقف معناه على الخبر فى المصراع الثانى مُحَصل معناه بعد ذلك أنه ليس كل من اسمه العزيز أهلا لهذه التسمية وشتان بين هذا وبين قول الرقى لشتان مابين اليزيدين فى النـدا لمكانة لام القسم وشتان التى هى من الشت وهو البعد المفرط مع ذكر مافيـه ذلك البعد وهو النـدا وتخصيص لفظة الندا دون السخا والحبا والعطا والجَدَا مع اسـتقامة الوزن بكل واحد وقول الدمشقى ولا كل برق سحبه غدقه أى كثيرة أى كثير ماؤها اذ لا توصف السحب بالغَدَق وعدم كثرة المـاء لاينافى أصل المـاء ولا قِلّته وانك لو ضممته على مصراعه الاول وكمل البيت لقصر مع ذلك عن شأو مصراع الرقى وامتاز عليـه بالابدال فى قوله يزيد سليم وبالاغرّ ابن حاتم ثم كان حسن الاتفاق فى تصغير سـليم فى الاصل ووجود من اسمه حاتم فى نسب المهلبى عفوا زائدا عن ذلك الامتياز وقول الدمشقى بين العزيزين بون فى فعالهما لاينـافى أنهما مستويان فى أصل البذل والكرم وان تفاوتا فى ذلك بخلاف قول الرقى يزيد سليم سالمَ المـال أى سالمه من داء الانفاق والسخاء وقول الدمشقى هذاك يعطى الخ العطاء لايستلزم محاربة المـال اذ يجوز أن يتصف بالاعطاء دونهـا بخلاف قول الرقى والفتى الخ الى غير ذلك مما لانطيل به وبعد فلسنا نحجر على ممعن فى المعانى أو نقاد للمبانى امكان التماس مايدفع ماقلناه أو العثور على محاسن للمفضول تربى على محاسن الفاضل فيصير المفضول فاضلا وبالعكس لأن هذا مجال واسع وانمـا المراد هداية الطلبة الى كيفية سلوك هذه الفِجاج ويرحم الله تعالى عبد الرحيم الفاضل اذ قال فى بعض رسائله مامعناه أنه قلمـا يوجد

كاتب او شاعر أو مؤلف أو مصـنف يقرأ اليوم ما كتبه أمس إلا و يقول ليت كذا كان كذا الخ والكمال لله تعالى وحده ولمن كملهم من خليقته فليكن ذلك منك على ذُكْرٍ هُنَا وفى المقارنات الآتية ان شاء الله تعالى وفيما يشبه ذلك والفعال بكسر الفاء جمع فِعْل كقِدْح وقِداح و بفتحها مصـدر فَعَل كالذَهاب من ذَهَب وهو أيضا الوصف الحَسَن والقبيح يقال هو حَسَن الفعال وقبيح الفَعال

المقـارنة الثـانيـــة

بين قول سيدنا كعب بن مالك شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

نَصِل السيوفَ اذاقَصُرْن بخَطْوِنا * قُـدُمًا ونُلْحِقها اذا لم تَلْحَـق

و بين قول الاخنس بن شهاب

اذا قَصُرَت أسيافُنا كان وَصْلُها * خُطَانا الى أعدائنـا فَنُضَارِب

وقول السموأل

اذا قَصُرت أسيافُنا كان وَصْلُها * خُطَـانا الى أعدائنا فتَطُـول

وقول رجل من بنى نمير

وصَلْنـا الرِقاقَ المُرْهَفـاتِ بخَطْونا * على الهَوْل حتى أمكنتنا المَضارب

وقول حمد بن ثور بن هلال الصحابى

ووصْلُ الخُطابالسيف والسيفِبالخُطا * اذاظَنّ أن السّيفَ ذُو السيفِ قاصر

الخطو بفتح الخاء مصدر خطا يخطو واختطى واختاط مقلوبة أى مشى والخطوة بالضم ويفتح مابين القـدمين و جمعها خطوات بضمتين وخُطا وبالفتح المرة وجمعها خطوات بفتحتين والقدم بضمتين المُضِىّ أمامَ أمامَ وهو يمشى القدم اذا مضى فى الحرب وهـذه الكلمة وما بعدها ممـا يقضى بتفضيل بيت كعب وان كان الاخنس هو الاسبق وكذا لفظة الخطو وبيـان ذلك انه أى الخطو غير مختص بالكثرة بل يصـدق بخطوة واحدة بخلاف الخُطَا فى قول غيره وان قوله نُلحقها أى السـيوف أى بالعدوّ اذا لم تَلحقه بوصل الخطو بأن تَثب وثبة مثلا اذا لوثبة غير وصل الخطو مما تفرّد به لايقال ان الحاقه اياها قد لايكون الا بتكرر الخطو فيساوى قول غيره الخطا لانا نقول ان ذلك الالحاق مشروط بما

اذا لم تَلحقه بوصل الخطو على أنا لانريد تفرده به من هذه الجهة بل من حيث انه يدل البتة على الحاقه سيوفه بالخصم وذلك لم يقله سواه لان قول غيره فنضارب مفاعلة من الجانبين أى ان كليهما يُلحِق سيفَه بالآخر وقول الآخرين فتطول أو أمكنتنا المضارب لايستلزم ذلك الالحاق ضرورة أنه لايلزم من الامكان الحصول بالفعل

المقارنة الثالثة

بين قول أبى الطيب المتنبي فى الشيب

ضَيفٌ ألمّ برأسى غيرَ مُحتشِم * والسيف احسن فعلا منه باللِّمَم
إبعَدْ بَعدتَ بياضا لا بياض له * لأنتَ أسودُ فى عينى من الظُّلَم

وبين قول البحترى أبى عبادة الوليد فى معنى البيت الاول

ودِدتُ بياضَ السيف يومَ لقيتَنى * مكانَ بياض الشيب منه بمَفْرِقِى

وقول حبيب أبى تمام فى معنى الثانى

له منظر فى العين أبيض ناصع * ولكنه فى القلب أسود أسفع

ألمّ به نَزَل واللِّمم جمع لِمّة بكسر اللام وهى الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن فاذا بلغ المنكبين فهى الجُمّة بضم الجيم والمنكب كمجلس مَجْمَع عظم العَضُد والكَتِف والعضد الساعد وهو من المِرفق الى الكفّ وهذا أحد قولين والمشهور أن الساعد من المرفق الى الرُّسْغ ويرادفه الذراع وقيل أعلى هذه المسافة ساعد وأسفلها ذراع وبعِدَ كفرح هلك والبياض الاول الشيب والثانى الرونق والحسن وأسْوَدُ واحد السُّود والظُّلَم الليالى الثلاث آخر الشهر والمفرق بفتح الميم أما الراء فمكسورة أو مفتوحة وسط الرأس وهو الذى يُفرق فيه الشعر ونصع لونه كخضع نصوعا اذا اشتد بياضه وخلص وسفعته النار والسَّموم اذا لَفَحته لفحا يسيرا فغيرت لون البشرة وبابه منع والسفعة من اللون سوادٌ أُشْرِب حمرة وظاهرٌ أن بيتى الوليد وحبيب أحسن من بيتى المتنبي وذلك أن فحوى كلام المتنبي تشبيه الشيب بضيف نزل برأسه دفعة واحدة وهذا معنى قوله غير محتشم وأن السيف أحسن منه فعلا باللم ومعلوم أن شأن الضيف عدم الدوام وليس يلزم من كون السيف أحسن فعلا من الشيب أنه يودّ ذلك بخلاف بيت الوليد فانه يمتاز بالتصريح بودادة السيف وكونه فى مفرقه

وهو أحكم من قوله بالظلم لأن وَقْعه فى المفرق أشدّ هذا فضلا عن قوله يوم لقيننى لان لقاء الغوانى اياه على هذه الحالة مما يزيده تحسرا وعن المناسبة بين قوله بياض السيف وبياض الشيب وكذا قول حبيب له منظر الخ أقرب الى الصدق من قول المتنبى لأنت أسود الخ فضلا عن بنـائه التفضيل من الالوان وهو مذهب كوفى لا يتمشى على المذهب البصرى الا بتكلف ولذا أوّلناه بما ذكرنا فيكون قد تم الكلام بقوله فى عينى أى ان الشيب عنده واحد من جملة السُّود وقوله من الظلم لتبيين جنس السواد أى أنها صفة لأسود لا أنها صلة أسود أى متعلقة به بل هى متعلقة بمحذوف صفة له أى أنت فى عينى أسود كائن من جملة الظلم وهى الليالى الثـلاث المذكورة وظاهر أن المعنى فى بيت المتنبى وفى قول رؤبة بن العجاج

لقــد أتى فى رمضان المـاضى * جارية فى دِرعهـا الفَضْفاض
تُقَطِّع الحــديثَ بالايمـاض * أبيــضُ من أخت بنى إباض
مثـــل الغزال زِين بالخَضاض * قَبّاء ذات كَفَـــل رَضْراض

وقول طَرَفة

اذا الرجال شَتَوا واشتدّ أكلهم * فأنت أبيضهم سِربالَ طَبّـاخ

انمـا هو على التفضيل ولذا نص الرضى على شذوذ الثلاثة ولم يتعسف ودرع الحديد هو الزَرَدية من الزَّرْد كالسَرْد وزنا ومعنى وهو إدخال حِلَق الدرع فى بعضها والفعل كنصر أما الزرد بفتحتين فهو الدرع المزرودة وهو مؤنث ودرع المرأة قميصها وهو مذكر ودرع الفرس والشاة درعا من حدّ فرح اسودّ رأســه وابيض سائره فهو أدرع والانثى درعاء والفَضـــفاض الواسع ومعنى تُقَطِّع الحديثَ بالايمـاض أنها اذا تبسمت وكان النـاس فى حديثهم قطعوه لحسن ثغرها كأنه وميض البرق مصدر ومض من باب وعد ووميضا ووَمَضانا ويقال أومض ايمـاضا أى لمع وأخت بنى أباض معروفة بالبياض والخَضَاض نوع من الحليّ والقباء الضـامرة البطن فعلاء من القَبَب والرضراض بالفتح الكثير اللحم هذا ومن قبيل قول طرفة قول الآخر

ثِيابُ طُهاتِك عند الشتا * ء بِيض تَلألأُ لاتَدْنَس

وقدرك لم يَعْرُهـا طارق * وكَلْبك مُنْجَحر أخرس

جحرت الضب كنصر أدخلته الجحر فانجحر وضدّ قولهما قول مسكين

كأنّ قُـدور قومى كلّ يوم * قِبابُ التُرْك مُلبَسةَ الجلال

كأنّ المُوقِـدين لها جِمال * طَلاها الزِفْت والقَطِرانَ طَالِى

بأيديهم مَغارِف من حديد * أشبهها مقيرة الدوالى

الدوالى جمع دالية وتطلق على معان أنسبها هنا الدلو أو العنب الاسود أو المَنْجَنُون والناعورة ومن عاداتهم الافتخار باسوداد ثياب طُهَاتِهم أى الطباخين لانها تدل على كثرة الطبخ وفى الشتاء يشتدّ المأكول لديهم لندرته فلذا كان قول طرفة ذمّا وهو من أبيات يهجو بها ابن هند ملك الحيرة قلت قد شاهدت فى أوربا أن سيما الطباخين لبس البياض ورمضان يستعمل مع الشهر وهو الافصح كما فى القرآن الكريم ودونه كما فى هذا الشعر وكما فى حديث من صام رمضان هذا محصل كلام الأئمة المحققين اذا علمت ذلك تعلم مافى قول الكشاف فى سورة البقرة عند قوله تعالى (شهر رمضان) الآية مانصه فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة على المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ماجاء فى الحديث من صام رمضان من أدرك رمضان قلت هو من باب الحذف لا من الالباس كما قال بما أعيا النطاسى حذيما أراد ابن حذيم اه

المقارنة الرابعة

بين قول ابن قَمِيئة فى شكوى الكِبَر

كأنى وقد جاوزتُ تسعين حِجّة * خلعت بها عنى عِذَارَ لِجام

رمتنى بَنَات الدهر من حيث لا أَرَى * فكيف بمن يُرمَى وليس برام

فلو أنها نَبْل اذًا لاتّقيتُها * ولكننى أُرمَى بغير سهام

اذا ما رآنى الناس قالوا ألم تكن * جليدا شديد البطش غير كَهام

وبين قول الربيع بن ضبع الفَزارى فى ذلك

أصبح منى الشبابُ قد حُسِرَا * ان يَنْأَ عنّى فقد ثَوَى عُصُرا

ودّعنا قبل أن نودّعه * لمّا قضى من جماعنا وطرا

هـاءنذا آمـل الخلودَ وقـد * أدرك عقـلى ومولدى حُجُـرا
أبا امرئ القيس هل سمعت به * هيهات هيهات طـال ذا عُمُرا
أصبحتُ لا أحمِل السلاحَ ولا * أملك رأسَ البعـير ان نَفَـرا
والذئبَ أخشـاه ان مررت به * وحْدى وأخشى الرياحَ والمطرا

يقال سـيف ولسان وفرس كهام كسحاب كَلِيلٌ عَىٌّ بطىء مسنّ لاغَنَاء عنده ككهيم وقوم كهام أيضا وقوله حسرا إمّا مجهول من حَسَر الغصنَ قشَره أى أزال قشره أو معلوم من حَسَر بَصَرُه يحسِر حُسورا كَلّ وانقطع وحجر بضم فسكون أو بضمتين أبو امرئ القيس وقوله طال ذا عمرا تعجب أى ماأطول هـذا العمر وبقية الكلام ظـاهر والمقارنة بين المقطوعتين تقتضى تفضـيل الثانية لانها أقرب للصدق وأعذب فى النطق وليكن على ذكر منك ماأسلفناه لك أولا وانظر الى قول الربيع أصـبحت لاأحمل الخ مع قول ابن قميئة فلو أنهـا نبل اذا لاتقيها يتضح لك أنه أى ابن قميئة فضـلا عن كونه لم يحسن الشكوى كالربيع فقد ناقض نفسه أو كاد لان الاتقاء ينافى ضعف الهَرَم الذى يشكو منه أو يخل بذلك وابن قميئة على وزن فعيـلة مؤنث قمىء بوزن فعيـل مهموز اللام من قمؤ الرجل بضم الميم قَمْأة بسكونها وقَمَـاءة بفتحها والمدّ أى صار قميئا وهو الصغير الذليل وهم ثلاثة شـعراء يقال لكل منهم ابن قميئة أوّلهم عمرو بن قميئة وهو الشاعر المشهور دخل بلاد الروم مع امرئ القيس فهلك فقيـل له عمرو الضائع والثـانى جميل بن عبـدالله ابن قميئة الشاعر العذرى والثـالث ربيعة بن قميئة الصعبى أحد بنى صـعب ابن تيم . وقول امرئ القيس

بكى صاحبي لمّا رأى الدَرْب دونَه * وأيقن أنا لاحقـانِ بقيصرا
فقلت له لا تَبْك عينُك انمـا * نحاول مُلْكا أو نموتَ فنُعذرا

يعنى به الاول وأما الربيع فقد أورده الامام ابن حجر فى قسم المخضرمين من الاصابة فيمن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وكان يمكنه أن يسمع منه ولم ينقل ذلك وقال هو جاهلى واختلف فى اسلامه وهو باتفاق معدود من المعمَّرين ودخل على عبدالملك بن مَرْوان فقال له ياربيع أخبرنى عما أدركت من العُمْر والمَدَى ورأيت من الخطوب الماضية

فقال أنا الذى أقول هاءنذا آمل الخلود الخ وشعرا آخر فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام وأبيك يا ربيع لقد طار بك جَدٌّ غير عاثر ثم سأله عن فِتْية من قريش متواطئى الاسماء عبدِالله بن عباس فقال فَهْم وعِلْم وعطاء حَذْم أى سريع ومَقْرًى ضَخْم المَقْرَى الاناء الذى يُقْرَى فيه الضيف وعبدالله بن عمر فقال حِلْم وعِلْم وطُول كَظْم وبُعْد من الظُّلْم وعبدالله بن جعفر فقال ريحانةٌ طيّب ريحُها ليّنٌ مَسُّها قليل على المسلمين ضُرُّها وعبدالله بن الزبير فقال جَبَلٌ وَعْر يُتَّخذ منه الصَخْر ولعل هذه الواقعة قبل خلافة عبدالملك لان الربيع عاش فى الاسلام ستين سنة وامارة عبدالملك انما كانت سنة ٦٥ ووفَد على معاوية بالشام فدخل حفيده فقال له معاوية اقعد ياشيخ فقال وكيف يقعد من جدّه بالباب فقال لعلك من ولد الربيع فقال أجَلْ فأمره بالدخول فلما دخل سأله معاوية عن سِنّه فقال

أقْفَرَ من مَيّة الجَرِيب الى الزُّجَّينِ الا الظُّبَاء والبَقَرا

كأنّها دُرَّة مُنعَّمة ❊ من نِسوة كُنّ قَبلَها دُرَرا

أصبح منى الشباب الخ فقرأ معاوية قوله تعالى (ومَن نُعَمِّره نُنَكِّسْه فى الخَلْق) والجريب والزُّجّ والظُّبَاء والبَقَر مواضع وتثنية الزّجّ على طريق رامَتينِ فى رامة قلت ومثله على القول بعدم اسلامه الاعشى ميمون بن قيس وكنيته أبو بصير ويدعى أبوه قيس قتيل الجوع لانه دخل غارا فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا وكان من فحول شعراء الجاهليه وممن قدّم على سائرهم سلك فى شعره كل مسلك وقال فى أكثر أعاريض العرب وهو أول من سأل بشعره وكانوا يسمونه صَنّاجة العرب لجودة شعره وكان قد عمى آخر عمره وعدة من يلقب بالاعشى من الشعراء سبعة عشر شاعرا وكان أبو عمرو ابن العلاء يفخم منه ويعظم محله وقال المفضل من زعم أن أحدا أشعر من الاعشى فليس يعرف الشعر وكان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ولهذا كثرت الالفاظ الفارسية فى شعره وقد أدرك الاسلام فى آخر عمره ورحل الى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله بعض كفار قريش عما يريد بعد أن أهدوا له هدية فقال جئت الى محمد انى كنت سمعت مبعثه فى الكُتُب فقالوا انه يُحَرِّم الزنا والخمر والقِمار

فقال أما الزنا فقد تركنى ولم أتركه وأما الخمر فقد قضيت منها وطرا وأما القمار فلعلى أصيب منـه عوضا فاحتالوا فى صرفه عن وجهه بأن جمعوا له مائة ناقة حمراء فبينما هو فى بعض الطريق اذ نفرت به دابته فقتلته لشقاوته وقد كان صنع قصيدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولها

الم تغتمض عيناك ليلة أرْمَدا * وعادك ما عاد السليمَ المُسَهَّدا

وهى قصيدة جيدة عدتها أربعة وعشرون بيتا ولنذكرها بتماها تبركا به صلى الله عليه وسلم وبعد المطلع

وما ذاك من عشق النساء لاننى * تناسيت بعد اليوم خُلَّة مَهْدَدا
ولكن أرى الدهر الذى هو خاتر * اذا أصلحت كفّاى عاد فأفسدا
شباب وشيب وافتقار وثروة * فلله هذا الدهر كيف تردّدا
ومازلْتُ أبغى المال مذ كنت يافعا * وليدا وكهلا حين شبت وأمردا
باتعابىَ العيسَ المَرَاسيلَ تَغْتلِى * مسافة ما بين النُجَير فصَرْخدا
فان تسألى عنى فيارُبَّ سائل * حَفِيٍّ عن الاعشى به حيث أصعدا
ألا أيُّهذا السائلى أين أصعدتْ * فانّ لها فى أهل يثرب موعدا
فأما اذا ماادلجت فترى لها * رقيبين جَدْياً لا يغيب وفرقدا
وفيها اذا ما هَجَّرت عَجْرفيَّةٌ * اذا خِلْتَ حِرباءَ الظهيرة أصْيَدا
وأدرتْ برِجْليها النَّفِيَّ وراجعت * يداها خِناقا لِيّنا غيرَ أحردا
وآليت لا أرثِى لها من كلالة * ولا من حَفًى حتى تُلاقى محمدا
نبىّ يَرى ما لا يرون وذِكْرُه * أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
متى ماتُناخِى عند باب ابن هاشم * تُراحِى وتَلْقَىْ مِن فواضله نَدَى
له صَدَقات ما تُغبُّ ونائل * وليس عطاءُ اليوم مانِعَه غدا
أجِدَّكَ لم تسمع وَصاةَ محمد * نبىّ الاله حين أوصى وأشهدا
اذا أنتَ لم ترحل بزادٍ من التُّقَى * ولاقيتَ بعد الموت من قدتزوّدا
ندمتَ على أن لاتكون مكانَه * فتُرصِد للامر الذى كان أرصدا

فإيَّاكَ والمَيتــات لاتَطْعَمَنَّهــا * ولا تأخذن سهما حديدا لتَصْفِدا
ولا النُصُبَ المنصوب لاتَنْسُكَنَّه * لعــاقبــةٍ واللهَ ربَّك فاعبــدا
وصلِّ على حين العشيات والضحى * ولا تحمَــد الشيطان واللهَ فاحمَــدا
ولا الســائل المحروم لاتتركنــه * لفاقتــه ولا الاســير المقيــدا
ولا تسخَرَنْ من بائس ذى ضرارة * ولا تَحسَــبَنَّ المــرءَ يوما مُخَلَّدا
ولا تَقْــرَبَنَّ جارة إنّ سِــرها * عليــك حرام فانكِحَنْ أو تَأَبَّدا

ومَهْدد اسم امرأة وتأبّد تغرّب فلما سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاد ينجو ولمّا (فائدة) روى بدل قول الربيع ودَّعَنا قبل أن نودعه فارقنا قبل أن نفارقه أى أن الشباب بدأه بالفراق ولم يبدأه هو به بان يموت مثلا وان كانت المفاعلة من الجانبين فلا محل لما أطالوا به هنا من الاستشكال كالامحل لتهويلهم فى استقباح الجماع والوطر ولاتَقَمهم من أبى تمام ذِكْرهذين البيتين فى حماسته وهما

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليــأت نسوتنــا بوجه نهــار
يجــد النساء حواسرا ينــدبنه * بالصبح قبــل تبلج الاسحــار

حتى بدّل بعض الشراح لفظة نسوتنا بساحتنا كما نقله الدمامينى فى هنديته وبعد ان نَقَل تَعَجُّبَ السعد من جار الله اذ لم يورده على هذا الاصلاح والتبديل بل حافظ على لفظ الشاعر دراية مع زعمه أن القُرّاء يقرؤن القــرآن الكريم برأيهم تعجب هو أيضا من انشاد صاحب المغنى هذا البيت يعنى فارقنا قبل ان نفارقه الخ قال مع انه أشنع من بيت الحماسة وأفحش الى آخر ماقالوا ممــا يرجع الى هذا المعنى لأن لفظة الجماع فى اصطلاح قدماء أئمة العربية تطلق على الجَمْع وكتبهم مشحونة بذلك وعسى أن يوافيك شئ منــه فى شرح بعض المقارنات الآتيــة ان شاء الله تعــالى وبالجملة ففتح هــذا الباب خطر ربمــا أفضى الى ماتدعوه الجهال بالتنكيت حتى اجترؤا على الكتاب والسنة بمــا تقشعر منه الجلود وقوله قبل تبلج الاسحار لاينــافى قوله بالصبح الذى لايكون الا بعــد تبلج الاسحــار لوجهين اما أنه أراد بقبل بعــد لانها من الاضداد كذا قيل ولم أقف عليــه أو أراد بقوله بالصبح أنهن يصفنه بالخلال المضيئة والمناقب الواضحة التى هى كالصبح

والاول أولى لأن الثانى يعكرعليــه قوله بوجه نهــار فليتأمل ثم رأيت فى التاج أن المراد بوجه نهار فى هذا الشعر موضع

المقارنة الخـامسة

بين قول عمـــر بن أبى ربيعـــة

قال لى صاحبي ليعـــلم مابى * أتحبّ القَتُولَ أختَ الرَّباب
قلت وجدى بها كوجدك بالما * ءاذا ما مُنِعتَ بَرْدَ الشراب

وبين قول قيس بن ذَرِيح

حلفت لهـا بالمَشْعَرَينِ وزمزم * وذوالعرش فوق المُقْسِمين رقيب
لئن كان بَرْدُ المـاء حَرَّانَ صاديا * الىّ حبيبـا انهـا لحبيب

وقول القُطَامى

يَقْتُلْننا بحـديثٍ ليس يعلمــه * مَن يتقين ولا مكنونه بادى
فهنّ ينبِـذْن مِن قولٍ يُصِبْن به * مَواقعَ الماء من ذى الغُلّة الصادى

المقارنة انمـا هى بين ثوانى الابيـات من القطع الثلاث وهى تحكم لبيت ابن ذريح الوسط بانه خير الامور وبيانه أنه علق كونها حبيبة اليه على كون المـاء البارد حبيبا اليه حالة كونه عطشان وهو تعليق على محقق وليس لغيره ذلك أما ابن أبى ربيعــة فانما جعل وجده بهـا كالوجد بالمـاء لمن منع برد الشراب ولم يصف المـاء بالبرد ولا يجديه قوله برد الشراب الا بضرب من التكلف بان يراد بالشراب خصوص المـاء لان معناه لغــة مايشرب من المـائعات نعم ان على قوله اذا مامنعت الخ مسحة من ملاحة لان وجد الممنوع أشــدّ غير أنها مع ذلك لا تعادل ذلك التعليق بل يفضل بها بيتَ القطامى لان محصله انهن يرمين أى يتكلمن بالفاظ تقع منه مواقع المـاء من ذى الغلة بالضم أى حرارة العطش وأطلق ذلك الماء ولم يصفه بشئ ولا شرط ولا علّق وان كانت السلاسة تقطر من مائه المطلق ولعل هــذا مراد الاخطل بقوله لَوَدِدْتُ أنى سبقته أى القطامى الى قوله وأنشــد ذينك البيتين فان قلت ان البيت الثـانى مناقض للاول المتضمن أن حديثهن يقتله قلت لابِدْع فقد يشتهى الانسان مافيــه حتفه وأول العشق نظرة غير أن

ذلك أى التلذذ بكلام الاحبة أمر معهود كالنظر اليهم وان ترتب عليه مالا يحصى من الاخطار حدّث بعض الائمة قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير اذ سمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلنّ اليه ولو بذهاب النفس فانحدرت اليه فاذا عبد اسود فقلت أعد على ماسمعت فقال والله لو كان عندى قِرًى أقْرِيك ما فعلت ولكنى أجعله قِراك فانى ربما غنّيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبَع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشَط وربما غنيته وأنا عطشان فأرْوَى ثم انبرى يغنينى

وكنتُ اذا ما زُرْتُ سُعْدَى بأرضها * أرى الارض تُطْوَى لى ويدنو بعيدها
من الخَفِرات البيض وَدَّ جَليسُها * اذا ماقضت أُحْدُوثةً لو تُعيدها
وبعدهما تُحَلِّل احقادى اذا ما لقيتُها * وتَبْقَى بلا ذنب علىَّ حُقُودُها
وكيف يحبّ القلبُ من لا يحبه * بلى قد تريد النفسُ من لايريدها

قال فحفظته عنه ثم تغنيت به على الحالات التى وصف فاذا هو كما ذكراه وقوله حران صاديا وفى رواية هيمان صاديا وكلاهما بمعنى عطشان حالان اما مترادفتان أو متداخلتان أى ان الثانية حال من ضمير الاولى تقدمتا سماعا على صاحبهما وهو الياء المجرورة بالى والى بمعنى عند متعلقة بقوله حبيبا وهو خبر كان هذا وأصل هذا المعنى ماروى عن على رضى الله تعالى عنه أن سائلا سأله فقال كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما (فائدة) نسب بعضهم بيتى قيس الى كُثَيِّر عَزّة والصحيح أنهما لعروة بن حزام العُذرى أحد عشاق العرب المشهورين كان فى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه وأن البيت الاول

حلفت برب الراكعين لربهم * خشوعا وفوق الراكعين رقيب

وأما بيتا ابن أبى ربيعة فهما مطلع قصيدة يقول فيها

أبْرَزُوها مثلَ المَهاة تَهادَى * بين خمسٍ كواعِبٍ أتْراب

قال المبرد المراد بالمهاة البقرة فى هذا الموضع وشبه المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينها ولمشيتها والبقرة يقال لها العيناء والجماع العين وكذا يقال للمرأة وتكون المهاة البلّورة فى غير هذا الموضع اه بحروفه وانظر قوله والجماع العين تعلم أننا قد وفينا بالوعد فيما أسلفناه فى عبارة الدمامينى

المقارنة السادسة

بين قول مُقَدّس بن صيفى الخَلُوقى الشاعر فى طاهر بن الحسين

عجبت لحَرَاقة ابن الحُسَـــيْـ * ـن لا غرِقَتْ كيف لا تَغْرَق

وبَحْـــرانِ مِن فَوقها واحدٌ * وآخرُ مِن تحتهــا مُطْبِق

وأعجبُ مِن ذاك أعوادُهــا * وقد مَسَّهــا كيف لا تُورِق

وبين قول الاخر فى بعض الرؤساء وقد ركب البحر

ولمّا امتَطَى البحرا بتهلتُ تضرُّعا * الى الله يامُجْرِى الرياح بلُطْفــه

جعلتَ النَدَى مِن كَفّه مثْلَ مَوْجه * فَسَلِّمْه واجعلْ موجَه مثلَ كَفّه

لاتغفل عمــا ذكرناه فى أول المحاكمات الخمس الأخرى من تلك المقــدمة فلا نطيل عليك بالاعادة ومحصل المعنى الذى توارد عليه الشاعران فى هاتين القطعتين تشبيه الممدوح بالبحر والمحاكمة تقضى بتفضيل القطعة الثانية وذلك لمــا يحتويه بيتها الاول من التهويل بالمعنى الضخم واللفظ الفخم اذلايلبث السامع متى قرع سمعه ذلك أن يفهم منه أن ركوب الممدوح البحر أمر خطير وخطب مدلهم بحيث أنه يقتضى التضرع والابتهــال الى الحق تبــارك وتعــالى الذى بيده تصريف الرياح التى هى سبب الســلامة والعَطَب والراحة والنَصَب لمن مُنِى بركوب اليّم والبحر الخِضَمّ ثم ربط معه البيت الثانى زيادة على مافيــه من الاسجال وردّ العَجْز على الصــدر بالتضمين لكونه مِن مَقُول قائلا ونحوه المَنْوِىّ قَبْل النِدا فأفاد أنّ اهتياله من ركوب الممدوح البحر لا لكون البحر هائلا فى ذاته بسبب أنه عرضة للاضطراب وتجشم الصعاب فَحَسْب بل وراء ذلك أمرٌ أهْوَل وهو أنّ نَدَى كفّه مثْلُ مَوْج البحر فيتراكَم موج على موج وذلك مظِنّة الخَطَر وأنك اللهم الذى جعلت كفه كذلك فأنت القادر على تصريف الرياح حتى يهدأ الحال ويسكن البَلْبال ويظَلّ البَحْر رَهْوا والجَوّ صَحْوا بتسكين موج البحر لاموج الكَفّ وقوله فسلِّمْه واسطة عقــد النظام فى هذا المقام لان مجرد هدوء البحر لا يستلزم السلامة لجواز طروّ الغَرَق بأسباب أخرى ذلك فضــلا عن الامتطا واللطف والنَّدى وعن رَصافة تلك الالفاظ فى مواضعها وَضْعَ الهِناء مواضع النَقْب كل هذا مع الاحتراس عن أيّة لفظة تؤذن بالخَطَر أو تدلّ على الضرر

فأما بيتا مقدّس فلم يزيدا عن تعجبه من عدم غَرَق الحراقة مع أنها بين بحرين ثم وَضَع
من قَدْر ممدوحه بوصف الآخر بمُطْبق وثالثة الأثافيّ تكرار لفظة الغرق محترسا عنها بهـا
نعم ان فى بيته الثالث مايكفّر سيآت ماقبله لولا مايشوبه من توهم مباشرة الممدوح
التجديف بنفسه الا أن يلتزم ذلك ويكون على سبيل الرياضة البدنية وكثيرا ماتفعل
الملوك ذلك وطاهر بن الحسين هو الملقّب ذا اليمينين لانه ضرب بيساره شخصا فقدّه
نصفين وكان بفَرْد عَيْنٍ وفيه يقول الشاعر

ياذا اليمينين وعينٍ واحده * نُقصانُ عينٍ ويمينٌ زائده

وهو والى خراسان من قِبَل المأمون وقاتِلُ أخيه الامين لمّا نَكَث العهدَ والبَيعةَ والقِصّة
مشهورة وتوفى طاهر سنة ٢٠٧ ومُقَدِّس بتشديد الدال مكسورة اسم شاعر من شعرائه
ينسب الى خلوق بفتح الخاء المعجمة قبيلة من العرب مشهورة

المقارنة السابعة

بين قول جَحْدَر

أليس الليلُ يجمع أمَّ عمرو * وإيّانا فذاكَ بنا تَدَانِي
نَعَمْ وتَرَى الهلالَ كما أراه * ويَعْلُوها النهارُ كما عَلَانِي

وبين قول التِّهامى

أهْتَزُّ عند تَمَنّي وصلِها طَرَبا * ورُبَّ أُمْنِيّةٍ أحْلَى من الظَفَر

وقول الآخر

أَلَسْتُ أَرَى النجمَ الذى هو طالع * عليها وهـذا للمُحِبّين مَقْنـع

الحاكمة فى المعنى المتوارد عليه وهو القناعة من لقاء الاحباب تقضى بتفضيل البيت
الاخير الذى يَرْبُو على بيتى جحدر لانه أبلغ فى القناعة اكتفاء برؤية النجم فَحَسْب ثم واسطة
عِقْده التكنية بالضمير وهو موضع الادب ضَنانة بالعقائل أن يُبْتذَلْن بصريح أسمائهن
وتلك شنشنة فى الادب أخزمية وسنّة عند العرب مرعية وقد اخترق جحدر سياجها وتعدّى
حُدودَها ومن أراد سعة الكلام فى هذا المقام فليراجع ما كتبناه فيه بالباكورة فأما بيت
التهامى فقد أربى على ماسواه رِقّة انسجام وسلاسة التئام وذلك جَلِيٌّ لايلزمه بيان قالوا

و بيتا جحدر أبرد ماقيل فى باب القناعة وفى معناهما كثير من الشعر لانطيل عليك بذكره وجحدر بجيم أوله بوزن جعـفر هو ابن مالك من بنى حنيفـة كان فاتكا لَسِـنا شاعرا فلما أفحش فى الفتك شـدد الحجاج فى القبض عليـه فأُتِى به فقال له أنت جحدر قال نعم قال ماحملك على مابلغنى عنـك قال جَراءة الجَنان وجفوة السـلطان وكَلَب الزمان قال وما الذى بلغ من أمرك فيجترئ جنانك ويَصلك سلطانك ولا يَكْلَب عليك زمانك قال لو بلانى الامير لوجدنى من صالحى الاعوان وبُهَم الفُرْسـان قال فأنا قاذفُكَ فى قبّةٍ فيها أَسَدٌ فان قتَلَك كفانا مؤُنَتك وان قتلتَه خلّيناك ووصلناك قال قد أعْطيْتَ المُنْية وعَظّمتَ المِنّة فأمر به فاستُوثِق منه بالحديد ثم جُعِل أسَدٌ فى تابوت يُجَرّ على عَجَلة وأُجيع ثلاثا ثم دُلِّى عليـه جَحْدر بعد أن أَعْطِى سيفا فَحَمَل عليه الاسـدُ فتلقّاه بالسيف فى هامَته ففلَقها وسـقط الاسـد كأنه خَيْمة قَوّضَتْها الرِيح فَعَلَتْ الاصوات بالتكبير وخَيّره الحَجّاج بين أن يُسْـنِي جائزَتَه ويُلحِقه ببـلاده أو يُقِيمَ عنـده فاختار الاقامة بحضرته وله فى ذلك أشعار جيدة ربمـا انتقينا منها ان شاء الله تعالى مايُطْرِب الاسمـاعَ وأردفناها بتخميس القصيدة الأخرى الأَسَدِيّة البِشْرية التى مطلعها

أفاطِمُ هل رأيتِ ببطن خَبْتٍ * وقد لاقى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشْرا

والتِّهامى هو أبو الحسـن على بن محمد الشاعر المشهور صاحب المَرْثِية الطَّنّانة فى وَلَدِه الصـغير وكانت وفاته سـنة ٤١٦ وتهامة بكسر التاء تطلق على مكة المكرمة وعلى خِطّة متسعة بين الحجاز وأطراف اليَمَن

المقـارنة الثـامنة

بين قـــول زِيادة صاحب هُـدْبة

اذا ما انتهى علْمِى تناهيتُ عنـده * أطال فأَمْـلَى أم تَنَـاهَى فأَقْصرا

ويخـبرنى عن غائب المرء هَـدْيُه * كَفَى الهَدْىُ عمـا غيّب المرءُ مُخْبِرا

ولا أرْكبُ الأمْرَ المُـدَوّىَ سادِرا * بعَمْـياءَ حتى أستبينَ وأبْصـرَا

كما تفـعل العَشْواء تركَب رأسَها * وتُـبرِز جَنْبـا للمُعَادِين مَعْـوِرا

و بين قول الصَّفِىّ الحِلِّىّ

اذا غاب أصل المرء فاستَقْرِ فِعْلَه * فانَّ دليـــل الفَرْع يُنْبِى عن الاصل
فقــد يَشْهد الفــعلُ الجميل لِرَبّه * كذاكَ مَضاءُ الحَدِّ مِن شاهِدِ النَّصْل

المحاكمة بين البيت الثانى من القطعة الاولى والاول من الثانية وهى تقضى بتفضيل بيت الحلى اذ لو لم يكن فيه زيادة عن بيت زيادة سوى جزالة فى مصراعه الاول أجرته مجرى الامثال فى قلة اللفظ وكثرة المعنى لكفاه وأغناه فضـــلا عن كون مصراعه الثانى كالدليل المثبت للدعوى وعن انتقاء ألفاظه واحكامها كالاصـل والفرع واستقر ودليل وذلك مالا يوجد كله ولاَجُلّه فى ذاك وان كان الحلى من بحر زيادة اغترف ومن رضابه ارتشف وهــذا لايقدح فى الفرع ان يربو على الاصل ولذلك نظائر أدبية لاتحصى ثم ان قول زيادة اذا ماانتهى علمى الخ معناه أن لايتجاوز مايعلمه الى مالا يعلمه فلا يركن الى حدس وتخمين ولا يبنى على غير يقين بل يقف حيث يقف به علمه سواء أطال فأملى أى زاد وأمتع أم تناهى فأقصر أى كفّ ونَزْع والهدى السيرة ومراده بالمُدَوّى بتشديد الواو على صيغة اسم الفاعل الخَفِىّ المستور المُبْهَم من دَوَّى اللبن تدوية اذا ركبته الدواية بضم الدال وهى القشرة الرقيقــة تعلوه فيستــتر ماتحتها والسادر المتحيّر وقوله بعمياء أى بحالة عمياء من عَمِىَ عليــه الامُر اذا التبس والعشواء الناقة لاتُبصر أمامها ويقــال ركب الشخص رأســه اذا مضى على وجهه لغير قصــد ويقال أعْوَرَك الصيــدُ اذا أمكنك وأعْوَرَ الفارسُ اذا بدا فيه موضعُ خَلَل للضرب أى هى عشواء تُبْرِز جَنْبا مكشوفا لاعدائها فيرمونها قال بعضهم كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما وهو عَدِىّ بن الرِقاع لقوله

وعَلِمْتُ حتى ماأسائل عالمــا * عن عِلْم واحدةٍ لكى أزدادَها

ثم أسائله عن جميع العلوم فاذا لم يُجبْ أدّبته وأُقَبِّل رأسَ الاخر وهو زيادة لقوله اذا ماانتهى علمى البيت وهدبة بضم الهاء وسكون الدال المهملة بعدها موحدة هو ابن خشرم بفتح الخاء وسكون الشــين المعجمتين كان شاعرا فصيحا من بادية الحجاز يروى للحُطَيْئة والحطيئة يروى لسـيدنا كعب بن مالك وقد كان هدبة صاحبا لزيادة بن زيد فى ســفر

فارتجز زيادة بأخته وهى فى هودجها فســمع قوله فارتجز هو أيضا بأخت زيادة وكانت غائبة فسبه زيادة فحقد عليه هدبة حتى أصاب منه غِرّة فقتله فى خلافة ســيدنا معاوية فقِيد به وقال لمـا قُدِم للقتــل بلغنى ان القتيل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه فان عقلت فانى قابض رجلى و باسطها ثلاثا ففعل ذلك حين قتل وقصته طويلة هذا ملخصها

المقــارنة التــاسعة

بين قول الاعرابى

يا قليــلَ العَزَاء فى الاهوال * وكثيرَ الهُـموم والاوجال
أَصْبِرِ النفسَ عنـد كل مُلِمّ * انّ فى الصبر حِيلةَ المحتال
لاتَضيقن بالامور فقـد يكـ * ـشَفُ غمّاؤها بغير احتيال
ربّمـا تكرَه النفوسُ من الأمْـ * ـر له فرْجةٌ كَحَلِّ العِـــقال
قد يُصاب الجَبَان فى آخر الصفّ * ويَنْجُو مُقَـارِعُ الابطال

و بين قول ابراهيم بن العباس

ولَرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفَتَى * ذَرْعا وعند الله منها المَخْرَج
كَمُلَتْ فلمَّا استحكَمَتْ حَلَقاتُها * فُرِجَت وكان يظنّها لاتُفْرَج

المحاكمة قاضية بتفضــيل القطعة الثانية الابراهيمية لمكانة الاسم الكريم صُرَاحا فيها وان كانت السلاسة تَقطر من أردان الاثنتين ولا يَنقُص البيتُ الثالث والرابع عن معنى الابراهيمية شيأ بلى ان تقليل قد فى الأَعرابية قَلّل مِن وسامتها فهو وصمة فى مُحيّاها وذلك جلىّ لايُعْوِزك الى زيادة بيان و يروى ضاقت بدل كملت وهو زيادةُ حُسْن وقد وُجد هذا البيت وهو ربما تكره النفوس الخ فى أشعار جماعة والمشهور أنه لأميّة بن أبى الصلت من قصيدة طويلة عدّتها تسعة وسبعون بيتا ذكر فيها شيأ من قصص الانبياء داود وسليمان ونوح وموسى وابراهيم واسحاق عليهم السلام وذكر أنه هو الذبيح وهو قول مشهور للعلماء ووجد أيضا فى قصيدة لاحد الانصار وأبيات لابن عمير اليشكرى وهو ممن أدرك الجاهلية والاســلام ولا تعرف له صحبة ووجد أيضا فى أبيات الاعرابى المذكورة وقد اختلفت الروايات عن أبى عمرو بن العلاء حين اختفائه من الحجاج وسماعه هذا البيت من اعرابىّ

وما لها كلها انه سُرِّىَ عنه لمَّا سمعه وقيل له مات الحجاج لانه كان يقرأ قوله تعالى الا من اغترف غَرفةً بفتح الفاء أى الغين ولم يَعثر لها على شاهد قَبْل ذلك قلت والمنصوص فى كتب اللغة تثليث فاء فرجة وابراهيم ابن العباس هو ابن أخت العباس بن الاحنف الشاعر المشهور وعَمّ والد أبى بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصُولِى صاحب كتاب الوزراء وغيره من المصنفات وتوفى ابراهيم المذكور سنة ٣٤٢ بسُرَّ مَنْ رَأَى

المقارنة العاشرة

بين قول الامام الثعالبى فى الامام الخطَّابى

أَبَا سليمانَ سِرْ فى الارض أو فأقِمْ * فأنتَ عندى دَنَا مَثْواكَ أو شَطَنا
ماأنتَ غيرى فأخشى أن يُفارقنى * قرُبتَ رُوحَك بل رُوحى فأَنْتَ انا

وبين قول الامام الخطابى فيه

قَلْبِى رَهينٌ بنَيْسابُورَ عند أخ * مامثله حين تُستقْرَى البلادُ أخ
له صحائف أخلاق مهذبة * منها التُقَى والنُهَى والحلم يُنْتَسخ

لاأزال أنبهكم الى ماأسلفته أوائل المحاكمات الخمس السابقة لتكونوا منه على ذكر فأما المحاكمة بين هاتين القطعتين فانما هى فى المعنى لرصانة ألفاظ كلتيهما وأصل هذا المعنى ماورد فى الحديث الشريف المؤمنون كالجسد الواحد متى اشتكى منه عُضْوٌ تداعَتْ له سائر الاعضاء بالحُمّى والسَهر حتى ذكر الصوفية أن أحدهم فُصِد فلما سال دَمُه سال معه دم صاحبه على الفَور من الموضع عينه ولهم فى ذلك أنباء خارقة للعادة ربما يرتاب فيها من لاخلاق له اذا تقرر ذلك فلا يبعد كون هذين الامامين من هذا القبيل وعلى كل حال فالمحاكمة تقضى بأبلغية القطعة الثعالبية فى باب المبالغة وهو واضح لكنها أى المحاكمة تقضى على الثعالبية من جهة أخرى بالمفضولية اذْ لم تُقَرَّب بِكاد ونحوها بخلاف الخطابية فهى أقرب منها الى الصدق عادة ويرحم الله تعالى سيدنا حسان بن ثابت اذ يقول

وان أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

ويقـال شطنت الدار شطونا من حد قعد بَعُـدت والثعـالبي هو الامام أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيـل النيسابورى نسب الى خياطة جلود الثعالب وعَمَلِها لأنه كانفَرّاء وهو صاحب فقه اللغة و يتيمة الدهر وغيرهما وولد سنة ٣٥٠ وتوفى سنة ٤٢٩ والخطابى هو الامام أبو سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب من ولد زيد بن الخطاب أخى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وله كتاب مَعَالِم السُّنَن وشرح البخارى وغير ذلك وكان صديق الثعالبي وولد سنة ٣١٩ وتوفى بمدينة بُسْت سنة ٣٨٦ ومن شعره

وما غُرْبة الانسان فى شُقّة النَوَى ❊ ولكنها والله فى عَـدَم الشَكْل
وانّى غريبٌ بينَ بُسْت وأهلِها ❊ وان كان فيها أُسْرَتِي وبها أهْـلى

وبُسْت بضم الباء بَلَد بِسِجِسْتان والصواب أن اسم الامام الخطابى حَمْد بصيغة المصدر وانما زاد فيه العامّة الالِف

الرسائل العشر وشرحها

خمس منها لِبِشْر بن أبى كِبَار البَلَوِىّ وقد ابتدأنا بهن

وهو من فضلاء اليمن من أهل صنعاء من قبيلة بَلِيّ كَعْنِىّ وهو من أبلغ الناس وكانت بلاغته تتهادى فى البلاد وكان له فيها مَأْخَذ لم يسبقه اليه أحد ولم يلحقه فيه ويُتَعَجَّب من بلاغته ونفاستها وانه فيها أوحَدُ وانه لايشابِه بلاغتَه البلغاءُ وانه منفرد بحسن اختلاس القرآن الكريم هكذا ذكر أبو محمد الهَمْدانى الشهير بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤

الرســالة الاولى

كتبها بشر الى ابراهيم بن عبدالله الحَجَبِيّ والِي صَنْعاء لهارون الرشيد لمـا قدِمَها سنة اثنتين وثمـانين ومائة وعزم على أن يولِّي بشرا بعضَ نواحى اليمن فعـاقه عن ذلك هِشَام بن يوسف الأبناوى نسبة للابناء وهم الفُرْس الذين سكنوا اليَمَن بعد ذى يَزَن ونصّ الرسالة

أما بعـد فانْ رأَى الاميرُ أمتعَ اللهُ به أن لايُعْلِم هشاما مايريد من صِلتى فانه لم يُدْنِى والِي قَطّ بخيرٍ ولم يفتحلى الأميرُ بابَ صِلة فتكونَ منه خالصة لا يريد بها الا وجه الله وحده ولا يرجو بها الاثوابه الاعَرَض هشام مِن دونها فثقّلها وكَرَّهها وادار القياسَ فيها وضرب

لها الامثال وألقى الحيلة فيها الى الكاتب والحاجب وقاسمهما بالله انى لكما لمن الناصحين ومدحنى بما لايُسْمَع به من أخلاقى وانتقصنى فيما لايُطمَع بغيره منّى ليكون ما أظهر من المِدْحة مصدّقا لما أسرّ من العَيْبة ثم زخرف ذلك بالموعظة وزيّنه بالنصيحة وقارَبه بالمودّة وأغراه من ناحية الشفقة وشهد عليه أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فاذا الحاجب يُزْلِقنى ببَصَره واذا الكاتب يَسْلِقنى بلسانه واذا الخادم يُعْرِض عنى بجانبه واذا الوالى يَنظرنى نَظَر المَغْشىّ عليه من الموت فصارت وجوه النفع مردودة وأبواب الطمع مسدودة وأصبح الخير الذى كنت أرجوه هشيما تَذْروه الرياح والصِلَة التى كنتُ أشْرَفْتُ عليها صعيدا زَلَقا وأصبح ماؤها غَوْرا فما أستطيع له طَلَبا فأسألُ الذى جعل لكل نبى عدوّا من المجرمين أن يكفيَنى شرّه ويصرف عنى كيده فانه يرانى هو وقبيله من حيث لا أراهم والسلام

قوله أمتع الله به أى نفع به وقوله فانه لم يردنى الخ الضمير فى أنه يرجع الى الأمير والضمائر المؤنثة بعد ترجع الى الصلة ومراده ان هشاما التزم معارضة نجحه وسدّ أبواب نفعه وعكس عليه المَطَالب واختلق له المَثَالب فى صورة مدائح يلفّقها وأكاذيب يزوّقها بحيث يبالغ فى الثناء عليه بما ليس فيه ويجعل انتقاصه بما فيه مِلْء فيه ليصير ما امتاز به على الاقران وأشير اليه فيه بالبنان وَصْمَة من الوَصَمات وسيئة من السيئات وأزلقه ببصره نظر اليه نظر المتسخط وسلقه بلسان آذاه وبقية الرسالة ظاهرة المعنى

الرسالة الثانيـــة

الى يزيد بن منصور عامل أبى جعفر المنصور على اليَمَن وقدِم الى صنعاء أوّل سنة أربع وخمسين ومائة بعد الفُرَات بن سالم وقد طلب منه ما كان فرضه الفرات لنفسه على أهل اليمن

أما بعد فانه قدم علىّ كتاب من الامير حفظه الله مع رسوله نعمان الهَمْدانى يأمرنى أن أبعث اليه بفرض الفرات بن سالم وأنَا أُخبر الامير أكرمه الله انه كان قدم علينا قَبْل كتابه كتابُ الله تعالى مع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم يأمرنا فيه أن نفرق ما جَمَع الفرات وأن نهدم ما بَنَى وان نُوَالى مَن عادَى وأن نعادِى مَن والَى ونظرت فى الرسالتين

وقِسْت بين الرسولين لغير تَحَـيُّزٍ عَرَضَ ولا لشبهةٍ بحمد الله دخَلَتْ فرأيت أن لا أنقض ما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لمـا قَدِم به النعمان لعنه الله وغضب عليه وعلمت ان مَن يَزِغْ منّا عن أمر الله يُذِقْه من عذاب السعير فلْيَقْضِ الأمير حفظه الله فىّ ما كان قاضيا ثم لْيُعَجِّلْ ذلك ولا يُنْظِرْنِى فوالله انّ العافيةَ لفِى عقابه وان العقاب لفى عافيته وان الموتَ لخير من الحياة معه اذا كان هذا الجِدُّ منه والحقُّ عنده والسلام قوله لغير تحيُّز عرَضَ الخ يعنى أن نظره وقياسه انما هو لمـا دَهَمه مما يخالف الكتاب والسنة فصار يعرضه عليهما لاقامة الحجة فيجده بمَعْزِلٍ عن الحقّ ومكان سَحِيق عن العَدْل وقوله اذا كان هذا الجدّ منه والحقّ عنده الجدّ بالنصب خبر كان والمشـار اليه بهذا هو الامر المنكر أى اذا كان هذا المنكر هو الجد الذى يحصل من الامير وهو الحق عنده والجد بالكسر إما اسم من جدّ يجدّ ويجد من بابى ضرب وقتـل جدّا بالفتح أى اجتهـد فاذا قالوا مثلا فلان محسن قالوا جدا بكسر الجيم أى نهـاية ومبالغة قال ابن السكيت ولا يقـال محسن جدّا بالفتح أو اسم من جدّ جدّا من جدّ ضرب ضـد الهزل ومنه قوله صلى الله عليه وسـلم ثلاث جدّهن جدّ وهزلهنّ جدّ فذكر الطلاق والعتق والنكاح لان الرجل فى الجاهلية كان يفعل شـيًا من ذلك ثم يرجع ويقول كنت لاعبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابطالا لامر الجاهلية وفى رواية الجامع الصغير ابدال العتق بالرجعة قال الامام المناوى خص الثلاثة لتأكّد أمْرِ مُتعلَّقهنّ والّا فكلّ تصرّف ينعقد بالهزل على الاصح عند الشافعية

الرسـالة الثـالثـــة

نصيحةٌ لِبَشّار بن رُضَابة

أما بعد فإنى رأيتك فى أول زمانك تَغْدُو على العلماء وتَرُوح عنهم وتحدّث عن الله وعن ملائكته ورسله وقد أصبحتَ تحدّث عن مَعْن وعن عُمّاله وعن أبى مُسْلم وعن أصحابه فبئس للظالمين بدلا فَمَن خَلّفتَ على أهلك أو على من تتكل فى هَول سَفَرك أو بمَن تثِق فى حال غُرْبتك أبا لله أم عليه وكيف ولستُ أخشى عليك الّا من قِبَـله لانه قد أعْذر اليك وأنذر فعصَيتَ أمْره وأطعتَ أعداءه وخرجتَ مُغاضِبا تظُنّ أن لن يَقدِر عليك فاتّق

على نَفْسكُ الزَلَل من دابّتك فى كل جَبَل فاذا استويتَ أنت ومن معك على ظهورها فلا تقل سبحان الذى سخّر لنا هذا لان الله تبارك وتعالى قد كرِه أن يُحمد على مانَهى عنه ولكن قُل ربّنا مَن قدّم لنا هذا فزِدْه عذابا ضِعْفا فى النار غَدَا غُدُوّا من باب قعد أى ذهب غُدْوَةً وهى مابين صلاة الصبح وطلوع الشمس والجمع غُدًى مثل مُدْيَة ومُدًى هذا أصله ثم استعمل فى الذهاب أىّ وقت كان كما تقدم تفصيل ذلك وراح رواحا وتروّح يكون بمعنى الغدو و بمعنى الرجوع وقد طابق بينهما القرآن الكريم فى قوله تعالى (غُدُوُّها شَهْر ورَوَاحُها شهر) أى ذَهابها ورجوعها وقد يَتوهم بعض الناس أنّ الرواح لايكون الا فى آخر النهار وليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان فى الذهاب أىّ وقتٍ كان من ليل أو نهار ومنه قوله صلى الله عليه وسلم مَن راح الى الجمعة فى أول النهار فله كذا أى من ذهب وأما راحت الابل فلا يكون الا بالعشىّ من الزوال الى الليل اذا أراحها راعيها على أهلها وراح زيد الريحَ يَراحُها رَوْحا من باب خاف اشتمها وكذا راحها رَيْحا من باب سار وأراَحها بالالف ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لم يرِحْ رائحةَ الجنة مَرْوِىّ باللغات الثلاث وكلٌّ مِن مَعْن بن زائدة الشَيْبانى وأبى مُسْلم الخُراسانى أشهر من علم والعذر بضم العين اسم من عَذَرْتُه عَذْرا من حدّ ضرب رفعت عنه اللَوم فهو معذور أى غير مَلُوم وأعذرَ فى الامر بالَغ فيه و يقال أعذر مَن أنذر ويقال أنذرتُ زيدا كذا انذارا أبْلَغْته ينصب مفعولين وأكثر مايستعمل فى التخويف والفاعل مُنْذِر ونذير وأنذرته بكذا فنذر به كأعلمته فعلِم وزنا ومعنى وقوله وانزِلْ مِن دابّتك أى مطِيّة جَهْلك التى اقتحَمت بك المَهَالِك فى كل جَبَل أى عَقَبَة من العَقَبات اللاتى تَحُول دون الخير أى اذا جَمَحت بك تلك المطية فى عقبة من تلك العقبات فبادِرْ بالنزول لئلا تتوغّلْ بك فيها فتَهلِك ولا تحسبنّ أنّ هذه المطية التى هى كناية عن الصحة أو الفراغ أو المال أو الجاه أو مايمكن أن يكون وُصْلة للشّر نعمةً من هذه الجهة أى جهة الاستعانة به على المعاصى فتحمد الله تعالى عليها اللهم جنبنا الزلل واحفظنا فى القول والعمل

الرسـالة الرابعـــة

الى الحجى السـابق

أما بعد فان الله وله الحمـد قد كان عرضنى وجوها كثيرة وخيرنى فى مكاسب حلال وكنت بتوفيق الله عز وجل واحسانه قد اخترت منها ناحيـة الامير حفظه الله تعالى ورضيت به من كل مَطْلَب واقتصرت على رجائه من كل مَكْسَب فأثابه الله عز وجـل فَتْحا قريبا ومغانم كثـيرة عَجّلها وكان الله عزيزا حكيما. وقد عرف الامير حفظه الله تعالى طُولَ مودّتى له وقديمَ حُرْمتى وانى ممن أنفق من قبل الفتح وقاتل ثم انى لم أنافق بعد النُصْرة ولم أكن كحاطب حين ألقى بالمُدّة ولا كتميم يوم نادَوا مِن وراء الحُجُرات بل أقمتُ على مكانتى واصطبرت على عُسْرتى حتى جاء الفَتْح من عنـد الله وطلع الامير حفظه الله فلما ظهر وتمكّن ورجَوْنا الغِنَى معه حين أيسر وأثْخَنَ والعِزّ تمـاما على الذى أحسن قَرَب الاَحزاب وأوفى المخالِفين من الاَعراب وآثر بالفىء مَن لم يُوجِف عليه بخَيـل ولا رِكاب وأصبحَت أياديه عنـد المؤلَّفة قلوبُهم ومن كان يَلْمِزه فى الصـدقات منهم وصنائعُه عند المُعَذِّرين من الاَعراب الذين جاؤا من بعدهم ظاهرةً فى الآفاق وفى أنفسهم وأصبح نُقَباء العَقَبة وفُقَراء الهِجْرة ومساكين الصُّفّة تفيض أعينُهم من الدمع حَزَنا أن لايجدوا ماينفقون والسابقون الاولون مِنّا ومِن أهـــل النُصْرة مُرْجَوْن لِأمْر الله فان رأى الامير حفظه الله تعـالى أن يَعْطِف علينا من قَبْـــل أن يَزِيغ قلوب فريق مِنّا فَعَـلَ فان الانسان خُلِق هَلُوعاإذا مسّـــه الشرّ جَزُوعا واذا مَسّه الخيرُ مَنُوعا ولست أدرى ماذا أعْتَذر به اليومَ الى الناس فى أمرى عن الأمير وهم يعلمون أنى قد رأيت فيه ثُلُثَىْ أمَلِى ولم أبلُغ فى نفسى رُبْعَ رجائِى أم ماذا يَنتظِر الاميرُ حفظه الله فِىّ بعد أن آتاه الله المُلْكَ وعلّمه الحكمةَ ومكّنه من خزائن الارض وجعله فى الدنيا وجيها وفى الاسلام مَكِينا وعند الخليفة أبقاه الله تعالى مُطاعا أمينا فَمَن يَفِرُ الاميرَ بعد هذه النعمة أو من يَعْذِره مع هذه الكرامة ومن يرضَى منـه بأقلّ من جُبْرانه إلّا مَن سَفِهَ نَفْسه والسلام

الحُرْمة المَهَـابة وهى اسم من الاحترام مثل الفُرْقة من الافتراق وقوله كحاطب حين ألقَى بالمُدّة بضم الميم اسم مااستمددت به من المِدادعلى القلَم وهى المعروفة عند العوام بالمَلّة

أى حين ألقَ بالمِداد على تلك الصحيفة وهو سيدنا حاطب بن أبى بلتعة واسم أبى بلتعة عمرو بن عمير وحاصل هذه القصـة كما فى البخارى وغيره أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم لما أراد أن يَغْـزُو مكة عام الفتح دعا الله تعـالى أن يُعَمّى الاَخبار على قريش فكتب اليهم حاطب يُعْلِمهم بمـا يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَعْلَمَ اللهُ رسولَه بذلك فبعث عليًا والزُبير والمِقْداد فقال انطلقوا حتى تأتُوا رَوضةَ خاخٍ فانّ بهـا ظعِينةً معها كتاب فخُذوه منها فأتُونِى به فوجدوا الظعينةَ بتلك الروضـة فقالوا أخرِجى الكتاب فأنكَرَتْه فقالوا لَتُخْرِجِنّ الكتابَ أو لَنُجَرّدَنّ الثِيابَ فأخرجَتْه مِن عِقَاصها فأتَوابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا ياحاطب فقال لاتعجَلْ علىّ يارسول الله انّى كنتُ امرَأً مُلْصَـقا فى قريش وكان مَن مَعك من المهاجرين لهم قرابات يَحْمُون بها أَهْلِيهم وأموالَهم بمكة فأحببتُ اذْ فاتَنِى ذلك أى لانه كان مَوْلًى أن أتخِذ فيهـم يَدًا يَحْمُون بهـا قرابتِى وما فعلتُ ذلك كُفْرا وارتِدادا عن دِينى ولا رضاءً بالكفر فصدّقه رسول الله صـلى الله عليه وسلم وقال لعُمَرَ لَمّـا أراد قَتْله انه قد شهِد بَدْرا فمـا يُدْرِيك لعلّ اللهَ اطّلع على أهل بَدْر فقال اعمَلُوا ماشِئتم فقـد غفرت لكم وقد شهد الله تعالى له بالايمـان فى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتّخِذوا عَدُوّى وعدوّكم أولياءَ) وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المُقَوْقس سـنة ست فأحضرَه وقال له أليس صاحبكَ نبيًّا قال بلى هو رسول الله قال فمـا بالُه لم يَدْعُ على قومه حيث أخرجُوه من بَلدته فقال له فعيسى بن مريم تشهد أنه رسول الله فما لَهُ حيث أراد قومُه صَلْبه لم يَدْعُ عليهم حتى رفَعه اللهُ فقال صـدقتَ أنتَ حكِيم جاء من عند حكيم وتوفى سنة ثلاثين عن خمس وستين سنة وقوله ولا كَتَميم يوم نادَوْا مِن وراء الحُجُرات المراد القبيلة أى بنو تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة وهم سبعون رجلا منها جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لفداء ذَرارِىّ لهم فصادفُوه قائلا فنادَوه فنزلت (ان الذين ينادونك من وراء الحُجُرات أكثرُهُم لايعقلون) أى منزلتـك وما يجب لك من الاحترام والاجلال ومازَح معاوية رضى الله تعالى عنه الاحنف بن قيس فمـا رؤى مازحان أوْقَرَ منهمـا قال له ياأحنف ماالشئ المُلَفّف فى البِجَاد فقال هو السّخينة ياأمير المؤمنين ذهب الاحنف الى السخينة التى كانت تُلَقّب بها قريش وهى شئ يُعمَل

من دقيق وسمن لانهم كانوا مُولعين بها وكانوا يأكلونهـا فى شـدة الدهر وغلاء السـعر وعَجَف المـال قال الشاعر وهو كعب بن مالك

زَعمتْ سخينةُ أَن ستغلِب ربَّها * وليُغْلَبَنّ مُغالِبُ الغَـلّاب

وذهب معاوية الى قول الشاعر

اذا ماماتَ مَيْت من تمـيم * فسرّك أن يعيشَ فجئْ بِزاد

بخُـبزٍ أو بتَمْـر أو بلَحْم * أو الشئ المُلَفّف فى البِجاد

تراه يُطَوّف الآفاقَ حِرْصـا * ليـأكلَ رأسَ لقمانَ بن عاد

وسبب نسبة تميم الى حُبّ الطعام ان عَمْرو بن هِنْد لمّـا قَتَل بَنى دارِم لقَتْلهم أخاه أسعد ابن المنذِر الذى كان مُسْتَرْضَعا فيهم وذلك يومَ القُصَيبة ويوم أُوارَةَ أقْسَم لَيُحَرِّقَنّ منهم مائة فبذلك سُمّى مُحَرِّقا فأخذ تسعة وتسعين رجلا فقذَفَهم فى النار ثم مرّ رجل من البَراجِم وهم بنو مالك بن حنظلة فاشتمّ رائحة اللحم فظن أن الملِك يتّخِذ طعاما فعرّج اليه فأُتِى به الى الملك فقال له مَن أنت قال أَبَيْتَ اللَّعْن أنَا وافِد البَراجم فقـال عمر وان الشقِيّ وافد البراجم ثم أمر به فقُذِف فى النار ففى ذلك يقول جَرِير يُعيّر الفَرَزْدق

أين الذين بنار عمرو حُرّقوا * أم أين أسعَدُ فيكم المسترضَع

وقال أيضـا

وأخزاكُمُ عمرو كما قد خَزِيتمُ * وأدرك عمارًا شقِيَّ البَراجم

وقال الطرمّاح

ودارِمٌ قـد قَذَفْنا منهـم مائةً * فى جَاحِم النار اذ يَنْزُونَ بالجَدَدِ

يَنْزُون بالمُشْـتَوَى منها ويُوقِدها * عمرو ولولا شُحُوم القوم لم تَقِـدِ

ونظير هذه الحكاية أن شَرِيكا النُّمَيرى سايَرَ عُمَر بن هُبَيرة الفَزارِىّ فندَرَتْ بَغْلة شريك فقال له ابن هبيرة غُضَّ من لِجام بغلتك فقال له شريك انها مَكْتُوبة فضحك وقال لم أُرِد ذلك عَرّضَ ابن هبيرة بقول الشاعر

فَغُضَّ الطَّرْفَ أنّك من نُمَيرٍ * فـلا كَعْبًا بلَغْتَ ولا كِلابا

وعرّض شريك بقول سالم بن دَارَةَ

لا تأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوتَ به * على قَلُوصِك واكْتُبْها بأسْيَار

وَقَوْلُ بِشْر وآثر بالفَىء من لم يُوجِف الخ الوجيف ضَرْب من سير الابل والخيل وجَفَ كوعد ووجيفا أيضا وأوجفه صاحبُه أى أعْمَله واللَّمْز العَيب وأصله الاشارة بالعين ونحوها وهو من بابى ضرب ونصر ورجل لَمَّاز ولُمَزَة عَيَّاب والمُعَذِّرون قرئ به فى الآية الكريمة بتشديد الذال وتخفيفها فالتشديد على أن المُعَذِر قد يكون مُحِقًّا فى معنى المعتذر فقلبت التاء ذالا وأدغمت فى الذال ونقلت فتحتها الى العين قبلها كقراءة يَخَصِّمون بفتح الخاء فهو من الافتعال وقد يكون غير مُحِق فيكون من التفعيل كالتقصير والاعراب بفتح الهمزة أهل البَدْو الواحدُ اعرابى وهو الذى يكون صاحبَ نُجْعة وارتياد للكَلأ زاد الازهرى سواء كان من العرب أو من مواليهم قال فمن نزل البادية وجاوَرَ البادين وظَعَنَ بظَعْنهم فهم اعراب ومَن نزل بلاد الريف واستوطن المُدُن والقُرَى العربية فهم عرب فاحْرِصْ على ذلك الفَرْق وعَضَّ عليه بالنَّوَاجذ ولا تكن ممن ختم الله على قلوبهم فاطلقوا ألسنةَ الذمّ فى العرب بوجه الاطلاق لمجرَّد ما يُنْقَم من بعض جُفاة الاعراب مما أغلبه كذب وافتراء فآذَوا الله تعالى اذْ آذوا رسوله صلى الله عليه وسلم اذ لا يُرْضيك مَن يَسُبّ أُسْرَتَك اللهم العافيةَ فى الدين والدنيا والآخرة والعَقَبة ثلاث وهى اسم مكان مخصوص غلبت عليه وكانت الثالثة فى ذى الحجة سنة ثلاث عشرة من النبوّة قبل الهجرة بثلاثة أشهر ونقباؤها اثنا عشر تسعة من الخَزْرج وثلاثة من الأَوْس قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم كُفَلاء على قومكم كَفَالةَ الحَوَارِيّينَ لعيسى بن مريم قالوا نعم والهَلَع أشدّ الجَزَع والجزع ضدّ الصَبْر وبابهما طرب وبقية الكلام ظاهر

الرسالة الخامسة

الى الوزير يحيى بن خالد بن برمك يستمتع فيها بالجَبِيّ المذكور أى يطلب المَتْع به من باب قطع أى الانتفاع أى ابْقاءه

أما بعد حفظ اللهُ أبا علىّ وحفظ لك ما استحفظك من دينك وأمانتك وخواتيم عَمَلك أمّا ما تُحب أن ينتهى اليك عِلْمُه من قُدُوم الجبِيّ علينا وما عمِل به فينا وعَلامَ أصبح المسلمون معه قِبَلنا فكلّ ذلك بحمد الله تعالى ونِعمه على أفضل سرورك وأعظم رجائك ومنتَهى أملك

من سُكُون الدَهْماء وأَمَان السُبُل وحسن الحال وتتابُع الامطار وقد أصبح الناس بحمدالله رُحَماء بَيْنَهم لايُسْمَع إلّا سَلامًا سلاما وذلك أن الجبى لَمَّـا قَدِم علينا فَزِع الى خِيار الناس وأهل الصلاح منهم فقرّبهم وأدناهم وغَلّظ على أهل الفُجور والرِيبة وأبعدَهم وأقصاهم وبعث لِحَمَلة القرآن فلمّا اجتمعوا اليه من أطراف البلاد تخيّر الفقهاءَ وذوى الرأى منهم فجعلهم بِطانَته وأهلَ مُشاورته وبعث أكثَرهم عُمّالا على كثير من نواحى عَمَله وعهِد اليهم ما عهد اليه أمير المؤمنين فى أخذ الصدقات والزكاة على وجوهها وقَسْم السُّهمان الخمسة موفَّرة بين أهلها وأعلمهم أن أمير المؤمنـين لم يأمره ولا مَن قَبْلَه مِن وُلاة اليَمَن وغيرها الا بالعدل والاحسان وانّ أمير المؤمنـين يَبْرَأ الى الله من ظُلْم كُلّ ظالم وجَور كل جائر وانه قد خَلَع ما يَتَنَقّل به مِن رَقَبته وجَعَله فى دِين الجبى وأَمانَته فلم يَبْقَ عند ذلك فِرْقة مِن فِرَق المسلمين ولا جماعة من الصالحين ولا أحد من الفقراء المساكين الّا دَعَا لامير المؤمنـين بطول البقاء ثم دَعَوْا لك ياأبا علىّ بأفضل الدعاء ونَشَرُوا عنك أحسنَ الثنـاء لِمـا ساقَه اللهُ اليهم بسببك وجعله بيُمْن مُوازَرتك وأجراه لهم على لسانك ويَدك ولِمـا أَخَذَ الجبى فيهم من ورائك فانّا قد عرفناه بالرِفْق الذى ليس معه ضَـعْف و بالشدّة التى ليس معهـا عنف وبالجد الذى لا يَخْلِطه هَزْل ثم هو مع ذلك قليــل الغَفْلة شــديد التُّهَـمة لا يتّكل على كُتّابه ولا يُفَوّض أمرَه الى أمَنـائه ولا يطمئِنّ الى جُلَسائه حتى يتفقّد الاشياء بنَفْسه فيُورِد ماحَضَر منها على عَيْنه ويُصْدِر ما غاب عنه منها على عِلْمه لايمنعه مِن مُطالبة الصغير مُزاولة الكبير قد أحكمَ السِياسة ورسخ فى التدبير فأشدُّ الناس خوفا لغَضَبه أرجاهم جميعا لمَثُوبته وأقلُّهم أمانا لعُقُوبته أطْوَلهُم لُزُوما لمُجالَسته قد شَغَل كُلّا بنَفْسه فأَقْبَلَ كلٌّ على شأنه فليس أحد يُجاوِز حَدّه ولا يَعْدو قَدْره ولا يتكلم الا فيما يَعنيه ولَسْـنا نراه بحمد الله يزداد فى كل يوم الا شِدّة ولا تزداد الامورُ معــه الا إحكاما فليس لمغتابٍ اليه سبيل ولا لمُنْتَقِص معه مَطْمَع والسلام

قوله حفظ الله الخ هو بصيغة المـاضى جواب أَمَّا بلا فاءٍ كقوله فأمّا القتال لاقتال لديكم يدعو الله تعالى ان يحفظ له ما استحفظه أى ما طُلِب منـه حِفْظُه من الدِّين والامانة وخَوَاتيم العَمَل أى العمل الصالح الذى هو آخر عمل عَمِلَه

وأصْلُ ذلك أنَّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه رجل يُوَدِّعه لسفرٍ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَك وأَمَانَتَك وخَواتِيمَ عَمَلِك أى الصالح الذى جعلتَه آخر عملك فى الاقامة فان المسافر يُسَنّ له خَتْم اقامته بعملٍ صالح فيُنْدَب لكل مَن ودّع أحدا من المسلمين أن يقول له ذلك وأن يكرّره ثم وصف له ماصارت اليه المملكة بولاية الحجبى حيث قال من سُكُون الدَهْماء وهى جماعة الناس الى قوله سلاما سلاما وهما نائب الفاعل على الحكاية ثم ذكر أن أسباب ذلك اتّخاذُ بِطانة الخَيْر وإبْعاد بطانة الشرّ واتّباع خُطّة العَدْل وسلوك نَهْج القَصْد فى الامور كلها بلا افراط ولا تفريط مما تراه قد أحاط بأطراف السياسة وجمع من أشتات النِظام وتدبير المُلْك ماتفرّق فى كثير من الكتب والسُهْمان جمع سَهْم بمعنى النصيب وهو هنا خُمس الخُمس المذكور هو ومصرفه فى الكتاب العزيز فى قوله تعالى (واعلموا أن ما غنمتم من شئ) الآية الكريمة وباقى الكلام ظاهر غنى عن الشرح

الرسالة السادسة

من أمير المؤمنين هِشام بن عبد الملك بن مَرْوان الى خالد بن عبد الله ونصّها

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغَ أميرَ المؤمنين عنك أمرٌ لم يحتمله لك الا لما احبّ مِن رَبّ الصنيعة قِبَلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحقّ مَن استصلح مافسد عليه منك فانْ تَعُدْ لمِثْلِ مَقالتك ومابلغ أميرَ المؤمنين عنك رأى فى معالجتك بالعقوبة رَأْيَه إِنَّ النعمة اذا طالت بالعَبْد ممتدّة أبْطَرتْه فأساء حَمْل الكرامة واستقلّ العافيةَ ونَسَب مافى يديه الى حِيلته وحَسَبه وبَيْته ورَهْطه وعشيرته فاذا نزلت به الغِيَر وانكشطَت عنه عَمايةُ الغَىّ والسلطانِ ذَلّ مُنْقادا وندم حَسِيرا وتمكّن منه عَدُوّه قادرا عليه قاهرا له ولو أراد أمير المؤمنين افسادَك لجَمَع بينَك وبين مَن شهِد فَلَتات خَطَلك وعظِيم زَلَلك حيث تقول لجلسائك والله مازادتنى وِلَايةُ العراق شَرَفا ولاولّانى أميرُ المؤمنين شيأ لم يكن مَنْ قَبْلِى ممن هودُونِى يَلِى مِثْلَه ولَعَمْرِى لو ابتُلِيتَ ببعض مَقاوِم الحجّاج فى أهل العراق فى تلك المَضايق التى لَقِى لعلمتَ انك رَجُل من بَجِيلة فقد خرج عليك أربعون رجلا فغَلَبوك على بيت مالك وخزائنك حتى قُلْتَ أطعِمُونى ماءً دَهَشا وبَعَلاً وجُبْنا فما استطعمتَهم

الا بأمان ثم أَخْفَرت ذِمّتَك منهم رَزِين وأصحــابه ولعمرى انه لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخَطَلك فى مَجْلسك وجُحودك فَضْله اليك وتصغير ما أنعم به عليك لحَلّ العُقْدة ونقضَ الصَنيعة وردَّك الى مَنْزلةٍ أنتَ أهْلُها كنتَ لذلك مستحقّا فهذا جَدُّك يزيدُ بن أَسَد قد حَشَد مع معاوية فى يوم صِــفّين وعرّض له دِينَه ودَمَه فمــا اصْطَنع عنده ولا وَلّاه ما اصطنع اليك أميرُ المؤمنين وولّاك وقبلَه من أهل اليمين وبيوتاتهم مَنْ قبيلتُه أكرمُ من قبيلتك من كِنْدة وغَسّانَ وآلِ ذى يَزَن وذى كَلَاع وذى رُعَين فى نُظَرائهم من بيوتات قومهم كُلُّهم اكرمُ أَوّلِيّةً وأشرف أسلافا من آل عبدالله بن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات تَعْلُوك وتَغْمُرك وتُسْكِتُك وتتقــدّمُك فى المحــافل والمجامع عند بَدْأة الامور وأبواب الخلفاء ولولا ما أحبّ أميرُ المؤمنين من رَدّ غَرْبك لَعَاجَلَك بالتى كنتَ أهلها وانها منك لَقَــريبٌ مَأْخَذُها سَريعٌ مَكْروهُها فيها أن أبْقَى اللهُ أميرَ المؤمنين زوالُ نِعَمه عنك وحلولُ نِقَمه بك فيما ضَــيّعْت وارتكبتَ بالعراق مِن استعانتك بالمجُوس والنصارى وتوليَتِهم رقابَ المسلمين وجِبوَةَ خَرَاجهم وتَسَلُّطهم عليهم نَزَع بك الى ذلك عِرْقُ سَوْءٍ فيهم مِن التى قامت عنك فبئس الجَنين أنتَ يا عُدَىَّ نَفْسه وان الله عز وجل لَمّــا رأى احسانَ أمير المؤمنين اليك وسُوءَ قيامك بشُكْره قلّبَ قَلْبه فأسْخَطه عليك حتى قَبُحَتْ أمورُك عنده وآيَسَه مِن شُكْرك ماظهر مِن كُفْرك النعمة عندك فاصبحتَ تنتظر سقوطَ النعمة وزوالَ الكرامة فتأهَّبْ لنَوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أَوْجَدُ ولِمَــا عمِلتَ أكْرَهُ فقد أصبحتَ وذنوبُك عند أمير المؤمنــين أعظمُ من أن يُبَكّتك بها الّاراتبًا بين يديه وعنده مَن يُقَرّرك بها ذَنْبا ذَنْبا ويُبَكّتك بما أتيتَ أمْرًا أمرا فقد نسِيتَه وأحصاه اللهُ عليك ولقد كانَ لامير المؤمنين زاجرٌ عنك فيما عَرَفك به من التسرع الى حَمَاقتك فى غير واحدة منها القُرَشى الذى تنــاولتَه بالحجاز ظالمــا فضرَبك اللهُ بالسوط الذى ضربته به مفتضحا على رؤس رعيّتك ولعَلّ أمير المؤمنين يعود لك بمثل ذلك فان يفعلْ فأهْلُه أنتَ وان يَصْفَح فأهلُه هو ومن ذلك ذِكْرُك زَمْزَمْ وهى سُقْيا الله وكَرَامتُه لعبد المُطّلب وهذا الحَىّ مِن قريش تسمّيها أُمّ جعارٍ فلا ســقاك اللهُ من حَوض رسول الله صلى الله عليه وســلم وجَعل شَرّكما لخيركما الفِداء ووالله انه لو لم يستدْلِل أميرُ

المؤمنين على ضَعْف نَحائزك وسوء تدبيرك الّا بفسالة دَخائلك وبطانتك وعُمّالك والغالبة عليك جاريتك الرائقة بائعة الفُهود ومستعملة الرجال مع ما أتلَفْت من مال الله فى المُبارَك فانك ادّعيتَ انك أنفقتَ عليه اثنَىْ عشر ألف ألف درهم والله لوكنتَ من ولد عبدالملك ابن مروان مااحتَمل لك أميرُ المؤمنين ماأفسدتَ من مال الله وضيّعتَ من أمور المسلمين وسلّطتَ من وُلاة السوء على جميع أهل كُوَر عَمَلك تَجْمَعُ اليك الدَهاقينُ هدايا النَيروز والمِهْرَجان حابسا لأكْثره رافعا لأقلّه مع مَخَابِث مَسَاوِيك التى قد أخّر أميرُ المؤمنين تقريرَك بها ومُناصَبتك أميرَالمؤمنين فى مولاه حَسّان ووكيله فى ضياعه وأحْوازه فى العراق واقدامك على ابنه بما قدمْتَ به وسيكون لأمير المؤمنين فى ذلك نَبأ ان لم يَعْف عنك ولكنه يظنّ أن الله طالبُك بأمور أتيتَها غيرَ تارك لتكشيفك عنها وحَمْلك الاموالَ ناقصةً عن وظائفها التى جَباها عمر بن هُبَيْرة وتوجيهك أخاك أَسَدا الى خُراسان مُظْهِرا العَصَبيّة بها متحاملا على هذا الحىّ من مُضَر قد أتت أميرَ المؤمنين بتصــغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقاتُ ناسيا لحديث زَرْنَب وقَصص الهَجَريّين كيف كانت فى أَسَد بن كُرْز فاذا خَلَوْتَ أو توسّطتَ مَلَأً فاعرف نفسَك وخَفْ رَوَاجع البَغْى عليك وعاجلاتِ النِقَم فيك واعلم انّ مابعد كتاب أمير المؤمنين هذا أشدُّ عليك وأفسدُ لك وقِبَلَ أمير المؤمنين خَلَفٌ منك كثيرٌ فى أَحسابهم وبُيُوتاتهم وأَدْيانهم وفيهم عِوَض منك واللهُ من وراء ذلك وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة أنظر الى هذا الكتاب وما أُودِع فيــه من الحِكَم والمواعظ والتبكيت والتأنيب والوعيد والتهديد والترهيب مع الترغيب وتذكير المرء باصله وارجاعه الى طَوْره والزامه الوقوف مع قدره الى غير ذلك من ضروب الكلام بافصح عبارة وأقوم طريقــه أما خالد المذكور فهو ابن عبدالله بن يزيد القَسْرىّ بفتح القــاف وسكون السين نسبة الى قَسْر بن عَبْقَر بَطْن من بَجيلة كان أمير العراقين من قِبَل هشام ابن عبد الملك وكانت أمه نصرانية ولِجدّه يزيد صُحْبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خالد معدودا من خُطَباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وكان جَوادا كثير العطاء دخل عليه شاعر يومَ جلوسه للشعراء وقد مدحه ببيتين فلما رأى اتّساع الشعراء فى القول استصغر ماقال فسكت حتى انصرفوا فقال له خالد ماحاجَتُك فقــال مدحتُ الامير فلما سمعت قول الشعراء احتقرت بيتَىّ فقال وماهُمَا فأنشده

تبرّعت لى بالجـــود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى حسبتك تلعب
فأنت الندى وابن الندى وأبو الندى * حليف الندى ماللندى عنك مذهب

فقال ما حاجتك فقال على دين فأمر بقضائه واعطاه مثـله غير أنه كان يُتّهم فى دينه وبنى لأمّه كنيسة تتعبد فيها وفى ذلك يقول الفرزدق يهجوه

ألا قبّح الرحمنُ ظهرَ مطيــةٍ * أتتنا تهـادى من دمشـق بخـالد
وكيف يؤمّ النـاس من كانت امّه * تدين بأن الله ليس بواحـــد
بنى بيعـــةً فيهـا الصـليب لأمه * ويهـدم من بغض منـار المساجد

ثم انّ هشاما لم يزل يتفقّد عثرات خالد بعد هـذا الكتاب حتى ورد اليه من أنبائه انّ امرأة أتته فقالت أصلح الله الامير انى امرأة مسلمة وأنّ عاملك فلانا المجوسى وثب علىّ فأكرهني على الفجور وغصبني نفسى فقال لهـا كيف وجدت قُلفته فكتب الخليفة لعامله على اليمن وهو يوسف بن عمر بولاية العراق ومحاسبة خالد وعُمّاله وأن يستخلف على اليمن ولده الصلت فقـدم يوسف الكوفة سحرا ثم قبض على خالد وعُمّـاله وحبسه وعذّبه حتى مات سنة أربع وعشرين ومائة بالحيرة وهى مدينة بينها و بين الكوفة فرسخ كانت منزل آل النُعمان بن المنـذر من ملوك العرب ومدحه أحد الشعراء وهو فى سجن يوسف بهذه الأبيات

ألا انّ خيرَ النـاس حيّـا وميّتـا * أسـيرُ ثقيف عندهم فى السّلاسل
لعمرى لئن عمّـــرتمُ السجنَ خالدا * وأوطأتمُـــوه وطأة المتثاقـــل
لقـد كان نهّاضـا لكلّ ملمّـــةٍ * ومُعطِى اللُّهـا غَمْرا كثيرَ النـوافل
وقد كان يبني المكرُمات لقـومه * ويعطى اللُّها فى كلّ حقٍّ و باطـل
فانْ تسجُنوا القسرىّ لاتسجُنوا اسمه * ولا تسجُنوا معـروفه فى القبـائل

وكان يوسف قد جعل عليه كل يوم قسطا ان لم يقم به عذّبه فأعطى الشاعر قسط ذلك اليوم وكان سبعين ألف درهم وتحمّل العذاب فاذا علمت ذلك فلا يهولنّك ما تسمعه فى كثير من تواريخ الأمّة فى مصادرة بعض الخلفاء لبعض العُمّال فكلّهم أى العمال الذين تقع مصادرة الخلفاء لهم بمثابة خالد هذا تهاونا بالدين والرعيّة وتفريطا فى مال الله تعـالى

فان المُبَارَك الذى ذكره أمير المؤمنين فى هذا الكتاب اسم نَهْر بالبصرة حفَره خالد المذكور سَفَها وتبذيرا حتى هجاه الفرزدق لذلك بقوله

وأهلكتَ مالَ الله فى غير حقّه * على النهر المشئوم غيرِ المبارك

وتَضربُ أقواما صِحاحا ظُهُورُهم * وتَترك حقَّ الله فى ظَهْر مالك

أإنفاق مال الله فى غير كُنْهِه * ومَنْعًا لِحَقّ المُرْمِلات الضَرائِك

يريد مالكَ بن المُنْذِرين الجارود العَبْدىّ صاحِبَ شُرْطة خالد والضرائك جمع ضَرِيك وهو الفقير وقال الفرزدق أيضا

كأنك بالمبارك بعد شهر * تَخُوض غِمارَه بُقْعُ الكلاب

كَذَبْتَ خليفةَ الرحمن عنه * وسوفَ يَرى الكَذوبُ جَزا الكِذاب

وقوله من رَبّ الصَنيعة هو مصدر رَبّ الأمْرَ أصلَحه أو ربّ الصبيَّ رباه والفعل كنصر وقوله راتِبا هو مِن رَتَبَ من باب دخل أى ثَبَت ولم يتحرّك وأمّ جَعَارِ هى الضَبُع والنَحائز جمع نَحِيزة وهى الطبيعة والفَسَالة الرَذالة فَسلَ كعلم والفَسْل الرَذْل الذى لا مُرُوءة له والرَذْل الدُونُ الخسيس وقد رَذُل ككرم وعلم رَذالةً والنَوْرُوز أوّل يوم من السنة ويعرّب بنَيروز وقُدّم الى على رضى الله تعالى عنه شئ من الحَلْوَى فسأل عنه فقالوا للنيروز فقال نَيْرِزُونا كلَّ يوم وقال فى المِهْرَجان مَهْرِجُونا كل يوم والمهرجان عِيد للفُرْس وهى كلمتان مهر وجان فتركّبتا ومعناها محبة الرُوح ويكون عند نزول الشمس أوّل الميزان وصِفّين بكسرتين وتشديد الفاء موضع بقرب الرَقّة على شاطئ الفُرات من الجانب الغربى وكانت وقعته بين علىّ ومعاوية رضى الله تعالى عنهما عام سبعة وثلاثين وقد أكثرت الشعراء من وصفها فى أشعارهم فمن ذلك قول كَعْب بن جُعيل يرثِى عبيد الله بن عمر بن الخطاب وقد قتل بصفين

ألا انما تبكى العيونُ لفارس * بصفين أجْلَتْ خَيْلُه وهو واقف

فأضحى عُبيدُ الله بالقاع مُسْلَما * تَمُجّ دَمًا منه العُروق النَوازِف

يَنُوء وتَعْلوه سَبائبُ من دَم * كما لاح فى جَيب القميص الكَتَائف

وقد ضُرِبَت حولَ ابن عمّ نبيّنا * من الموت شهباءُ المَنا كب شارف

السبائب جمع سبيبة شُقّة من الثياب رقيقة كالسّبّ والكتائف جمع كَتيف مايُلْأم به الإناء وإناء مكتوف أى مُضَبَّب أو جَمْع كَتيفة وهى ضَبّة الباب وهى حديدة طويلة عريضة وملخص الكلام على زَمْزَم أن أوّل مَن حَفَرها آدمُ عليه السلام ثم غُوِّرت وعَفَتْها الأمطار فلم يبق لها أثر يُعرَف ثم أظهرها جبريل بضربة جناحه لمّا نفد ماءُ هاجَر وانقطع دَرُّها وخافت على ولدها اسماعيل عليه السلام ثم حفرها عبد المطلب جدّ نبينا صلى الله عليه وسلم وفى ذلك تقول ابنته صفيّة

نحن حَفَرْنا للحَجيج زَمْزَم * سُقْيا نَبيّ الله فى المُحَرّم

* رَكْضة جبريل ولمّا يُفْطَم *

ويقول حذيفة بن غانم

وساقِى الحجيج ثمّ للخُبْزِ هاشمٌ * وعَبْدُ مَنافٍ ذلك السيّد الفِهْرى

طَوَى زمزما عند المقام فأصبحتْ * سِقَايَتُه فخرا على كلّ ذى فخر

ويقول خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى

أقول وما قَوْلِى عليكم بسُبّة * اليكَ ابنَ سَلْمَى أنتَ حافرُ زمزم

حَفِيرةُ ابراهيمَ يومَ ابن هاجَرٍ * ورَكْضة جبريلٍ على عهد آدم

والفُرْس يعتقدون أنهم من وَلَد ابراهيم عليه السلام وقد كانت أسلافهم تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيما لجدّهم ابراهيم وتمسكا بهَدْيه وحفظا لانسابهم وكان آخر مَن حَجّ منهم ساسانُ بن بابَك فكان اذا أتى البيت طاف به وزَمْزَم على البئر وفى ذلك يقول الشاعر فى القديم من الزمان

زَمْزَمَتْ الفُرْسُ على زَمْزَم * وذاك من سالِفها الأَقْدَم

والزمزمة كلامُ المجوس وقراءتهم على صلاتهم وطعامهم وقد افتخر بذلك بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام

وما زِلْنا نَحُجّ البيتَ قِدْما * ونُلْفَى بالاباطح آمنينا

وساسانُ بن بابَكَ سارَحتى * أتى البيتَ العتيق بأصْيَدينا

وطافَ به وزمزمَ عند بئرٍ * لاسماعيلَ تروِى الشاربينا

وقيل بل سميت زمزم لزمزمة جبريل وكلامه عليها والزمزمة الكثرة والاجتماع قال

وباشَرتْ مَعْطَنَها المُدَهْثَما * ويَمَّمت زُمْزُومَها المُزَمْزِما

وقيل سُمّيَتْ زمزمَ لكثرة مائها يقال ماءٌ زَمْزَمٌ وزُمازِم وقيل هو اسم وعَلَم مُرْتَجَل والمُدَهْثَم السَّهل وعمر بن هُبَيرة هو والِى العِراق قبل خالد المذكور وبعد مَسْلَمة بن عبدالملك وفيه يقول الفرزدق

راحَتْ لِمَسْلَمَةَ البِغالُ عشِيَّةً * فارْعَىْ فَزارةُ لاهَنَاكِ المُرْتَع

ولقد علِمتُ اذا فَزارة أُمِّرَتْ * أنسوفَ تَطْمع فى الامارة أشْجع

فأرَى الامورَ تنكّرتْ أعلامُها * حتى أُمَيَّة عن فزارة تَنْزع

عُزل ابن عَمرو وابنُ بِشْر قَبْله * وأخو هَراةَ لِمثْلها يَتَوقَّع

قوله تنزع كتضرب من النَّزْع فى القَوس أى الرمى أى أنها محتاجة الى رأيها ، أنها ترمى عن قوسها وقال الأَسَدى لَمّا وَلِى خالد

بَكَت المَنابِر من فَزارة شَجْوَها * فالآنَ مِن قَسْرٍ تَضِجّ وتخشع

ومُلُوك خِنْدِفَ أسلمونا للعِدا * لله دَرّ ملوكنا ما تصنع

كانوا كتارِكة بَنِيها جانبا * سَفَهًا وغيرهُمْ تَصُون وتُرضع

(فائدة) للعرب فى صِفّين ونحوها كنَصِيبِين وفِلَسْطِين وسَيْلَحِين ويَبْرِين وصَرِيفِين وقِنَّسْرِين خمسة مذاهب عرابه كالجمع المذكر السالم بفتح النون مع الواو رفعا والياء نصبا وجرا كالمشهور وتنوينها بحركات الاعراب مع لزوم الياء ومع لزوم الواو كحِين وغِسْلِين وعَرَبُون ومَنْع الصرف مع الواو كهارون للعلمية وشبه العجمة أو يقدر أعرابه على الواو مع فتح النون أبدا أما المثنّى العَلَم فكأصله أو كعُثْمان الا نحو إِشْهِيبابانِ واستغفاران فبالحروف وبما قررناه فى الجمع المسمى به لا يَرِيبك ماتراه من اختلاف كلام المتقدمين والمتأخرين من النحاة فى ذلك ولم أر فى هذا المقام أعذب مما قاله الامام المبرد وها أنا أسوقه اليك برمته لترى كيف أبدع فيه قال رضى الله تعالى عنه فى قول الفرزدق

ماسَدَّ حىّ ولا ميتٌ مَسَدَّهما * الا الخلائف من بَعد النَّبِيِّين

خَفَض هذه النون وهى نون الجمع وانمـا فعل ذلك لانه جَعَـل الاعراب فيها لافيما قبلها وجعل هــذا الجمع كسائر الجموع نحو أفلس ومساجد وكلاب فان اعراب هــذا كاعراب الواحد وانمـا جاز ذلك لان الجمع يكون على أبنيـة شتى وانمـا يُلْحَق منه بمنهاج التثنية ما كان على حَدّ التثنية لايُكَسّر الواحد عن بنائه والا فلا فان الجمع كالواحد لاختلاف معانيه كما تختلف معانى الواحد والتثنية ليست كذلك لأنها ضرب واحد ولا يكون اثنـان أكثر من اثنـين عددا كما يكون الجمع أكثر من الجمع فمما جاء على هـذا المذهب قولهم هذه سِنينٌ فاعْلَم وهذه عِشرِينٌ فاعلم فقال العَدْوانِىّ

انى أبِىٌّ أبِىٌّ ذو مُحافظــة * وابنُ أبىٍّ أبىٍّ من أبِيّـينِ
وأنتم مَعْشــر زَيْدٌ على مائة * فأجمِعوا كيدكم طُرّا فكيدونى

وقال سُحَيم بن وَثِيل

وماذا يدّرِى الشُـعَراءُ منّى * وقد جاوَزتُ حَدَّ الاربعينِ
أخُو خمسين مجتمِعٌ أشُدّى * ونَجّذنِى مُداورةُ الشـئونِ

وفى كتاب الله عز وجل (ولا طَعامٌ إلَّا مِن غِسلينٍ) فان قال قائل فان غسـلينا واحد فانه كلُّ ما كان على بناء الجمع من الواحد فاعرابه كاعراب الجمع ألا ترى أن عشرين ليس لهـا واحد من لفظها واعرابها كاعراب مسلمين واحدهم مسلم وكذلك جميع الاعراب وتقول هــذه فِلَسْطُونَ يافتى ورأيتُ فِلَسْطِينَ يافتى هــذا القول الأجود وكذلك يَبْرِينَ وفى الرفع يبرونَ يافتى وكل ماأشـبه هذا فهو بمنزلتـه تقول قِنَّسْرُونَ ورأيت قِنَّسرِينَ والاجود فى هذا البيت وهو للاعشى

وشاهِدُنا الجُلُّ والياسَمُو * نَ والمُسْمِعاتُ بقُصّابها

الجل الورد والقصاب الاوتار وفى القرآن الكريم مايصدق ذلك قول الله عز وجل (كَلَّا إنّ كتاب الابرار لفى عِلّيِّينَ وما أدراك ماعِلّيُّونَ) فن قال هــذه قنسرونَ و يبرونَ فنسب الى واحدة منهما رجلا أو شيأ قال هذا رجل قنسرىّ و يبرىّ بحذف النون والواو لمجىء حرف النسب ولو أثبتهما لـكان فى الاسم رفعان ونصبان وجران لأن الياء مرفوعة والواو علامة الرفع ومن قال هــذه قِنَّسْرِينُ كما ترى قال فى النَسَب قِنّسْرِينِيّ لأنـ الاعراب

فى حرف النسب وانكسرت النون كما ينكسر كل مالحقه النسب وأما قوله وتَجّذنى مُدَاوَرةُ الشئون فمعناه فهّمَنِي وعرّفنى كما يقال حنّكَتْه التَجارِب والناجذ آخر الاضراس قلت وقال الأعشى فى نسبة الخمر الى صَرِيفين

صَرِيفِيّة طَيّبٌ طَعْمُها * لهــا زَبَد بَيْنَ كُوزٍ ودَن

وقيل لبعضهم أشهِدت صِــفّين قال نعم و بئست الصّفّون ولبيت الفرزدق الســابق سبب لطيف حاصله أن الحجاج رأى فى منامه أن عينيه قُلِعتا فطلّق الهِنْدَينِ هندا بنت المُهَلّب وهندا بنت أسماء بن خارجة فلم يَلْبَث أن جاءه نَعِيّ أخيه من اليَمَن فى اليوم الذى مات فيه ابنه محمد فقال هذا والله تأويل رؤياى ثم قال إنّا لله وأنّا اليه راجعون محمد ومحمد فى يوم واحد

حَسْـــبِى بقاءُ الله عن كل ميّت * وحســبِى رجَاء الله مِن كل هالكِ
اذا كان ربّ العرش عَنِّى راضيا * فانّ شفاء النفس فيما هُنَــالِكِ

وقال مَن يقول شعرا يُسَلّيِنِي به فقال الفرزدق

انّ الرّزيّة لا رزية مِثْلها * فِقْــدانُ مثـلِ محمــد ومحمــد
مَلِكانِ قد خَلَت المَنَابِرُ منهــما * أَخَذَ الحِمَــامُ عليهما بالمَرْصَــد

فقال لو زَوَّدتَنى فقال الفرزدق

انِّى لَبَاكٍ على ابْنَىْ يُوسُفٍ جَزَعًا * ومِثْــلُ فَقْدِهما للدِّين يُبْكِينى

ماسد حىّ الخ

فقال له ماصنعتَ شيئًا وانمــا زدتَ فى حَزَنِى فقال الفرزدق

لئن جزع الحَجّاج مامن مُصيبة * تكون لِمَحْــزونٍ أَجَلّ وأَوْجَعا
من المصطفَى والمصطفى من خِيارهم * جَنَاحَيْــه لَمّــا فارقَاه فَــودّعا
أَخٌ كان أغْنَى أَيْمَنَ الارضِ كلّه * وأغنى ابنُه أهلَ العراقين أجْمعا
جَنَاحا عُقَــاب فارقاه كِلَاهُما * ولو نُزِعا من غــيره لتَضَعْضَعا

فقال الحجاج الآن لَمّــا وافق مافى نَفْســه قوله جناحيه بدل من المصطفَيْن اللذين عطفهــما كما عطف الحجاج عَلَمَيْهِــما وفى ذلك من الادب والفضــل مالا يخفى ونظيره

فى موافقـــة مافى النفس أن عبد الملك بنَ مروان قال يوما لجلسائه وكان يجتنب غـير الادباء أىُّ المَنَاديل أفضل فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرْقِىء البَيض وقال آخر مناديل اليَمَن كأنها أنوار الربيع فقال الخليفة ماصنعتما شيأً أفضل المناديل ماقال أخو تميم يعنى عَبْدة بن الطبيب

لمَّا نَزَلْنا نَصَبْنا ظِلَّ أخْبيةٍ * وفار للقوم باللحم المَرَاجيـــل
وَرْدٌ وأشْـــقَرُ مايُؤْنِيه طابِخُه * ماغَيَّرَ الغَلْىُ منه فهو مأكول
ثُمَّتَ قُمْنَا الى جُرْدٍ مُسَـــوَّمةٍ * أعرافُهـــن لِأَيْدِينا مَنَــادِيل

الغرقِىء القشر الرقيق تحت القشر الاعلى من البيض أما الاعلى فاسمه القَيْض وبَيَاضُه آحٌّ وصُفْرتُه ماحٌّ والمراجيل المَرَاجل أشْبَعَه كالصَيارِيف يقول نحن أصحاب صَيْد لايؤنِّخر طابِخُنا اللحمَ فهو مأكول بلونيه المذكورين ولا يغيّره الغَلْىْ ومن عاداتِهِم عدم انضاج اللحم لاســتحبابه لديهم أو لتعجيل القِرَى والمسومة المُعْلَمَة أو التى أسِميت فى المَرْعَى وأصل هذا المعنى لامرئ القيس فى بيت واحد مع فضل التقدم وهو قوله

نَمُشّ بأعراف الجياد أكُفَّنا * اذا نحن قُمْنا عن شِواءٍ مُضَهَّب

ضَهَّبه شَوَاه ولم يُبَالغ فى نُضْجه ونَمُشّ نَمْسَح ويقال لِلْنديل المَشُوش والصَّيد مهِمّ لديهم كالحَرْب ولذا لم يكونوا يتركون الطِيب مع شـــدة ولوعهم به الا فى الصيد والحرب قال النابغـــة

سَهِكِين مِن صَدَإِ الحديد كأنهم * تحْتَ السَّـــنَوَّرِ جِنةُ البَقّار

السنوّر لَبُوس مِن قِدّ كالدِرْع وجملةُ السلاح والبَقّار موضِع برَمْل عالِج كثير الجِنّ والجِنة الجِنّ قال الله تعالى وهو أصدق القائلين من الجِنة والناس وقال آخر

وأسْيافُكم مِسْكٌ تَحُلُّ أكُفّكم * على أنَّهــا رِيحَ الدِماء تَضُوع

ويعجبنى من مُقْتَرَحات الملوك أنّ مَلك الروم وَجَّه الى معاوية رضى الله تعالى عنـه انّ الملوكَ قبلك كانت تراسل الملوك مِنّا ويجْهَد بعضُهم فى أن يُغْرب على بعض أفتأذَن فى ذلك فأذِنَ له فوجَّه اليـه برجلين أحدُهما طويل جَسِيم والآخر أيِّدٌ أى قَوِىّ فوجّه الى قَيس بن سعد بن عُبادة الانصارى رضى الله تعالى عنهما وكان طويلا فنزع سراويلَه

فلبسها العِلْج فبلغت ثَنْدُوَته فأطرق مغلوبا فليم قيس على خَلْعه سراويلَه وقيل له هلا وجهتَ الى غيرها فقال

أَرَدْتُ لِكَيْما يَعلمَ النـاسُ انّها * سراويلُ قيس والوُفودُ شُهود
وأن لايقولوا غابَ قَيْسٌ وهذه * سراويلُ عاديٍّ نَمَتْـه ثَمُـود
وإنّى من القوم اليَمَانِينَ سَيّدٌ * وما الناسُ إلّا سَـيّد ومَسُود
وبَذَّ جَميعَ الخَلْقِ أصْلى ومَنْصِبِى * وجسمٌ به أعلُو الرجالَ مَديد

وكان قيسٌ سِناطا فكانت الانصار تقول لَوَددنا أنّا اشترينا له لِحْية بأنصاف أموالنا والسِنَاط والسَنُوط أن يكونَ فى الذَقَن شئ من الشَعر ولا يكونَ فى العارضين فان لم يكن فى الجميع فهو الثَّطُّ ثم وجّه الخليفة الى محمد بن الحَنَفية أخى الحسين لابيه عليهم السلام نَخْبِرَ بما دُعِى له فقال قولوا له ان شاء فليجلس وليعطِنى يَدَه حتى أقيمَه أو يُقعِدَنى وان شاء فَلْيَكُن القائم وأنا القاعد فاختار العِلج الجلوسَ فأقامه محمد وعَجزَ هُو عن اقعاده ثم اختار أن يكون محمد هو القاعد بجذبه فأقعده وعجز الرومى عن اقامته فانصرفا مغلوبين ووجه ملِك الروم مرة أخرى الى معاوية بقارورة وقال ابعث الىّ فيها من كل شئ فبعث الى ابن عباس فقال لِتُمْلأْ له ماء فلما وصلت الملك قال لله أبوه ما أدهاه فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك فقال لقول الله عز وجل (وجعلنا من المـاء كل شئ حىّ) وقيـل لجعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين ما طعم المـاء فقال طعم الحياة وحدِّثْ عن أهل بيت النبوّة ولا حرج

الرسالة السابعـــة

(كتاب عهد أمير المؤمنين محمد الأمين ابن الرشيد لاخيه عبد الله المأمون ونصها)

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبـدالله هرون أمير المؤمنين كتبه له محمد بن أمير المؤمنين هرون فى صحةٍ مِن بَدَنه وعَقْله وجَوَازٍ من أمْره وطائعا غير مُكْرَه انّ أمير المؤمنين هرون وَلّانِى العهد من بعده وجعل لى البيعة فى رقاب المسلمين جميعا وولّى أخى عبدالله ابن أمير المؤمنين هرون العهدَ والخلافة وجميعَ أمور المسلمين بعدى برضاء منى وتسـليم طائعـا غـير مكره وولّاه خراسان بثغورها وكورها وجنودها وخراجها وبريدها وبيوت

أموالها وصدقاتها وعشورها وجميع أعمالها فى حياته وبعد وفاته فشرطت لعبدالله أخى علىّ الوفاءَ بما جعل له أمير المؤمنين هرون من البيْعة والعهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين بعدى وتسـليم ذلك له وما جعل له من ولاية خُرَاسانَ وأعمالِها وما أقطعه أمير المؤمنين هرون من قطيعة وجعل له من عقدة أو ضـــيعة من ضِياعه وعُقَــده أو ابتاع له من الضِياع والعُقَد وما أعطاه فى حياته وصحته من مالٍ أو حُلىّ أو جوهر أو متاع أو كسوة أو رقيق أو منزل أو دواب قليلا أو كثيرا فهو لعبدالله بن أمير المؤمنين مُوَفَّرا عليه مُسَلَّما له وقد عرفت ذلك كله شيئا شـيئا باسمه وأصنافه ومواضعه أنا وعبدالله بن هرون أمير المؤمنين فان اختلفنا فى شئ منــه فالقول فيه قول عبد الله أخى ابن هرون أمير المؤمنين لا أتْبَعه فى شئ من ذلك ولا آخذه منه ولا أنتَقِصه صـغيرا ولا كبيرا من ماله ولا من ولايته خراسان وأعمالها ولا غيرها مما ولاه أمير المؤمنـين من الاعمال ولا أعْزِله عن شئ منها ولا أخلعُه ولا أستبدل به غيره ولا أقدِّم عليــه فى العهد والخلافة أحدا من الناس جميعا ولا أُدخِل عليه مكروها فى نفسه ولا دَمه ولا شَعَره ولا بَشَره ولا خاصّ ولا عامّ من أموره وولايته ولا أمواله ولا قطائعه ولا عُقَده ولا أغيّر عليه شـيئا بسبب من الاسباب ولا آخذُه ولا أحدا من عُمّاله وكُتّابه ووُلاة أمْره ممن صحبه وأقام معه بمحاسبة ولا أتتبع شيئا ممـا جرى على يديه وأيديهم فى ولاية خراسان وأعمالها وغيرها ممـا ولاه أمير المؤمنين فى حياته وصحته من الجباية والاموال والطراز والبريد والصدقات والعُشْر والعُشُور وغير ذلك من ولايتها ولا آمر بذلك أحدا من الناس ولا أرخّص فيه لغيرى ولا أحدِّث نفسى فيه بشئ أُمضِيه عليه ولا ألتمس قطيعتَه ولا أنْقُص شيئا ممـا جعل له هرون أمير المؤمنين وأعطاه فى حياته وخلافته وسلطانه من جميع ماسميت فى كتابى هذا وآخذ له علىّ وعلى جميع الناس البَيعةَ ولا أرخص لاحد من الناس كلهم فى خلعه ولا فى مخالفته ولا أسمع من أحد من البرية فى ذلك قولا

ولا أرضى بذلك فى سر ولا علانية ولا أُغمِض عليه ولا أتغافل عنه ولا أقْبَل من برّ من العباد ولا فاجر ولا صـادق ولا كاذب ولا ناصح ولا غاشّ ولا قريب ولا بعيـد ولا أحد من ولد آدم عليه السلام من ذكر وأنثى مَشُورةً ولا مَكيدة ولا حِيـلة فى شئ

من الامور سرها وعلانيتها وحقها وباطلها وظاهرها وباطنها ولا سبب من الاسباب أريد بذلك افسادَ شئ مما أعطيتُ عبدَ الله بن هرون أمير المؤمنين من نفسى وأوجبتُ له علىّ وشرطتُ وسمّيتُ فى كتابى هذا وانْ أراد به أحد من الناس أجمعين سوأ أو مكروها أو أراد خلعه أو محاربته أو الوصول الى نفسه ودمه أو سلطانه أو حرمه أو ماله أو ولايته جميعا أو فُرَادَى مُسرّينَ ذلك أو مظهرين له أن أنصره وأحُوطه وأدفع عنه بما أدفع عن نفسى ومهجتى ودمى وشعرى وبشرى وحرمى وسلطانى وأُجَهّز الجنودَ اليه وأعينه على كل من أعتته وغشّه وخالفه ولا أُسلِمه ولا أخْذُله ولا أتخلى عنه ويكون أمرى وأمره فى ذلك واحدا أبدا ما كنتُ حَيّاً وان حدث بأمير المؤمنين هرون حدث الموت وأنا وعبد الله ابن أمير المؤمنين بحضرة أمير المؤمنين أو أحدنا أو كنا غائبين عنه مجتمعَينِ كُنّا أو مُفْترقَين وليس عبدالله ابن أمير المؤمنين فى ولايته بخراسان فعلىّ لعبدالله ابن أمير المؤمنين أن أمضيه الى خراسان وأسلّم له ولايتها وأعمالها كلها وجنودها ولا أعوقه عنها ولا أحْبسه قِبَلى ولا فى شئ من البلدان دون خراسان وأعجل اشخاصه اليها واليًا عليها وعلى جميع أعمالها مُفْرَدا بها مفوّضا اليه جميع أعمالها كلها وأُشْخِص معه جميعَ مَن ضَمّ اليه أميرُ المؤمنين من قُوّاده وجُنُوده وأصحابه وكُتّابه وعُمّاله ومَوَاليه وخَدَمه ومَن تَبِعه من صنوف الناس بأهليهم وأموالهم ولا أحبس عنه أحدا منهم ولا أُشْرِك معه فى شئ منها أحدا ولا أرسل عليه أمينا ولا كاتبا ولابُنْدَارا ولا أضرب على يديه فى قليل ولا كثير وأعطيتُ هرون أمير المؤمنين وعبدالله بن هرون علىّ ماشرطتُ لهما على نفسى من جميع ماسَمّيتُ وكتبتُ فى كتابى هذا عهدَ الله وميثاقَه وذِمّةَ أمير المؤمنين وذمتى وذِممَ آبائى وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله عز وجل على الانبياء والمرسلين وخلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه والأيمانَ المؤكّدة التى أمر الله عز وجل بالوفاء بها ونهى عن نَقْضها وتبديلها فانْ أنَا نقضتُ شيأ مما شرطت لهرون أمير المؤمنين ولعبدالله بن هرون أمير المؤمنين وسَمّيتُ فى كتابى هذا أو حدّثت فى نفسى أن أنقض شيأ مما أنا عليه أو غَيّرتُ أو بدّلتُ أو أحدثتُ أو غَدَرتُ أو قبلتُ ذلك من أحد من الناس صغيرا أو كبيرا برّا أو فاجرا ذَكرا أو أنثى جماعة أو فُرادَى فبرئتُ من الله سبحانه ومن ولايته ومن دينه ومن محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقيتُ الله عز وجل يوم القيامة كافرا به مشركا وكل امرأة هى اليوم لى أو أتزوجها الى ثلاثين سنة طالق ثلاثا البتة طلاقَ الحَرَج وعلىّ المَشْىُ الى بيت الله الحـرام ثلاثين حَجّة نذرا واجبا لله تعـالى فى عنق حافيا راجلا لايقبـــل الله منى إلا الوفاء بذلك وكل مالٍ هُوَ لِى اليومَ أو أملكه الى ثلاثين سنة هَدْىٌ بالغُ الكعبة الحرام وكل مملوك هو لى اليوم أو أملكه الى ثلاثين ســنة أحرار لوجه الله تعـالى وكل ماجعلتُ لامير المؤمنـين ولعبدالله بن هرون أمير المؤمنين وكتبتُه وشرطتُه لهما وحلفت عليه وسّميت فى كتابى هـذا لازمٌ لى الوفاء به لاأضمر غيره ولا أنوى إلا اياّه فان أضمرتُ أو نويتُ غيره فهذه العهود والمواثيق والايمـان كلها لازمة لى واجبـة علىّ وقوّاد أمير المؤمنين وجنوده وأهل الآفاق والامصـار وعوامّ المسـلمين بَرَاء من بَيعتى وخلافتى وعهـدى وولايتى وهُمْ فى حِلّ مِن خَلْعى واخراجى من ولايتى عليهم حتى أكون سُوقة من السُوَق وكرجل من عَرْض المسلمين لاحقّ لى عليهم ولا ولاية ولا تَبِعة لى قِبَلَهم ولا بيعة لى فى أعناقهم وهُم فى حِلّ مِن الاَيمان التى أَعْطَوْنى بَرَاء من تَبِعتها ووِزْرها فى الدنيا والآخرة ثم الشهود ثم التاريخ وهو ذو الحجة سنة ١٨٦

اعلم أولا أن ولاية الرشيد كانت سنة ١٧٠ ووفاته سنة ١٩٣ وفيها تولى ولده محمد الامين صاحب هذا الكتاب وفى سنة ١٩٨ قتله طاهر بن الحسين وفيها تولى أخوه عبدالله المأمون وهذه المعاهدة ظاهرة المعنى لاتحتاج مفرداتها الى تفسير وسببها أن الرشيد كان يريد تثبيت الملك فى نصابه أى بنى العباس وأن لايزاحمهم فيه دخيل من الاعاجم لما كان يأثره عن آبائه من ازماع حدوث فتن تسيل فيها الدماء فشَخَص من الرَّقّة يريد الحج يوم الاثنين لسبع ليال بقِين من رمضان المعظم سنة ست وثمـانين ومائة ومعه جميع وزرائه وقرابته ووليا العهد فَعَدل الى المدينة المنوّرة من الرَبَذة وأقام بها يومين لم يصنع فى أولها شيأ الا الصلاة فى المسجد والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر فى اليوم الثانى وهو فى المقصورة حِيال المِنبر بدفاتر العطاء فأخرج لاهل العطاء ثلاثة أعطية بدأ بنفسه فنودى باسمه ووزن له عطاؤه ثم بالامين والمأمون وبنى هاشم ثم أصبح غاديا الى مكة المكرمة فمكث طويلا فى جوف الكعبة المشرفة ثم دعا الامين فكلمه طويلا ثم المأمون كذلك

ثم دعا وزراءه والهاشميين ودعا يحيى بن خالد ولم يكن حاضرا فأُتى به مُعْجَلا وبجعفر بن يحيى ثم كَتب وَلِيَّا العهد كل واحد منهما على نفسه كتابا فكتب الامين هـذا الكتاب وكتب المأمون الكتاب الآتى شرحه كل منهما بخط يده وأشهد عليهما أولئك الحاضرين والقضاة ووُضِـع الكتابان فى قَصَبتين من ذهب مكللتين بفصوص اليـاقوت والزبرجد واللؤلؤ وضَمَّنهما الحَجَبةَ واستخلفهم على حفظهما وصيانتهما وأن يعلقوهما فى وقت الحج منشورين فلم يزالا فى جوف الكعبة المكرمة حتى مات الرشيد وبعد موته بسنتين فى خلافة الامين فأمر بتمزيقهما وحرقهما لمـا عزم على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد وجعلها لولدٍ له صبىّ عُمْرُه خمس سـنين فجهّز لحربه ابن ماهان وجهز المأمونُ طاهرَ بن الحسين فقتل ابن ماهان وانهزمت جيوشه وحوصرت بغداد سنة جرى فيها من العجائب مالا يوصف حتى قُتِـل الأمين واستتبت الخلافة للمأمون ثم كَتَب على تاج كابل شاه الذى أهداه مع سريره للكعبة المكرمة مانصه

بسم الله الرحمن الرحيم أمر الامام المأمون أمير المؤمنين أكرمه الله بحمل هذا التاج من خراسان وتعليقه فى الموضع الذى عُلِق فيه الشرطان فى بيت الله الحرام شكرا لله على الظَفَر بمن غدر وتبجيلا للكعبة اذ اسـتخفّ بها مَن نَكَث وحلّ ما أكد على نفسه فيها ورجا الامام عظيم الثواب من الله عز وجل بسـده الثلمة التى اجترمها المخلوع فى الدين فانه قد كان جريئا على الغدر والاستخفاف بما أكد فى بيت الله وحرمه وتوخى الامام تذكير من تنفعه الذكرى ليزيدهم به يقينا فى دينهم وتعظيما لبيت ربهم وتحذيرا لمن استخف وتعدى فانما علّقْنا هذا التاج بعد غدر المخلوع واخراجه الشرطين واحراقه اياهما فاخرجه الله من ملكه بالسيف وأحرق محلته بالنار عبرة وعظة وعقوبة بمـا كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد وبعد عقد الامام المأمون أكرمه الله بخراسان لذى الرياستين الفضل بن سهل وتوليته اياه المشرق وبلوغ الراية السوداء بلاد كَابُل ونهر السند وتصيير مهرب بنى دومى كابل شاه سريره وتاجه على يد ذى الرياستين الى باب الامام المأمون أمير المؤمنين واسلام كابل شاه وأهل طاعته على يدى الامام بمرو أمر الامام جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا أن يدفع السرير الى بيت مال المسلمين بالمشرق ويعلق التاج فى بيت الله

الحـرام بمكة و بعث به ذا الرياسـتين والى الامام على المشرق ومدبر خيوله وصاحب دعوته بعد ما اجتمع المسلمون على طاعة الامام المأمون أمير المؤمنين أكرمه الله ووفوا له بوفائه بعهد الله وأطاعوه بتمسكه بطاعة الله عز وجل وكانفوه بعمله بكتاب الله واحيائه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرّوا به من المخلوع لغدره ونكثه وتبديله والحمد لله رب العالمين معز من أطاعه ومذل من عصاه ورافع من وفى وواضع من غدر وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم كتب الحسن بن سهل صنوذى الرياستين فى سنة تسع وتسعين ومائة هذا

و بعد أن حج الرشـيد حجته تلك أوقع بالبرامكة عام سـبعة وثمـانين ومائة ولم يكن لذلك الايقـاع من سبب مهما أطال المؤرخون فيـه سوى الضّنّ بالخلافة ان تتغلب عليها الاعاجم وقد وقع فى مدة ولده المعتصم أنْ أفرَط فى الخَدَم وأكثر من المماليك حتى أفضت الحالة الى استبدادهم على العباسـيين وغلبتهم على الخلافة وانقطعت الصوائف فى أوائل القرن الرابع وهى جمع صائفة أى الجيوش التى تغزو فى الصيف كل سنة وترتب على انقطاعها تقوية العدوّ واسـترجاعه كثيرا ممـا أُخِذ منه والله يؤتى ملكه من يشاء

و بعد فكثير من ألفاظ هذه المعاهدة مكرَّر وفيها من الجُمَل مايُغنِي بعضه عن بعض غير أن ذلك لايقدح فى الفصاحة لكونه الشأن فى المواثيق والتوثيق أى أنه يجب أن لايكتفى فيها بالالتزام وأن يحترز عما يقبل التأويل والاحتمال ولو أدّى الى التطويل والتكرار حفظاً للحقوق أن يتطرق اليها التلاعب وتجتذبها أيادى الشهوات نعم ان ذلك التطويل لم يكن معهودا فى زمن النبوة ولا فى الصدر الاول لان كمال النفوس اذ ذاك كاف عن ذلك الاحتياط مغن عن كل احتراز أما الآن فكثيرا ماتختلف الافهام فى المعاهدات بين الدول و يترتب على ذلك مشكلات ربما أفضت الى الحروب ومنشأ ذلك الادماج والتعمية والولوع بالاختصار

الرسـالة الثـامنـــة

عهد أمير المؤمنين المأمون لاخيــه الامين

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبدالله هرون أمير المؤمنين كتبه عبد الله بن هرون امير المؤمنـين فى صحة من عقله وجواز من أمره وصدق نية فيما كتب فى كتابه ومعرفة

مافيه من الفضل والصلاح له ولاهل بيته ولجماعة المسلمين ان أمير المؤمنين هرون
ولّانى العهدَ والخلافة وجميع أمور المسلمين فى سلطانه بعد أخى محمد بن هرون أمير
المؤمنين وولانى فى حياته وبعده ثغور خراسان وكُوَرها وجميع أعمالها من الصدقات
والعشر والعشور والبريد والطراز وغير ذلك واشترط لى على محمد ابن أمير المؤمنين الوفاء
بما عقد لى به من الخلافة والولاية للعباد والبلاد بعده وولايتى خراسان وجميع أعمالها
ولا يعرض لى فى شئ مما أقطعنى أمير المؤمنين أو ابتاع لى من الضياع والعقد والدور
والرباع أو ابتعت لنفسى من ذلك وما أعطانى أمير المؤمنين هرون من الاموال والجوهر
والكساء والمتاع والدواب فى سبب محاسبة لاصحابى ولا يتبع لى فى ذلك ولا لاحد منهم
أبدا ولا يُدْخل علىّ ولا على أحد ممن كان معى ومنّى ولا عُمّالى ولا كُتّابى ومن استعنت به
من جميع الناس مكروها فى دم ولا نفس ولا شعر ولا بَشَر ولا مال ولا صغير ولا كبير
فأجابه الى ذلك وأقرّ به وكتب له به كتابا وكتبه على نفسه ورضى به أمير المؤمنين هرون
وقبله وعرف صدق نيته فشرطت لعبد الله هرون أمير المؤمنين وجعلت له على نفسى
أن أسمع لمحمد بن أمير المؤمنين وأطيعه ولا أعصيه وأنصحه ولا أغشه وأوفى ببيعته
وولايته ولا أغدر ولا أنكث وأنفذ كتبه وأموره وأحسن موازرته ومكانفته وأجاهد
عدوّه فى ناحيته بأحسن جهاد ما وفى لى بما شرط لى ولعبد الله هرون أمير المؤمنين
وسماه فى الكتاب الذى كتبه لامير المؤمنين ورضى به أمير المؤمنين وقبله ولم ينقص
شيأ من ذلك ولا ينقض أمرا من الامور التى اشترطها لى عليه هرون أمير المؤمنين وان
احتاج محمد بن هرون أمير المؤمنين الى جند وكتب الىّ يأمرنى باشخاصهم اليه أو الى
ناحية من النواحى أو الى عدوّ من أعدائه خالفه أو أراد نقص شئ من سلطانه وسلطانى
الذى أسنده هرون أمير المؤمنين الينا وولاناه أن أنفذ أمره ولا أخالفه ولا أقصر فى شئ
كتب به الىّ وان أراد محمد ابن أمير المؤمنين أن يولى رجلا من ولده العهد والخلافة
من بعدى فذلك له ما وفى لى بما جعل لى أمير المؤمنين هرون واشترط لى عليه وشرطه
على نفسه فى أمرى وعلىّ انفاذ ذلك والوفاء به ولا أنقض ذلك ولا أغيره ولا أبدّله ولا
أقدم قبله أحدا من ولدى ولا قريبا ولا بعيدا من الناس أجمعين الا أن يولى هرون امير

المؤمنين أحدا من ولده العهد بعدى فيلزمنى ومحمدا الوفاء بذلك وجعلت لامير المؤمنين هرون ولمحمد ابن أمير المؤمنين علىّ الوفاء بما اشترطت وسميت فى كتابى هـذا ماوفى لى محمد ابن أمير المؤمنين بجميع مااشـترط لى هرون أمير المؤمنين عليه فى نفسى وما أعطانى أمير المؤمنين هرون من جميع الاشـياء المسماة فى الكتاب الذى كتبه له وعلىّ عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتى وذمم آبائى وذمم المؤمنين وأشدّ ما أخذ الله عز وجل على النبيين والمرسـلين وخلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه والايمـان المؤكدة التى أمر الله عز وجل بالوفاء بها فان أنا نقضت شيأ ممـا شرطت وسميت فى كتابى هذا أو غيرت أو بدّلت أو نكثت أو غدرت فبرئت من الله تعـالى ومن ولايته ومن دينه ومن محمد رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم ولقيت الله سبحانه يوم القيامة كافرا مشركا به وكل امرأة هى اليوم لى أو أتزوّجهـا الى ثلاثين سـنة طالق ثلاثا ألبتة طلاق الحرج وكل مملوك لى اليوم أو أملكه الى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله تعالى وعلىّ المَشْىُ الى بيت الله الحرام الذى بمكة ثلاثين حجة نذرا واجبا علىّ وفى عنقى حافيا راجلا لايقبـل الله منى الا الوفاء به وكل مال هو لى اليوم أو أملكه الى ثلاثين سـنة هَدْىٌ بالغ الكعبة وكل ماجعلته لعبدالله هرون أمير المؤمنين وشرطت فى كتابى هـذا لازم لى لاأضمر غيره ولا أنوى سواه انتهى وقد سبق فى عهد أخيه الإمين مافيه الكفاية لهذا العهد فليراجع

الرسالة التاسـعه

للبديع الهمذانى اجابة لشيخه أبى الحسن بن فارس صاحب المجمل فى اللغة عن كتاب يشكو فيه الزمان وهذا نصها

(نعم أطال الله بقاء الشيخ انه الحَمَأ المَسْنون وان ظَنّت الظنون) الضمير من قبيل هى العرب تقول ماشاءت يريد أن الانسان اذا كان عنصره من المـاء والطين فليس ببدع أن يكدّر صفاؤه ويملولح ماؤه وكثيرا مانرى زمرة تلاءمت طباعهم وتصافت نفوسهم وأحدقت بهـم المسرة وشملهم الانس وتلألأت وجوههـم بالبشر يبتهجون باللقـاء وينتهجون سـبل الصـفاء فاذا طرقتهم طارقة أو لمعت لهم بارقة تفرّقوا أيادى سـبا وتبدّل صفوهم كدرا وبشرهم عبوسا وتعاضدهم خذلانا سيان فى ذلك السفيه والحليم

واللئيم والكريم والخفيف والرزين والطاش والوقور وان تفاوتت فيهم بالقرب والبعد وعظم الطوارق وحتمارتها وقد أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومى

واعلم بأنّ النـاس من طينة * يصدق فى الثلب لها الثالب

لولا علاج الناس أخلاقهم * اذاً لَفَـاح الحَمَـأ اللازب

(والناس لادم وان كان العهـد قد تقادم) يعنى أنهـم ذرية مَن وُصفَ فى الكتاب المجيد بالمخالفة ظاهرا وعدم العزم على عصمته وجلالة مكانته وعلو منزلته فكيف بهم وقد كثروا فى دار مزاحمة وقرار مشـقة ومكان تنافس فيما يراه كل منهم دون أمله وأدنى من بغيته ولا يخفاك مافى هذا من سوء الادب مع صدوره من أديب ولكن اذا طغى القلم زلت القدم نسأل الله الحفظ والسلامة ممـا يوقع فى الملامة (فالاسـتاذ يقول فسد الزمان ولا يقول متى كان صالحا أفى الدولة العباسـية وقد رأينا أولهـا وسمعنا آخرها أم فى الدولة المروانيـة وفى أخبارها لاتَكْسَح الشَوْلَ بأَغْبارها) تنديد على ماادّعاه شيخه بدعوى عراقة الفساد واصالته واستمراره واستشهد عليه بجميع ماسنشير اليه وابتدأ بذكر هاتين الدولتين ذاهبا من عصره الى العصور الخوالى منوها بما حصل فى هاتين الدولتين ممـا تناقلتـه أيدى الرواة ولهجت به ألسن التواريخ ممـا ينوء بذوى البصـيرة تصويبه ويتعسر على المهرة تحقيقه فاللائق امعـان النظر فى تحرّى الصواب والوقوف مع الحق فها هو عبدالملك بن مروان يروى عنـه الامام مالك رضى الله عنـه ورواية مثل هذا الامام الجليـل وهو من الدين والتحرى والنصح للامة بمكانة مكينـة حُكْم بعدالة مَن رَوَى عنـه وتقواه ونزاهة جانبه وها هو أبو جعفر المنصور كتب الى الامام مالك تَعَلَّمْ انه ليس على وجه الارض أعلم منى ومنك بالسنة وقد شغلنى ماأنا فيه فَضَعْ للناس كتابا تجنب فيه تشديدات ابن عمر ورُخَص ابن عباس فوضع مالك الموطأ فمن كانت رتبتهم فى العـدالة والتقوى والعلم والحرص على الدين هكذا كيف يصح مانسب اليهم وانمـا منشأ ذلك أنه عرضت بين طوائف الناس منافسة شـديدة أفضت بهم الى المقـارعة وأدّتهم الى المقاتلة ليتحقق ماأخبر عنه الصادق المصـدوق ماالفَقْرَ أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تَنَافَسُوها فيضربَ بعضُكم رقابَ بعض ثم نشأ من ذلك مفاسد عظيمة

منها كذب بعض أفراد كل طائفة على الاخرى بما يوافق هوى طائفته ويؤيد أمرها ويحط من قدر الاخرى فمن متعصب لبنى أميــة غاضٍ من بنى هاشم ومن متعصب لبنى هاشم مُسْرِف فى الطعن على بنى أميــة ومن منتصر لبنى العباس ناف عن العَلَويين المعروفين بالفاطميين تلك النســبة الشريفة إلى غير ذلك مما غصّت به كتب التاريخ فالحق أن تكون مع الحق فتلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نلوّث به ألسنتنا نسأل الله الوقاية من الزلل والسلامة من الخلل والخطل ثم هذا لايصادم مارآه البديع من الفساد مستدلا عليه فانه اذا دارت رحى الحرب بين طائفتين أو قتــل شخص شخصا أو صرف أحد أحدا عما يستحقه فأحد الجانبين غير مصيب وقوله لاتكسع الخ صَــدْر بيتين للحرث بن حِلِّزة وهما

لاتَكْسَع الشَوْلَ بأغبارها ❊ انك لاتدرى مَن النــاتِج

واحلُبْ لأضيافك ألبانَها ❊ فانّ شرّ اللَبَن الوالِج

الكسع رش ضرع الحلوبة بمــاء بارد ليمتنع اللبن فتتوفر على الحيوان المــادة وبذلك يقوى ويظهر فيه السمن والشَوْل كقَوْل جمع شائلة وهى من الابل ما أتى عليها من حملها أو وضعها ســبعة أشهر بجف لبنها والغُبْر بمعجمة فموحدة كقُفْل بقيــة اللبن فى الضرع والناتج فى الحيوان كالدايَة فى الانسان والوالج أراد به مايبقى فى الناقة فيــدخل منبثا فى أجزائها يعنى لاتُعَزِّر إبِلَك تطاب بذلك قوة نسلها واحلُبْها لاضــيافك فلعل عدوّا يُغير عليها فيكون نتاجها له دونك وقال الخليل هذا مَثَل وتفســيره اذا نالت يدك من قوم شيأ بينك و بينهم إحْنــة فلا تُبْق على شئ انك لاتدرى مايكون فى الغد كذا فى تاج العروس فعلى الاول يكون الغرض الحث على الانفاق فى وجوه البر فقــد كان الواحد من أجواد العرب يأنف أن يربّى أموالَه استكثارا قائلا لست قهرمانا يتعهد اصلاح ما تحت حوزته من المــال ادخارا وانمــا أرى أن ليس يبقى للانسان إلاحســن الذكر وطيب الحــديث ومما يُتَظَرَّف به فى هذا المعنى قول الامام الشافعى رضى الله عنه

يالَهْفَ نفسى على مال أفــرّقه ❊ على المُقِلّيــن من أهل المُــروآت

ان اعتذارى الى من جاء يسألنى ❊ ماليس عندى من احدى المِصيبات

وعلى تفسير الخليل يكون من قبيل ماقيل فى صفة خطباء المنابر فى ذاك العصر من الملوك أوتوابهم

وذموا لنا الدنيا وهم يحلبونها * أفاويق حتى مايدرّ لنا ثعل

بمثلثة فمهلة كقفل زيادة فى أطباء الناقة تشبه الخلف لايخرج منها لبن أى لايتركون للناس شيأ (أم فى السنين الحربية) (والسيف يغمد فى الطلى والرمح يركز فى الكلى والحرّتان وكربلا) أراد بالسنين الحربية مدة أمير المؤمنين معاوية رضى الله تعالى عنه وابنه اليزيد عامله الله بما يستحق وولده معاوية الاصغر الذى ولى الخلافة أربعين يوما ثم خلع نفسه زهدا فى الدنيا ورغبة فى رضاء الله ومنه انتقلت الخلافة الى فرع الحكم وأولهم مروان ولذا لم يعبر هنا بالدولة والطلى كربى الاعناق أو أصولها جمع طلية كغرفة أو طلاة بضم ففتح مقصورا والكلى جمع كلية كمدية ومدى وهى الكلوة والحرتان قيل موضع فى جهة المدينة المنوّرة كان به من بعث يزيد الى أهلها حيث أنكر عليهم أمورا لاتوافق هواه من المقاتلة ما كان لكن الذى فى القاموس وتاجه والحرّة أرض وهى بظاهر المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهى التى تعرف بحرّة واقم بها حجارة كبيرة سود وبها كانت وقعة الحرّة من أشهر الوقائع فى الاسلام فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة أيام يزيد بن معاوية عليه من الله مايستحق ورضى عن أبيه وذلك حين أنهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال من بالمدينة من الصحابة والتابعين وأمّر عليهم مسلم بن عقبة المرّى أخزاه الله تعالى وعقيبها هلك يزيد اه فما أدرى من أين جاءت التثنية ومن معجزات القرآن الكريم ماصح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى آية ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها انه جاء تأويلها على رأس ستين سنة فى بنى حارثة لادخالهم أهل الشام المدينة المنورة فى تلك الواقعة وكربلا بفتحتين بينهما سكون الموضع الذى قتل فيه الحسين رضى الله عنه (أم فى البيعة الهاشمية والعشرة برأس من بنى فراس) يريد بيعة علىّ كرم الله وجهه ويشير الى قوله وقد ضجر من اخلال أصحابه بأوامره الا بنى فراس بن غنم فانهم كانوا معه من البسالة والاقدام حيث يحب ليت لى بالعشرة منهم واحدا من بنى فراس (أم فى الايام الأموية والنفير الى الحجاز والبعوث على الاعجاز) يشير الى ما حصل فى عهد أمير المؤمنين عثمان بسبب

استعماله أقاربه وقد كان أعطى العهد عند البيعة أن يسير بسيرة الشيخين رضى الله عنهما وكان من جملتها التوقى من ذلك حتى كان بنو عدىّ قوم عمر أفقر الناس مدّة خلافتـه وبنو تيْم قوم أبى بكر كذلك ولقد طلب منـه طلحة وهو تيمى اقطاع ناحية فقال حتى يرضى عمر ويعطيك به خطه فأبى عمر فقال لابى بكر ماأدرى أأنت الخليفة أم عمر فقال عمـر الا أنه أنا فسار كذلك عثمان مدّة ثم بدا له استعمال أقاربه لما رأى أنه أضبط للسياسة وأن أحق الناس بمعروف الانسان أقاربه فنشأ من ذلك مفارقة الناس وكلما استرضاهم زادوا نفورا وتناولوه بالمكروه وتألب فريق منهم عليه وأفضى به الحال الى أن صار شهيد الدار قتيل حجج تمسك بها من استحل دمه من المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون (أم فى الامارة العدوية وصاحبها يقول وهل بعد الطلوع الا النزول أم فى الخلافة التيمية وهو يقول طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام) يشير بالعدوية الى خلافة عمر وبالتيمية الى خلافة أبى بكر رضى الله عنهما وكان قول أولهما فى معنى بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء ونأنأة الاسلام أوائله من نأنأت الصبى أحسنت غذاءه وأجدت تربيته قالا ذلك لما رأيا من تغير الحال عما كان فى عهد الرسالة (أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يافلانة فقد ذهبت الامانة) يشير الى ماروى أن بعض السيدات فقدت يوم فتح مكة عقدا لها فطلبته فلم تجده فسألت احدى صواحبها فقالت هذه المقالة متأسفة على ضياع ماهو أجل أسباب العمران بدونه لاتلذ حياة ولا يهنأ عيش وهو الامانة وهى التحفظ على حق الغير فوق حق النفس حكى أن فقيرا بمكة قالت له زوجته وكانت صالحة ليس عندنا طعام فخرج الى الحرم فوجد كيسا فيه ألف دينار ففرح به شديدا وأخبرها فقالت له لقطة الحرم لاتملك فنادِ عليها فنادى فسمع صاحبها يقول من وجد كيسا فيه ألف دينار فقال أنا وجدته فقال هو لك ومعه تسعة آلاف دينار فقال الرجل أتهزأ بى فقال لا والله ولكن أعطانى رجل من أهل العراق عشرة آلاف دينار وقال اطرح منها ألفا فى الحرم ثم ناد عليها فان ردّها واجدُها فادفع له الجميع فانه أمين والامين يأكل ويتصدّق فتكون صدقتنا مقبولة لامانته فوازنْ بين هذا وبين قاضى مَعَرّة النعمان استودعه تاجر وديعة ولما حضر من غيبته بعد مدّة طالبه فأنكر فاستشفع اليه برؤساء البلد فلم يزالوا به حتى أقرّ وادّعى أنها سرقت من حرزه فاستحلفه فحلف وفى مثله قيل

اذا خان الامـــير وكاتبـاه * وقاضى الارض داهَنَ فى القضاء
فويـــل ثم ويـــل ثم ويـــل * لقاضى الارض من قاضى السماء

أم فى الجاهلية ولبيد قال

مات الذين يعـاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

مثل هذا القول يصدر ممن درج أقرانه وبقى فى احداث

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بـلاد بهـا كنا ونحن من آهلها * اذ النـاس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى عن آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبّر قبيح

أحد أبيات قالها لمّا قتل قابيلُ هابيلَ وفى ظنى أنها تعريب ماقاله بغير العربية (أوقيل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء) لايذهب عليك ماسلف فى آدم عليه السـلام (مافسد الناس وانمـا اطرد القياس ولا أظلمت الايام وانمـا امتد الظلام) أى لم يحدث فساد بعد ان لم يكن ولم يطرأ ظلام فى الايام بعد استنارتها بل هما دائما حاصلان (وهل يفسد الشئ الا عن صلاح ويمسى المرء الا عن صباح) أى لايقال للشئ انه فسد الا ان كان قبـل صالحا ولا أمسى أى دخل فى المساء الا ان كان قبـل فى الصباح ومغزى الكلام كله ماتضمنه قول القائل

كل من فى الكون يشكو دهره * ليت شـعرى هـذه الدنيا لمن

الرسـالة العاشرة

(شرح رسالة ابن زيدون الجِدّية)

ابن زيدون هو أبو الوليد أحمد ابن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومى الاندلسى القرطبى من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبـة أثنى عليـه ابن بَسّام فى الذخيرة وابن خاقان فى قلائد العقيان وكان أولا قد انقطع الى ابن جَهْوَر أحد ملوك الطوائف المتغلبين بالاندلس نخف عليـه وتمكن منه واعتمد عليه فى السفارات بينه وبين ملوك الاندلس فأعجب القوم به وتمنوا ميـله اليهم لبراعته وحسن سـيرته فاتفق أن نمّ عليه ابن جهور

وحبسه فاستعطفه بهذه الرسالة وبأمثالها فلم يغن ذلك عنه شيأ ففرّ من محبسه واتصل بابن عباد المعتضد صاحب اشبيلية سنة ٤١٤ فلم يزل عنده وعند ابنه المعتمد قائم الجاه وافر الحرمة الى أن توفى باشبيلية سـنة ٤٦٣ وكان له ولد يقـال له أبو بكر تولى وزارة المعتمد وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد رحمهم الله تعالى أجمعين وله الرسالة التى كتبها على لسان وَلّادة بنت المستكفى الى الوزير أبى عامر بن عبدوس الملقب بالفار وشرحها ابن نباتة وطبع ذلك الشرح بمصر وله يخاطب أبا الحزم بن جهور

قل للوزير وقد قطعتُ بمـدحه * عمرى فكان السجن منـه ثوابى
لاتخش لائمـتى بمـا قد لُمْتَـه * من ذاك فىّ ولا تَوَقَّ عتـابى
لم تُخْطِ فى أمرى الصوابَ مُوَفَّقا * هـذا جزاء الشـاعر الكذاب

ومن هذا القبيل قول الإِبِيْوَرْدِى

وقصائدٍ كَحُلَى الرِيَاشِ أضعتُها * فى باخل ضاعت به الاحساب
واذا تناشـدها الرواة وأبصروا الـ * ممدوحَ قالوا شاعـر كذاب

وقول غـيره

ووعدتنى فظننت أنك صـادق * فجعلت من طمع أجىء وأذهب
فاذا حضرت أنا وأنت بمجلس * قالوا مُسَيْلِمَةٌ وهـذا أشـعب

ولما فرّ من سجن ابن جهور كتب الى بعض أصحابه رسالة يعتذر فيها من فراره وهذه فَلْذة منها أبدأ أوّلا بسرح الضرورة الحافزة الى ماصنعت اذ بلغنى أنك أحد اللائمين لى ومن أمثالهـم هانَ على الاملس مالاقَى الدَبِر وأعاتبـك على انفصالك عنى وبراءتك أَمَدَ المحنة منى عسى أن تتلافى عَوْدًا على ماصنعت بَدْأ وقد كنتَ فى ذلك كدابغةٍ وقد حَلِمَ الاديم فمنفعة الغوث قبل العَطَب وفى علمك أنى سجنت مغالبة بالهوى وهو أخو العمى وقد نهى عنه تعالى فقال (ولا تتبع الهوى) الآية وشهِدَ علىّ فلان الناشر لأُذُنيه طمعا ليأكل بيديه جَشَعا وقال فكان القول ماقالت حذام وليتنى مع قبول مالا تحل شهادته علىّ يُعْذَر فيه الىّ ولم يُقْرَن الحشف بسوء الكِيلة وكنت أوّل حبسى بموضع جرت العادة بوضع مستورى الناس وذوى الهيئات منهم فيه وفى الشرّ خيار وبعضه أهون من بعض

ثم نُقِلْت بعد حيث الجُنَاة المفسـدون واللصوص المقيدون ومنع منى عوّادى فشكوت الى الحاكم الحابس لى فصَمّ عنى ولو ذات سِوارٍ لَطَمَتْنِي

(وانك لم يَفْخَرْ عليك كفاخرٍ * ضعيف ولم يغلبك مثلُ مُغَلَّب)

ولم أستطع صبرا وعلمت أن العاجز من لايستبدّ فالمرء يعجز لامحاله ولم أستخِرْ أن أكون ثالثَ الاذَلَّيْنِ العَـيْرِ والوَتِدِ وذكرت أن الفرار من الظلم والهرب ممن لايطاق من تشريع المرسلين وقد قال تعالى على لسان موسى عليه السلام (ففررت منكم لمـا خفتكم) فنظرت فى مفارقة الوطن اذ قديما ضاع الفاضل فى وطنه وكسد العلق العبيط فى معدنه كما قال

(أضيع فى معشرى وكم بلد * يُعَدّ عُود الكَباء مِن حَطَبه)

فاستخرت الله تعالى فى انفاذ العزم وأنا الآن بحيث أمنت بعض الامن اه

وهذه رسالته الجدية نثبتها أوّلا بتمـامها ثم نشرح منها مايحتاج الى الشرح ونصها

يامولاى وسيدى الذى ودادى له واعتمادى عليه واعتدادى به وامتدادى منه ومن أبقاه الله ماضىَ حدّ العزم وارِىَ زَنْد الاَمَل ثابت عهد النعمة ان سلبتنى أعزك الله لباس نعمائك وعطلتنى من حلى ايناسك وأظمأتنى الى بُرُود اسعافك ونفضت بى كف حياطتك وغضضت عنى طرف حمايتـك بعد أن نظر الأعمى الى تأميلى لك وسمع الاصم ثنائى عليك وأحس الجماد باستحمادى اليك فلا غرو قد يغصّ المـاءُ شارِبَه ويقتل الدواء المستشفِي به ويؤتَى الحَذِر من مأمنه وتكون مَنِيّة المتمنِّي فى أُمْنِيّته والحَيْنُ قد يسبق جهدَ الحريص

كل المصائب قد تمر على الفتى * وتهون غير شمـاتة الحساد

وانى لاتجلد وأُرِى للشامتين أنى لريب الدهر لاأتضعضع فأقول هل أنا إلّا يدٌ أدْماها سِوارها وجبين عَضّ به إكْليله ومَشْرَفِى الصـقه بالارض صاقله وسَمْهَرِىّ عرضـه على النار مُثَقِّفُه وعَبْدٌ ذهب به سيّده مذهب الذى يقول

فقسا لِيَزْدَجِرُوا ومن يكُ حازما * فلْيَقْسُ أحيانا على من يرحم

هذا العَتْب محمود عواقبه وهذه النَبْوَة غَمْرة ثم تنجلِي وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تَقَشّع ولن يَريبَنى مِن سيدى أن أبطأ سَيْبُه أو تأخر غير ضنين غَناؤه فأبطأُ الدِلاء فيضا

أملؤها وأثقل السحائب مشيا أحفلها وأنفع الحيا ماصادف جدبا وألذّ الشراب ما اصاب غليلا ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب له الحمد على اهتباله ولا عتب عليه فى اغتفاله

فان يكن الفعل الذى ساء واحدا * فأفعاله اللاتى سرَرْن ألوف

وأعود فأقول ماهـذا الذنب الذى لم يسـعه عفوك والجهل الذى لم يأت من ورائه حلمك والتطاول الذى لم يستغرقه تطولك والتحامل الذى لم يف به احتمالك ولا أخلو أن أكون بريئا فأين العدل أو مسيئا فأين الفضل

إلا يكن ذنب فعدلك واســـع * أوكان لى ذنب ففضـــلك أوسع

فهبنى مسيئا كالذى قُلْتَ طالبا * قصاصا فأين الاخذُ ياعَزُّ بالفضل

حَنانَيْـك قد بَلَغَ السَّـــيلُ الزُبَى ونالنِي ماحَسْـى به وكفى وما أرانى إلّا لو أُمِرتُ بالسجود لآدم فأبيت واسـتكبرت وقال لى نوح اركب معنا فقلت سآوى الى جبـل يعصمنى من المـاء وأُمِرتُ ببناء صرح لعلّى أطلع الى اله موسى وعكفت على العِجْل واعتديت فى السبت وتعاطيت فعقرت وشربت من النهر الذى ابتُلِي به جيوش طالوت وقُدت الفيلَ لأبرهة وعاهدت قريشا على مافى الصحيفة وتأولت فى بيعة العقبة ونفرت الى العير ببدر وانخزلت بثلث الناس يوم أحد وتخلفت عن صلاة العصر فى بنى قُرَيظة وجئت بالافك على عائشة الصديقية وأنِفت عن امارة أسامة و زعمت ان خلافة أبى بكر كانت فَلْتــة وروَّيتُ رمحى من كتيبة خالد ومزقت الاديم الذى باركت يد الله عليــه وضَحَّيت بأشمط عنوان السجود به و بذلتُ لقَطَامِ

ثلاثة آلاف وعَبْد وقَينة * وضرب علىّ بالحسام المسمم

وكتبت الى عمر بن سعد أن جَعْجِع بالحسين وتمثلت عند مابلغنى من وقعة الحَرَّة

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

ورجمت الكعبة وصلبت العائذَ على الثنيـــة لكان فيما جرى علىّ مايحتـمل أن يكون نَكَالا ويُدْعَى ولو على المجاز عقابا

وحسبك من حادث بامرئ * ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذَنْبَ الانميمة أهداها كاشح ونَبَأ جاء به فاسق وهُم الهمّازون المشّاؤن بنميم

والواشون الذين لايلبثون أن يصدعوا العصا والغُواة الذين لايتركون أديما صحيحا والسُعاة الذين ذكَرهم الاحنف بن قيس فقال ماظنك بقومٍ الصِدقُ محمود الاّ منهم

حَلَفْتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً * وليس وراء الله للمرء مذهبُ

والله ماغششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغيــة اليك ولا نصبْت لك بعد التشيّع فيك ولاأزمعتُ يأسا منك مع ضمانٍ تكفلَت به الثقةُ عنك وعهدٍ أخذَه حُسْنُ الظن عليك ففِيمَ عَبث الجفاء بأَذِمّتى وعاث العقوقُ فى مَوَاتّى وتمكّن الضَياع مِن وسائلى ولِمَ ضاقت مذاهبى وأكْدَتْ مَطالِبى وعلاَمَ رضِيتُ من المَرْكَب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب وأَنّى غَلَبنِى المُغلَّب وبجر علىّ العاجزِ الضـعيف ولطَمَتْنِى غيرُ ذات سِوار ومالَكَ لم تمنع منّى قبلَ ان أُفْتَرَس وتُدْرِكْنى ولمّـا أُمَزَّق أم كيف لاتَتَضرّم جوانحُ الاكْفاء حَسَدًا لِى على الخصوص بك ولتَقطّع أنفاسُ النُظَراء مُنَافسـة فى الكرامة عليك وقد زانَنِى رَسْمُ خِدْمتــك وزَهَّانِى اسمُ نعمتك وأَبْلَيْتُ البَلاَء الجميـلَ فى سِمـاطك وقمتُ المقام المحمود فى بِساطِك

أَلَسْتُ المُوَالِى فيك غُرَّ قصائد * هى الانجمُ اقتادت مع الليــل أنجُما

ثناء يُظَنّ الروضُ منـه مُنَــوّرا * ضُحًى ويُخَـال الوَشْىُ فيـــه مُنَمْنَما

وهل لِبس الصــباحُ الاّ بُرْدًا طرّزتُه بفضائلك وتقلدت الجوزاء الاّ عقدًا فَصَّلتُه بمآثرك واستَمْلَى الربيع الاّ ثناءً مَلأْتُه فى محاسنك وبَثّ المِسكُ الاّ حديثا أذعتُه فى محامدك مايومُ حليمةَ بسِرّ وان كنتُ لم أكْسُك سَليبا ولا حَلّيتك عُطُلا ولا وسَمْتُك غُفْلا بل وجدتُ آجُرّا وجصّا فَبَنيْتُ ومكانَ القول ذاسَعةٍ فقُلْتُ حاشَا لك أن أُعَدّ من العاملة الناصـــبة وأكونَ كالذُبالة المنصوبة تُضِئ للناس وهى تحترق فلك المثل الأعلى وهو بى وبك أولى ولعمرك ماجهلتُ انّ صريحَ الرأى أن أتحوّلَ اذا بَلَغَتْنِى الشمس ونَبَابِى المنزل وأصـفحَ عن المطامع التى تُقَطّع أعناقَ الرجال فلا أستوطِئ العَجْز ولا أطمئن الى الغُرور ومن الامثال المضروبة خامِرِى أمّ عامر وانى مع المعرفة بأن الجَلاَسِبا والنُقْلة مُثْله

ومن يغترب عن قومه لم يزل يَرَى * مَصارِعَ مظـــلوم مَجَرًّا ومَسْحَبا

وتُدْفَن منـــه الصالحاتُ وان يُسِئْ * يكُنْ ماأساء النارَ فى رأس كَبْكَبا

عارفٌ أن الادبَ الوطنُ لايُخشَى فراقُه والخليطُ لايُتوقَّعُ زِيالُه والنَسيبُ لايَخْفى والجمَال لايُخْفَى ثم ماقِرانُ السعدِ للكواكب أبْهى أَثَرًا ولا أثنى خَطَرًا من اقتران غنَى النَفْسِ به وانتظامها نسقا معه فان الحائز لها الضارب بسهم فيهـما وقليل ماهم أينمـا توجه ورد منهَلَ بِرّ وحطّ فى جانب قَبول وضُوحِكَ قبل انزال رَحْله وأُعْطِىَ حُكْمَ الصبىّ على أهله

وقيل له أهلا وسهلا ومرحبا * فهذا مبيت صالح ومقيـل

غير أن الوطن محبوب والمنشأ مألوف واللبيب يحن الى وطنه حنينَ النجيب الى عَطَنه والكريم لايجفو ارضا فيها قوابله ولا ينسى بلدة فيها مراضعه قال الاول

أَحَبُّ بــلاد الله مابينَ مَنْعِج * الىّ وسَلْمَى أن يَصُوب سَحَابُها
بلاد بها حلّ الشبابُ تمـائمى * وأَوَّلُ أرضٍ مَسَّ جلْدِى ترابُها

هذا الى مُغالاتى بعقد جوارك ومنافستى بلحظة من قربك واعتقادى ان الطمع فى غيرك طَبَع والغِنى ممن سواك عَنَا والبَدَل منك أعْوَر والعِوض لَفَاء وكل الصـيد فى جوف الفرا

واذا نظرتُ الى أميرى زادنى * ضَــنًّا به نظرى الى الامراء

وفى كل شجرٍ نارٌ واسـتَمْجَد المَرْخ والعَفار فمـا هذه البراءة ممن يتولاك والمَيْــلُ عمن لايميل عنك وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ورضاك فيمن رضاه لك

يامن يعــز علينا أن نفارقهــم * وِجْدَاننا كلَّ شئ بَعــدكم عَدَم

أعيذك ونفسى مِن أن أشِـيم خُلَّبا واستمطر جَهاما وأُكرِم غيرمُكْرِم وأشكو شكوى الجريح الى العِـقبان والرَخَم فمـا أَبْسَسْتُ لك الّا لِتَـدُرّ وحرّكتُ لك الحُوَارَ الّا لتحنّ ونبّهتك الّا لِانام وسَريتُ اليـك الّا لأحْمَدَ السُرَى لديك وأنّك ان سَـنَّيْتَ عَقْد أمْرِى تيسّر ومتى أعْذَرْتَ فى فَكّ أَسْرى لم يتعـذّر وعلمك محيط بأن المعـروف ثمرة النعـمة والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه يعود صدقة

واذا امرؤ أهدى اليك صنيعة * من جاهــه فكأنهـا من ماله

لعلّى أُلقِى العصا بذُراك وتستقر بى النوى فى ظلّك واستأنف التأديب بأدبك والاحتمال على مذهبـك فلا أوجد للحاسـد مجَالَ لَحْظه ولا أدع للقادح مَسَاغ لفظه والله مُيسّرك

من اطّلابى بهذه الطَلبة وإشكائى من هذه الشكوى بصنيعة تصيب منها مكانَ المَصْنع وتستودعها أحفظَ مُستودَع حسب ما أنت خليق له وأنا منك حرىّ به وذلك بيده وهيّن عليه ولما توالت غرر هذا النثر واتّسقت دُرره فهزّ عِطْفَ غُلَوائه وجرّ ذيل خُيَلائه عارضه النظم مباهيا بل كايده مداهيا حين أشفق من أن يَعْطفك استعطافُه وتميلَ بنفسك ألْطافه فاستحسنَ العائدةَ منه واعتدّ بالفائدة وما زال يستكد الذهنَ العليلَ والخاطرَ الكليل حتى زَفّ اليك منه عروسا مجلُوّة فى أثوابها منصوصة بحُليّها ومَلابِها

الهوى فى طلوع تلك النجوم * والمُنَى فى هُبوب ذاك النسيم
سَرَّنا عَيْشُنا الرقيقُ الحَواشى * لو يدوم السرور للمستديم
وطَرٌ ما انقضَى الى أن تقضّى * زمنٌ ماذِمامُه بالذميم
اذْ خِتامُ الرِّضا المُسَوَّغ مِسْكٌ * ومِزاجُ الوصال من تسنيم
وغَريضُ الدَلال غَضٌّ جَنَى الصَبْوةِ نَشْوانُ مِن سُلاف النعيم
طالمَا نَافَرَ الهوى منه غِرٌّ * لم يَطُلْ عهدُ جِيدِه بالتميم
زارَ مستخفيا وهيهات أن يخفَى سَنَا البدرِ فى الظلام البهيم
فَوَشَى الحَلْىُ إذ مَشَى وهَفَا الطِيبُ الى حِسّ كاشحٍ بالنسيم
أيُّها المُوذِنِى بِظُلم الليالى * ليس يومى بواجد مِن ظَلُوم
قَمَرُ الأُفْق اذ تأمّلتَ والشمسُ هُمَا يُكْسَفانِ دون النجوم
وهو الدهرُ ليس ينفكّ يَنْحُو * بالمُصاب العظيم نحوَ العظيم
بوّأ اللهُ جَهْوَرًا أشرفَ السُودَدِ فى السَّرْوِ واللُباب الصميم
واحدٌ سَلَّم الجميعُ له الأمْر فكان الخُصوصُ وَفْقَ العُموم
قَلّدَ العُمْرُ ذا التجارِب فيه * واكتفَى جاهلٌ بعِلْم العليم
خَطَرٌ يقتضِى الكمالَ بنَوْعَىْ * خُلُقٍ بارعٍ وخَلْقٍ وسيم
أُسْوَةَ الرَوْضِ مَن بِطيبك يَحْظَى * نَظَرى ماأعتمدتُه وشميمى
أيُّهذَا الوزيرُ ها أنا أشكو * والعَصا بُدْءُ قَرْعِها للحليم
ماعَنانا أن يأنَف السابقُ المَرْ * بِطَ فى العِتْق منه والتطهيم

وثواءُ الحُسام فى الجَفن يَثْنِي * منه بعد المَضاء والتصميم
أفصبرٌ مِئِينَ خمسٍ مِنَ الايام ناهيك من عذابٍ أليم
ومُعنًّى من الضنَى بهنَاتٍ * نَكَأتْ بالكُلوم قرْحَ الكُلوم
سَقَمٌ لا أُعادُ منه وفى العا * ئد أُنْسٌ يَفِى ببرء السقيم
نارُ بغيٍ سعى الى جنة الامـ ـن لَظَاها فأصبحَتْ كالصَّريم
بِأبِى أنتَ إنْ تَشأْ تكُ بَرْدًا * وسلاما كنار ابراهيم
للشفيع الثناءُ والحمدُ فى صَوْ * ب الحَيا للرياح لا للغُيُوم
وزعيمٌ بأنْ يُذلَّ لِىَ الصَعْب مَثَانِى الى الهُمام الزعيم
وثناءٌ أرسَلْتُه سَلْوَةَ الظا * عِنِ عن شوقه ولَهْوَ المُقيم
ووِدادٌ يُغيِّر الدهرُ ماشا * ءَ ويبقَى بقاءَ عهد الكريم
فهو ريحانةُ الجليس ولا نَخْـ ـرَ وفيه مزاج كأس النديم
لم يَزَل مُغْضيا على هَفْوة الجا * نِى مُصيخًا الى اعتذار المُليم
ومتى تَبْدَأ الصنيعة يولعـ ـك تمام الخصال بالتتميم

وقال الاحنف بن قيس

ليس دهرى بواجد من ظَلوم * وبلائِى من حادث وقديم
ليس يُستنكَر النُحولُ لِمثلى * جَسَدى مُبتلًى بقلْب مَشُوم

ها كها أعزّك اللهُ يبسُطها الأمَل ويقبِضُها الخَجَل لها ذَنْبُ التقصير وحُرْمة الاخلاص فهَبْ ذَنْبا لِحُرْمة واشفَعْ نِعْمة بنعمة لتأتِىَ بذلك الاحسانَ من جهاته وتسلُكَ الى أفضل طُرُقاته ان شاء اللهُ تعالى

(الشـــرح)

(قوله يامولاى) يطلق المولى على معان منها ابن العم والحليف والمنعم والمعتق والعتيق فالمولى أعلى وأسفل فهو من الاضداد وللشافعى فيمن وقف على مواليه ثلاثة أقوال أحدها أن يصرف للأعلى والثانى الى الاسفل والثالث يشرك بينهم وعليه الفُتْيا ويقدّم المولى على السيد لصنع العرب كما قالت الخنساء

وانّ صخرا لمَولانا وسيّدُنا * وانّ صخرا اذا نَشْتُو لَنَحّار
وانّ صخرا لتأتمّ الهُداةُ به * كأنه عَلَمٌ فى رأسه نار
حامى الحقيقة محمود الخليقة مَهْدِىّ الطريقة نَفّاع وضَرّار

ولا يقدح فى ذلك مايروى عن أبى عثمان المازنى قال رأيتُ أبا فرعون العَدَوِىّ ومعه ابناه فى سِكّة العَطّارين بالبَصْرة وهو يقول

بُنَيَّتَىّ صابِرا أبا كما * انكما بِعين مَن يَرَاكُما
اللهُ ربّى سيّدِى مولاكما * ولو يشاء عنهم أغناكما

اذ لاعَطْف فيه فلا ترتيب كما لاترتيب فى قوله تعالى (غافِرِ الذّنْب وقابل التَوْب) مع ان قبول التوب أوّلا ولان البلاغة ذكر الأعَمّ ثم الأخَصّ قال تعالى (فيهما فاكهة ونخل ورمّان) وقال تعالى (من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) والمولى أعمّ كما تقول ياصاحبى ياأخى ياحبيبى وقد استدل المعتزلة على تفضيل الملائكة على الانبياء من السمعيات بقوله تعالى (لن يستنكف المسيح) الآية قالوا لان البليغ لايقول لاأفكر فى السلطان ولافى الوزير والصحيح مذهب أهل السنة وتوجه الآية الكريمة والله تعالى أعلم بأن الاخصية فى المعطوف انما جاءت فى هذا المقام بخصوصه من كون الملك روحانيا بحتا وفى ارشاد امام الحرمين مانصه القول فى نبوّة مولانا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتقول العرب ان من نعت السيد أن يكون لَحِيا ضَخْم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعد واذا أقبل ملأ العين مهابة لان حقه أن يكون فى صدر مجلس أو ذروة منبر أو منفردا فى موكب ويجوز اطلاق المولى والسيد على الله تعالى وقد نطق بالاول القرآن الكريم فى غير موضع وورد بالثانى حديث رواه الامام البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات بسنده الى مُطَرّف وهو ابن عبد الله ابن الشِّخّير قال قال لى أبى انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أنت سيدنا فقال السيد الله فقلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طَوْلا الحديث قال السهيلى والذى أقول فى السيد أنه يعتبر بالاضافة لانه فى أصل الوضع بعض مايضاف اليه تقول فلان سيد قيس اذا كان منهم ولا تقول فى قيسىّ هو سيد بنى تميم فكذلك لاتقول الله تعالى سيد الناس ولا الملائكة وانما يقال

ربهم فاذا قلت سيد الارباب وسيد الكُرَماء جاز لانّ معناه أعظم الارباب وأكرم الاكرمين وقد منع أن يطلق عليه ذو السُودَد فأما قول حَسّان يرثى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى جنة الفردوس فاكتبها لنا ❊ ياذا الجلال وذا العلا والسودد

فلا حجة فيه لان رسول الله صلى الله عليه وســـلم لم يسمعها فيقرّها اه ونظر فيه بأن الخلفاء الراشدين والصحابة المهتدين سمعوها وأقروها ولم ينقل الينا ان أحدا منهم أنكرذلك وقد أتى بثلاثة من حروف الجرّ لتعدية الاسماء الثلاثة ودادى واعتمادى واعتدادى كل واحد بحرف مع اتفاق آخر تلك الاسمـاء ووزنِ الأخيرين وذلك هو الترصيع من أنواع البديع (قوله ماضِىَ حدِّ العزم الخ) المـاضى السـيف النافذ والعزم العزيمة ووَرَى الزَنْد خرجت ناره وقت الاقتداح والامل الرجا والثابت المتمكن والعهد الامان والمعنى والذى أبقاه الله وعَزْمُه ماضى الحدّ وأمَلُه وارِى الزَنْد ونعمتُه ثابتة العهد فهذه الجُمَل الثلاث واقعة موقع الحال وفيها ثلاث استعارات وهى المَضاء لحَدّ العزم لانه لايعزم على شئ الا أمضاه ونَفَذ فيه حَدّه ووَرْىُ زند الامل كانه لايؤمل شيأ الا وهو يرى نُوَره وثبات عهد النعمة لايتغير له ثبات نعمة بل هى محفوظة أبدا عليـه قال الصُولِى أخَذ الكُتّاب قولَهم وأتمّ نعمتَه عليه وزادها من قول عدِىّ بن الرِقَاع

صَلَّى الالهُ على امرِئ ودّعتُه ❊ وأتمّ نعمـتَه عليـه وزادها

(قوله واظمأْتنى الخ) البَرُود البارد والاسعاف الانجاد والنقض الطرح والحياطة الاحاطة بالشئ يقول وأعطشتنى الى برد اغاثتـك لى وانجادى وطرحتنى من كَفّ حوزك لى وقد وفّى ابن زيدون المقام حقّه من تعداد ماوجده من سلبه لباس نعمائه كقول الآخر

قال لى كيف أنت قلت عليل ❊ ســـهر دائم وحزن طـويل

وقول الآخر

لك الوُدّ الذى لاريب فيــه ❊ وان حدثت نَوَاك على التمادى

اذا كَرُمَتْ عهودُ المرءِ طبعا ❊ فأكرم ما يكون على البِعـاد

وقال الحمـاسى

أَسِجْنًا وقَيْدا واشتياقا وغُربةً ❊ ونَأْىَ حبيب ان ذاك عظيم

وانّ امرأً تبقَى مواثيقُ عهدِه * على مِثْل مالاقيتُه لكريم

والنَّوَى بمعنى البُعْد مؤنثة وأنشد القالى

فما للنوى لابارك اللهُ فى النوى * وهَمّ لَنَا منها كَهَمّ المُرَاهِن

ونَوَى قَرْيةٌ بالشام منها الامام النووى وفيه يقول الامام السبكى

وفى دار الحديث لطيفُ معنًى * أُطَوِّف فى جَوَانِبِه وآوِى

لَعَلِّى أن أَمُسّ بحُرّ وَجْهِى * مكانًا مَسّه قَدَمُ النَّــواوِى

(قوله بعد أن نظر الاعمى الى تأميلى لك) هذه مبالغة زائدة لان التأميــل أمر معنوى لاتشاهده العين وهو يشير الى قول المتنبى

أنا الذى نظر الاعمى الى أدبى * وأسمعت كلماتى مَن بِه صمم

من قصيدة مطلعها

واحَرَّ قَلْباهُ ممن قَلْبُه شَبِمُ * ومن بحالى وجسمى عنده سقم

وقف القاضى ناصر الدين ابن شافع على شئ من شعر الشيخ شرف الدين بن الوحيد فكتب اليــه

أرانا يراعُ ابن الوحيــد بَدَائعًا * تَشُوق بمــا قد أنجدَتْه من الطُرْق

بها فاتَ كلَّ الناس سَبْقا فحبّذا * يمينٌ له قد أحرزَتْ قَصَبَ السَبْق

فكتب اليه ابن الوحيد مدحا وشكرا

ياشافعا شَــفَع العُلْيا بحكْمَتــه * فسادَ مَن راح ذا علم وذا حَسَب

بانَتْ زيادةُ حَظّى بالسَمَاع له * وكانَ يحكيه فى الاوضاع والنسَب

فجاءنى منه مدحٌ صِيغ من ذهب * مُرَصّعا بل أتى أبهى من الذهب

فكدتُ أُنشِــد لولا نورُ باطنه * أنا الذى نظــرَ الاعمَى الى أدبى

وكان القاضى اذ ذاك قد أُضِرّ فتأذّى وقال

نعم نظــرتُ ولكن لم أجد أدبا * يامن غدا واحدا فى قِلة الادب

جازَيْتَ مَــدْحى وتقريظى بمَعْيَرةٍ * والعيب فى الرأس دون العيب فى الذَنَب

وزدتَ فى الفخر حتى قلتَ منتسبا * بحظــك اليابس المــرمى كالحَطب

بانت زيادة حظى الخ

كذبتَ واللهِ لن أرضـاه فى عُمُرِى * يابْنَ الوحيد وكم صنّفتَ مِن كذب

جازيتَ دُرّى وقد نضّـــدتُه كَلِمًـا * يَروقُ سَمْـع الورَى ردًّا بمَخْشَـلَبِ

وما فهـمتَ مرادى فى المديح ولو * فهمـــتَه لم تُوَجِّهـــه الى الادب

سأُتبِع القافَ ان جاوَبْت مفتخرا * بالراء يا غافلا عن سَـــورة الغضب

خالفتَ وَزْنِىَ عَجْـــزا والرَوِىّ مَعًا * وذاك أقبحُ مايُرْوَى عن العرب

المَخْشَلَب والمَشْخَلَب اللؤلؤ الكاذب

غير أن ابن الوحيد معذور اذ لايجد مِن ذاك الوزن ولا من تلك القافية مِثْلَ قول أبى الطيب أنا الذي نظر الاعمى الى أدبى وقد احترس فى قوله لولا نور باطنــه لكن لم يُفْدِه ذلك مع تسرع القاضى وقال أبو العلاء قاتل الله أبا الطيب كأنه كان يرانى الآن حتى قال أنا الذى نظر الاعمى الى أدبى (قوله وسمع الاصم ثنائى عليك وأحس الجمـاد باسنادى اليك) الاصم الذى لايسمع شـيأ وأحسّ من الاحساس وهو الادراك بالحواس الخمس والجماد كل ماليس بذى حياة كالحجر وفى اللغة الارض التى لم يصبها مطر وناقة جماد لالبن لها والاســناد فى الحديث أن ترفعه الى قائله يقول فعلت بى كل ذلك بعد مانظر الاعمى الى تأميلى لك وسمع الاصم ثنائى الذى كنت أثنيته عليك وأحس الجمـاد الذى لاادراك له ولا احساس برفع الحديث اليـك وفى بعض النسخ باستحمادى بدل اســنادى وهو اســتفعال من الحمد وهو معـلوم (قوله فلا غَرْوَ قد يُغَصّ المـاءُ شارِبَه ويقتـل الدواءُ المستشفِىَ به) هذه الفاء جواب الشرط فى قوله أول الرسالة إنْسلبتنى وقد هذه هى التى تدخل على الجمل للتقليل مثل قد يَكْبُو الجَوَاد وقد يَنْبُو الحُسَام وقد يَصْدُقُ الكَذُوب وقد يبخل الجواد وللبُحْتُرِىّ

تداوَيْتُ مِن لَيْلَى بلَيْلَى فما اشتفَى * بمـاء الرُبَى مَن بات بالمـاء يَشْرَق

وقد أخذ أصل المعنى من قول قَيس بن ذَرِيح

تداويت من ليلى بليلى من الهوى * كما يَتَداوَى شـاربُ الخمـر بالخمر

وقد أخذ هذا من قول زُهَير بن أبى سُلْمَى أو الاعشَى

وكأسٍ شَرِبْتُ على لذة * وأخرى تداويت منها بها

وهـذا البيت فى الذِرْوة وما جاء بعـده فهو دُونَه وقد أخذه أبو نُوَاس فأحسن حيث يقول

دَعْ عنك لَوْمى فانّ اللوم إغراء * ودَاوِنى بالتى كانت هى الداء

ومن كلام أَكْثَم بن صَيْفِى مَن فسـدت بطانته كان كمن غَصَّ بالمـاء أى لأنّ من غَصَّ بالطعام يلتجئ الى الماء واذا كان الماء هو الذى أغصَّه فلا حيلة له فكذلك بطانة الرجل وأهله اذا خانوه فسـد حاله ويقتـل الدواء المستشفى به كان المنصور الفاطمى اعتلّ علة طويلة فأراد دخول الحمّام فمنعه طبيبه اسحاق الاسرائيلى فأبَى ودخل الحمـام ففنِيَتْ الحرارة الغريزية ولازَمَه السَهَر فأقبل اسحاق يعالجه واشـتدّ الحال على المنصور فقال أمَا بالقَيْرَوان طبيب قالوا ههنا شاب قد نشأ يقال له ابراهيم فأحضره وشكا اليـه حاله فجمع له شيأ شمَّه فنام فخرج ابراهيم مسرورا وبلغ اسحاق فقال ان كان صنع له شئ ينام به فقد مات فدخلوا عليـه فوجدوه ميتا فأرادوا قَتْـلَ ابراهيم فقال ماله ذَنْب لانه داواه بما ذكره الاطباء لكنه جهل أصل المرض وما عرّفتموه أنى كنت أعالجه بتقوية الحرارة الغريزية وبها يكون النوم فلما عولج بالنوم أطفأها فمات (قوله ويؤتَى الحَذِر مِن مَأْمَنِه وتكون منيـة المتمنّى فى أُمْنِيّته) المعنى ظاهر والجملة الاولى معناها فى القرآن الكريم وهو قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما أُوتُوا أخذناهم بغتة) ولأبى العتاهية

وقد يَهْلِك الانسانُ من باب أَمْنه * ويَنْجُو باذن الله مِن حيث يَحْذَر

ولابن سناءِ الملك يمدح الملك الناصر ويَذْكُر الفرنج

والمليـك العظيم فيهم أسـير * مُسْتَضامٌ فاجعلْ له النارَ سِجْنا

يحسَـب النَوْمَ يَقْظةً ويَظُنّ الشخصَ طَوْدًا ويُبصر الشمسَ دَجْنا

كم تَمَـنَّى اللقاءَ حتى رآه * فتـمَنّى لو أنّه ما تمـنّى

ولمـا قُتِل الخليفة المقتدر واختلفوا فيمن يخلفه قام مُؤْنس المظفَّر فأحضر محمدا القاهر ابن أحمد المعتضـد فبويع بالخلافة عام ٣٢٠ فكان أوّل مَن قتَلَه القاهر وهذا ادريس ابو الأدارسـة خلفاء الغرب وهو ادريس بن عبدالله بن حسن بن على عليهم السـلام

لما غلب على الغرب بلغ الهادى فدسّ اليه الشّمّاخ اليَمَانى مَولى المهدى فأظهر أنه طبيب فأحضره ادريس وأقام عنــده مدّة حتى أنِس به فشكا اليه مَرَضا فى أســنانه فأعطاه سَفُوفا مسموما وقال اســتَنّ به طلوعَ الفجر وهرب من وقته فاستنّ به فمات ومرّ قوم بمــاء من مياه العرب فوُصف لهــم ثلاث أخَوات متطَبّبات فأحبّوا أن يَرَوْهُنّ فحكّوا ساقَ أحدهم بعُود حتى أدْمَوْه وقالوا هذا سَليم فخرجت صُغْراهنّ كأنها الشمسُ الطالعة فرأتْه فقالت ليس بسليم ولكن خَدَشــه عُود بالت عليه حَيّة فاذا طلعت عليه الشمس مات فكان كذلك وكان المُؤَمَّل بن أسيد بن أُمَيْل المُحَارِبى يهْوَى امرأة من أهل الحيرة يُقال لها هِنْد وفيها يقول قصيدتَه المشهورة وأوّلها

شَفّ المُؤَمّل يوم الحِيرة النَظَرُ * ليت المُؤَمّل لم يُخْلَق له بَصَر

ونام فرأى فى منامه رجلا أدخل أصبعيه فى عينيه وقال هذا ماتمنّيتَ فأصبح وهو أعمى ولبعضهم

تجرى الامور على وَفْق القضاء وفى * طىّ الحوادث محبــوب ومكروه
فربمــا ســـرّنِى مابِتّ أحْـــذَرُه * وربمــا ســاءنى مابتُّ أرجـــوه

(قوله والحَين قد يسبق جهدَ الحريص) الحَين الموت وهذا نصف بيت لِعدىّ بن زيد وهو

قد يدرك المُبْطِئ مِن حَظّــه * والحين قد يسبق جهد الحريص

(قوله كل المصائب) البيت هو من جملة أبيات قالها عبــدالله بن محمد بن أبى عيينة يعاتب ذا اليمينين وهى

مَنْ مُبْلِغٌ عنى الاميرَ رِســالةً * محصورةً عندى من الانشاد
وأظُنُّ لِى منها لديك خبيئةً * ستكون عنــد الزاد آخرَ زاد
مالِى أرَى أمْرِى لديك كأنه * مِن ثِقْله طَوْدٌ من الأطواد
كل المصائب قد تمر على الفتى * وتهون غــيرَ شمــاتة الحساد

(قوله وانى لأتجلّد وأُرِى للشامتين انى لاأتضعضع) التجلد تكلف الثَبات والصــبر والتَضَعْضُعُ الهَــدْم والخراب ومن أعظم ماوقع من الصـــبر ما كان من أم سليم امرأة

أبي طلحة الانصارى أصبح ولدها ميتا فى مُخدعه فهيَّأَتْ لزوجها فَطُورَه كعادتها كل ليلة فدخل فقال كيف الصبي فقالت بأحسن حال بحمد الله تعالى قد هَدَأَتْ نَفْسُه واستراح ثم أصاب منها فقالت له فى السَحَر ألم تَرَ الى آل فلان استعاروا عارِيّة فتمتّعوا بها فلما طُلبت منهم شَقّ عليهم قال ماأنصفوا فقالت انّ ابنَك كان عارِيّة من الله وانه قَبَضه فاسترجَعَ ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما فى ليلتكما قال راوى الحديث كما فى البخارى وغيره فرأيت لهما تسعةَ أولادٍ كلُّهم قد قرأوا القرآن وكلام ابن زيدون محلول من قول أبى ذُؤَيب الهُذَلى فى قصيدته التى يَرْثِى بها أولادَه

وتجلُّدى للشامتين أُرِيهمُ * أنى لرَيب الدهر لاأتضعضع

(قوله وهل أنَا إلَّا يَدٌ أدْماها سِوارُها وجَبينٌ عَضَّ به إكْليلُه) أدماها أسَالَ دَمَها والعَضّ ان كان بالاسنان كُتِب بالضاد المعجمة وان كان مجازا كعَظّه الزمانُ وعَظّه الحَرْب كتب بالظاء القائم والاكليل التاجُ يريد أنه يكابر نَفْسَه ويُريها الباطل حَقّا فلا يلوم أحدا فَعَل به ذلك وهو مأخوذ من قول أبى الطَّيّب

بَنُو كَعْب وما أثّرتَ فيهم * يَدٌ لم يُدْمِها إلا السّوارُ

لها مِن قَطْعه ألَمٌ ونَقْصٌ * وفيها من جلالته افتخار

وهذا من باب تحسين القبيح وهو باب واسع منه مااتّفق للعزيز الفاطمى أنْ تَسابَقَ مع وزيره بالحَمَام فسبَقَ حَمَامُ الوزير فأراد الخليفة الايقاعَ به فكتب اليه الوزير

قل لامير المؤمنين الذى * له العُلَى والمَثَلُ الثاقبُ

طائرُك السابق لكنّه * جاء وفى خِدْمته حاجب

فسَكَن غضبُه وكقول الآخر لمّا احترق الحرم الشريف النبوىّ على صاحبه أفضلُ الصلاة والسلام

لم يَحْترِق حَرَمُ النبي لِريبةٍ * تُخشَى عليه ولا هُنالك عارُ

لكنّها أيدى الروافِضِ لامَسَتْ * ذاكَ الضريحَ فطهّرَتْه النارُ

ولأبى الحسين الجَزّار فى ذلك من أبيات

لله فى النار التى وَقعتْ به * سِرٌّ عن العقلاء لا تُخْفيه
أن ليس يبْقَى فى فِنَاه بقِيَّةٌ * ممــا بَنَتــهُ بنُو أُمَيَّةَ فيه

وقال شاعر الحاكم

بالحاكم العَدْل أضحى الدينُ مُعتَليا * نَجْلِ العُلَى وسَليلِ السادة الصُّلَحا
مازُلْزِلَتْ مِصرُ من كَيْــدٍ يُرادُ بها * وانمــا رَقَصَتْ مِن عدلهِ فَرَحا

ولبعضهم

هى الآداب حَلْيٍ غــيرَ أنِّى * بحُرْقتها اضْطُرِرْتُ الى الصَّغار
كذاك لِمِعْصمِ الحَسْناء صَــبْرٌ * على ضِيق الخِناق من السِوار

(قوله ومَشْرَفى أُلْصِــقَه بالارض صاقِلُه وسَمْهَرِىٌّ عَرَضــه على النارِ مُثَقِّفُه) المَشْرَفى منسوبٌ الى مَشَارِف وهى قرية ولا يُنْسَب اليها على لفظها لأنّ الجُموع لا ينسب اليهـا على هــذا الوزن لا يقــال مَهَالِبِى ولا جَعَافِرى ولا عَبَاقِرى نعم قيــل مدائنى نســبة الى مدائن كِسْرَى لكن للفرق بينها وبين مدينة المنصور واصْفِهان وغيرهما فان النِّسْبة اليهما مدينى وللمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والســلام مَدَنِى والصاقل القَيْنُ الذى يَجْلو السيوفَ والسمهرىّ الرُمْح الصُلْب أو منسوب الى سَمْهَر وهو رجل كان يقوِّم الرماحَ مُثَقِّفُه مُقَوِّمه والتثقيف التقويم يقول انما أنا سيف وَضَعَه على الارض مَن يجلوه من الصدا وان كان يُحَمل على الكَتِف ورُمْحٌ عَرَضَه مُقَوِّمه على النار وذلك لمصلحة تعود على السيف والرمح فــا أعُدّ ذلك شَيْنا ولا عارا ولابى تمّــام

وما السَّــيْف إلّا زُبْرة لو تركْتَه * على الحالة الاولى لمَــا كان يَقْطع

ولابى فِرَاس الحَمْدانى

ولــئن بقِيتُ فانــنى * غَيْظُ العدَى طِفْلا وكَهْلا
ما كنتُ إلّا النصلَ أخـ * ـلصَهُ القُيُونُ فزاد فضلا
يَفْرِى رؤس عُــدَاته * ويَشُلُّهم بالضرب شَــلّا
ولــئن هلكتُ فانمــا * موتُ الكِرام الصيد قتلا

ولبعضهم يخاطب امرأته وهو محبوس

ألستِ تَرَيْنَ الخمرَ يَظهر حُسْنُها * وبهجتُها فى الحَبْس بالطين والقار
وما أنا إلا كالجَواد يَصُونه * مُقَوِّمه للسَّبْق فى طَىِّ مِضمار
أو الدُّرّةِ الزهراءِ فى قَعْرِ لُجَّة * فلا تُجتَلَى إلا بهول وأخطار
فلا تُنكِرِى طُولَ المَدَا وأذَى العِدَا * فانّ نهاياتِ الامور لإقصار
لَعَلَّ وراءَ الغيبِ أمْرًا يَسُرُّنا * يُقَدِّره فى عِلمه الخالقُ البارى

(قوله وعَبْدٌ ذَهَبَ به سيّدُه مذهبَ الذى يقول

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا ومَن يَكُ حازِما * فَلْيَقْسُ أحيانًا على مَن يَرْحَم)

الازدجار افتعال وهو مطاوع زجره من الزجر وهو المنع والحزم ضبط الانسان أمره والاخذ فيه بالثقة والمعنى انى أعُدّ نفسى عبدا ذهبَ بى سيدى فيما فعل بى مذهبَ الذى قال هذا البيت لانه يريد بذلك صلاحى وتأديبى فهو من رحمته بى قد قسا علىّ حتى أتأدبَ ولم تكُ القَسوة من شأنه وهذا البيب لأبى تمّام من قصيدة يمدح بها مالكَ ابن طَوْق وأوّلها

أرْضٌ مُصَرَّدةٌ وأُخْرَى تُثْجَم * منها التى رُزِقَت وأُخرَى تُحْرَم

يقول فى مديحها ولكثرة مافيه من الحِكَم وما يَصلُح أن يكون أمثالا تُضْرَب نقلْناه

ماهذه القُرْبَى التى لاتُصْطَفَى * ماهذه الرَحِم التى لاتُرْحَم
حَسَدُ القرابة للقرابة قَرْحَةٌ * أعيَتْ عوائدُها وجُرْحٌ أقدَم
تِلْكُمْ قريش لم تكن آراؤها * تَهْفُو ولا أحلامُها تتقَسَّم
حتى اذا بُعث النبىُّ محمَّدٌ * فيهم غدَت شَحْناؤهم تتضرَّم
عَزَبَتْ عُقولُهمُ وما مِن معشرٍ * الّا وهُم منه ألَبُّ وأحْزَم
لَمّا أقامَ الوَحْىُ بينَ ظهورهم * ورأَوْا رسولَ الله أحمدَ منهم
ومِن الحَزامة لو تكون حَزامة * ان لايُؤَخَّرَ من به يُتَقَدَّم
ان تَذْهَبُوا عن مالك أو تجهَلُوا * نُعْماه فالرَحِم القريبةُ تَعْلَم
هى تلك مُشْكاةٌ بكم لو تَشْتكِى * مَظلومة لو أنّها تَتَظَلَّم
كانت لكم أخلاقُه معسولة * فتركتُموها وهى مِلْحٌ عَلْقَم

حتى اذا أجنت لكم داوتــكم * من دائكم إنــ الثقاف يقوم
فقسا لترتدجروا ومن يك حازما * فليقس أحيـانا على من يرحم
وأخافكم كى تغمدوا أسيافكم * ان الدم المغـتر يحرســه الدم

(قوله وهذا العتب محمود عواقبه) يشير الى قول أبى الطيب

لعل عتبــك محمود عواقبــه * وربمـا صحت الاجسادُ بالعلل

(قوله وهذه النبوة غمرة ثم تنجلى وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع) النبوة من نبا السيف ارتفع عن الضريبة فلم يقطع فيها والغمرة الشدة وتنجلى تذهب وفى المثل غمرات ثم ينجلين والنكبة واحدة نكبات الدهر وتقشــع أى تتقشــع أى تقلع يسلى نفســه بهذا الكلام (قوله ولن يريبنى من سيدى أن أبطأ سحابه أو تأخر غير ضنين غناؤه) الريبة الشك والضنيــن البخيل والغناء بالفتح والمد النفع (قوله فأبطأ الدلاء فيضا أملؤها وأثقــل السحاب مشــيا أحفلها) أحفل من حفل الضرع اذا امتلأ (قوله وأنفع الحيا ماوافق جدبا وألذ الشراب ماأصاب غليلا) الحيا بالقصر المطر والجدب المحل والغليــل العطش بحرارة وهذا من حسن الاعتــذار عن المخــاطب فى اهماله الجواب وتركه الاجابة الى قصــده (قوله ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب) أصــل المثل العربى إنّ مع اليوم غدا يضرب فى تنقل الحــالات ولكل أجل كتاب لفظ القــرآن الكريم والاجل مدة الشئ والمعنى لكل شئ أجل مكتوب ومدة محدودة أو لكل أجل أجله الله تعالى كتاب أثبته فيــه لايتقدم عن مدته ولا يتأخر وقيــل هو من المقلوب ومثله كثير فى القرآن الكريم ومعناه لكل كتاب أجل ينزل فيه كقوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى وجاء الموت بسكرة الحق (قوله له الحمد على اهتباله ولا عتب عليــه فى اغتفاله) الاهتبال الاغتنام والاحتيال والاغتفال من اغتفلت الشئ تركتــه على ذكر منك أخذ يمدحه فى ابطائه عنه قوله

(فان يكن الفعل الذى ساء واحدا * فأفعــاله اللاتى سررنــ ألوف)

تأييد لما تقدم من حمده له وصبره على ابطائه والبيت لابى الطيب من أبيات كتب بها الى أبى العشائر الحســين بن حمدان (قوله وأعود فأقول ماهذا الذنب الذى لم يسعه

عَفْوُك والجهـل الذى لم يأت من ورائه حِلْمك والتطاوُل الذى لم يستغرقه تَطَوُّلك والتحامُل الذى لم يفِ به احتمالُك) التطاوُل من الطُول ضِدّ العَرْض والتطوّل من الطَوْل وهو الفضـل (قوله لاأخلو من أكون بريئا فأيْنَ عَدْلك أو مسيئا فأين فضلك) هذا إلزام للمخاطَب بأن يعترف له بأحد القسمين ويسمّى فى البـديع صحةَ التقسيم وجاء منـه فى القرآن الكريم قوله تعالى (يُرِيكم البَرْق خَوفا وطَمَعا) اذ ليس فى البرق سوى الخوف من الصواعق أو الطمع فى سُـقْيا الغَيث (قوله حَنَانَيـكَ قد بَلَغ السَـيْلُ الزُبَى ونالنى ماحَسْـبِى به وكَفَى) حنانيك تثنية حَنَان وتقول العرب حنانك يارب وحنانيك لكن غالب ماجاء فى كلامهم على لفظ التثنية قال طَرَفة

أبا مُنْـذرٍ أفْنَيْتَ فاسْتَبْق بَعْضَـنا * حنانيك بعضُ الشرّ أهْوَنُ من بَعْض

ونصـبه على معنى نَطْلُب رحمتَك والزُبَى جَمْع زُبْية وهى حَفيرة تُحْفَر للاسَـد اذا أرادوا صـيدَه وهى فى مكان مرتفع لايَعْلُوه الماءُ فاذا بَلَغها السَيْل كان جارِفا مُجْحِفًا (قوله وما أرانِى الا لو أُمِرْت بالسجود لآدم فأبَيْتُ واسـتكبَرْت وقال لى نوح اركب معنا فقلت سآوِى الى جَبَل يعصمنى من الماء وأُمِرْتُ ببناء صَرْح الى قوله وعاهـدت قريشا على مافى الصحيفة) ظاهر المعـنى أما مسألة الصحيفة فقد أوسـعنا الكلام عليها فى شرح قصـيدة أبى طالب وأما العَقَبة فَبَيْعاتُها ثلاث ولا يُعْلَم أنّ أحدا تأوّل فى احْداها فينبغى حينئذ تأويل كلام ابن زيدون بأنّ مُراده لو فُرِض أنه بعد مبايعته رسول الله صلى الله عليـه وسـلم نَقَضَ البيعةَ مُتَأوِّلا (قوله واسْتَنْفَرْتُ الى العِيرِ ببَدْر) قصـة بدر مشهورة ومراده ضَمْضَم بن عمرو الغِفارِى الذى بعثه أبوسفيان الى مكة مستنفرا قريشا لأموالهم (قوله وانخزلت بثلث الناس يومَ أُحُد) يشـير الى قصة عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول رأس المنافقين والقصـة مشهورة (قوله وروّيتُ رُمْحِى من كَتِيبة خالد) يشـير بذلك الى قول أَبِى شَجَرة السُلَمِىّ

وروّيت رمحى من كتيبة خالد * وانّى لأَرْجُو بعـدها أن أُعَمَّـرا
وعارَضْتُها شَهْباءُ تخطر بالقَنَا * تَرَى البِيضَ فى حافاتها والسَنَوَّرا

وكان أبو شجرة هـذا من فتاك العرب فعل ذلك مع جيش خالد فى حرب أهل الرِدة فى خلافة أبى بكر ثم أسـلم رضى الله تعالى عنهـم أجمعين ومراده بالاديم الذى باركت

يد الله عليه عُمَر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى قصة قتله من أبى لؤلؤة غلام المُغيرة ابن شُعْبة وهى مشهورة (قوله الاديم المُمَزَّق) يشير به الى ماسمع من بعض نُعَاته رضى الله تعالى عنه وهو هذا الشعر

جزى اللهُ خيرا من امام وباركت * يدُ الله فى ذاك الاديم المُمَـــزَّق
فَمَنْ يَسْعَ أو يركبْ جناحَىْ نَعَامةٍ * لِيُدركَ ماقَدَّمْتَ بالامس يُسْبَقِ
قَضَيْتَ أمورا ثم غادرْتَ بعدها * بوائقَ فى أكمامها لم تُفَتَّــقِ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ وَفَاتُه * بكفى سَبَنْتَى أَزْرقِ العَينِ مُطْرِق

ولعَلاء الدين الكِندى على لسان صديق له اسمه عُمر يهوَى مليحا فى أذُنه لؤلؤة

قد قلت لـما مرّ بى * مُقَرْطَقٌ يحكى القَمَرْ
هَـــذَا أبو لُؤْلؤةٍ * منــه خُذوا ثَارَ عُمَرْ

ومراده بالاشمط عثمان رضى الله تعالى عنه يشـــير الى قصة مقتله المشهورة والى قول حسّان فيه

مَن سَرّه الموتُ صِرْفًا لامزاجَ له * فلْيــأتِ مأدبةً فى دار عثمانا
ضَحَّوْا بأشْمَطَ عُنوانُ السجود به * يُقَطِّع الليـــلَ تسبيحا وقـرآنا
لَتَسْمَعَنّ وشِـــيكا فى ديارِهمُ * اللهُ أكبر ياثاراتِ عثمـانا

(قوله ضحوا) أصله أن يقال ضحَّى زيد أكل فى الضحوة قال زهير

ضَحَّوْا قليلا على كُثبانِ أَسْنُمَةٍ * ومنهمُ بالقَسُـومِيّات مُعْــتَرَك

كذا ذكر المبرد فى قول أَيْمَنَ بن خُرَيم بن فاتِك الأَسَدِىّ

ضَحَّـوْا بعثمان فى الشهر الحـــرام ولم * يَخْشَوْا على مَطْمَحِ الكَفِّ الذى طَمَحوا

والذى فى ديوان زهير قَفَا كثبان وانمـا اراد حسان من الاضحية استعارة لانه قتِل فى أيام التشريق وشيكا مسرعا (قوله وبَذَلْتُ لِقَطَامِ الخ) يشير الى مقتل أمير المؤمنين علىّ عليه الســلام قتله أشقى الآخرين عبد الرحمن بن مُلْجَم وقطام هذه كانت اشترطت عليه لـمـا خطبها ثلاثة آلاف وعبدا وقَيْنة وقتل على فأجابها وقال

ثلاثة آلاف وعبـــد وقينـــة * وقتـــل علىّ بالحسام المُسَـــمَّم

فلا مَهْرَ أغلَى مِن علىّ وان علا * ولا فَتْكَ الادون فتك ابن ملجم

وتزعم الخوارج ان ابن ملجم من أفضل الامة والنُصَيريّة يقولون انه أفضل الناس لانه خَلّص اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره وعند الروافض انه أشقى الخلق فى الآخرة وهو عندنا من أهل السنة ممن يرجى له النار ويجوز أن الله تعالى يعفو عنه كقَتَلة عثمان والزبير وطلحة وسعيد بن جُبَير وعَمّار وخارجة وحسين فكل هؤلاء نبرأ منهم ونُبغضهم فى الله تعالى ونَكِل أمرهم اليه وما أحسن قول ابن عبدون فى قصيدته المشهورة

وَلَيْتَها اذْ فَدَتْ عَمْرا بخارجةٍ * .فدَتْ عَلِيًّا بمن شاءت من البَشَر

وللبحترى

ولا عَجَبٌ للأُسْد ان ظَفِرتْ بها * كِلَابُ الاعادى من فصيح وأعجم

فحَرْبةُ وَحشيٍّ سَقَتْ حمزةَ الرَدَى * وَمَوْتُ علىٍّ مِن حُسام ابن ملجم

ولِعِمارة اليَمَنى فى الاربعة

أوْدَى عَلِىٌّ وعثمانٌ بِمخْلَبِها * ولم يَفُتْها أبو بكر ولا عمر

وَمَن أرادَ التأَسّى فى مصيبته * فللورَى برسول الله مُعْتَبَر

ولشرف الدين الانصارى شيخ الشيوخ بحَماة

أَدِرْ كأسَ خمرك صِرفا ففى * حياة المدام حياة الفؤاد

ولا تقتُلَنْها تكن ثالثا * لأَشْقَى ثَمُود وأشقى مُراد

وللحافظ الذهبى

اذا قرا الحديثَ علىّ شخص * وأخْلَى موضعا لِوفاة مِثلى

فما جازَى باحسانٍ لأنى * أريدُ حياتَه ويريد قتلى

يشير الى بيت كان يتمثل به علىّ عليه السلام اذا رأى ابن ملجم

أريد حياته ويريد قتلى * عَذيرَك من خليلك مِن مُرَاد

وأصله لعمرو بن معدى كرب فى قيس بن مكشوح المرادى ويروى حِباءه ونصب عذيرك باضمار هَلُمَّ أى هاتِ مَن يعذِرك منه ويَلُومه فأجابه تلميذه الصَفَدى بقوله

خَليلُك ماله فى ذا مُرَادٌ * فدُم كالشمس فى أعْلَى محل

وَقَصْدِى أن تعيشَ مَدَى الليالى * وانك لاتُمَـــلّ وأنتَ تُمْـــلى

وما أحسن قوله خليلك ماله فى ذا مراد (قوله وكتبتُ الى عمرو بن سعد الخ) يشير الى مقتل الحسين عليه السلام وكان عبيد الله بن زياد كتب الى عمرو بن سعد بن أبى وقاص أَنْ جَعْجِعْ بالحسين وذلك لمّـا أبطأ عمرو عن قتاله ومعنى جعجع عليه ضيق عليه وهذه القصص المـاضية والآتية كلها مشهورة فلا نطيل بذكرها وقدرثاه من المتقدّمين والمتأخرين خَلْق لايعلمهم الا اللهُ تعالى وما أحسن قول أبى الحســين الجَزّار خصوصا فى بيتيه الثالث والخامس

وَيعودُ عاشـــوراءُ يُذْكِـرُنِى * رُزْءَ الحسينِ فليتَ لَمْ يَعُـدِ

أم ليت عينا فيــه قد كُحِلت * باثْمِـدٍ لم تَخْـــلُ مِن رَمَد

ويَدًا به لِشَـــماتةٍ خُضِبَت * مَقْطُوعةٌ مِن زَنْدهـا بيـــدى

يومٌ سَبِيـــلى حين أَذْكُرُه * أن لايَدُورَ الصَـــبْرُ فى خَلَدى

أمّا وقد قُتِـــل الحسينُ به * فأبُو الحســـينِ أحقُّ بالكَمَـد

ولبعض الهاشميين معتذرا من الكحل يوم عاشوراء

لم أكتحلْ فى صباح يوم * أُهْرِيقَ فيــه دم الحسين

إلّا لِحُـــزْنِى وذاك انّى * سَوَّدتُ حتى بياضَ عينى

ولعمارة اليمنى

غَصَبَت أُمَيَّةُ إرْثَ آل محمد * سَفَهًا وشنَّت غارةَ الشَنآنِ

وغدَت تُخَالِف فى الخلافة أهلَها * وتُقَـابِل الـــبرهانَ بالبُهتان

لم تقتنع حُكّامهم بركوبهــم * ظهرَ النِفاق وغاربَ العُدْوان

وقُعُــودِهم فى رتبـــةٍ نَبَوِيّة * لم يَبْنِهـا لهمُ أبو ســفيان

حتى أضافوا بعــد ذلك انهم * أخذوا بثار الكُفْر فى الايمان

فأتَى زِيادٌ فى القبيح زيادةً * تَرَكَتْ يزيدَ يزيدُ فى النقصان

وقيل للامام ابن الجوزى وهو على المنبر كيف يقال ان يزيد وهوّ بدمشق قتل الحسين وهو بكَرْبلاء من أرض العراق فأنشد

سَهْمٌ أصابَ وراميه بذِى سَلَمٍ * مَن بالعراق لقد أبعدتَ مرماك

ولقد خَمَّس الموفَّق الحكيم القصيدةَ الدريدية مَرْثِيَةً فيه والسرَّاج الوَرَّاق قصيدتى. أبي تمام المفتتحة احداهما بقوله * أصَمَّ بك الناعى وان كان اسمعا * والاخرى بقوله * أيّ القلوب عليكُمُ لاتُصْدَع * وسأل أبو العلاء المعرّى رزق الله الحنبلى هل سمعتَ فى مَرَاثِى الحسين مرثيَةً تُكْتَب فقال قد نظم فلَّاحُو بلادنا أبياتا تعجِز عنها شيوخ تَنُوخ وهى

رأسُ ابن بنت محمد ووصيه * للمسلمين على قناةٍ يُرفَع
والمسلمون بمنظَر وبمَسْمَعٍ * لاجازِع فيهم ولا متوجّع
أيقظتَ أجفانا وكنت أنمْتَها * وأنمْتَ عينا لم تكن بك تَهْجَع

فقال المعرّى ماسمعت أرقّ من هذا (قوله وتمثلت عند مابلغنى من وقعة الحَرَّة الخ) يشير الى مافعله يزيد فى واقعة المدينة عند حَرّة واقِم بقيادة مسلم بن عُقْبة الذى سُمّى مُسْرِفا لشدة سَرَفه فى سَفْك الدماء والى بيت عبد الله بن الزِبَعْرَى الذى ذكره يزيد فى تلك الواقعة متمثلا (قوله ورَجَمْتُ الكعبة وصلَبْتُ العائذَ على الثَنِيّة) يشير الى واقعة عبد الله ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما لما قتله الحجاج وسمى عائذا لأنه عاذ بالبيت الحرام واستجار به والقصة مشهورة (قوله لكان فيما جرى علىّ مايحتمل ان يُسَمَّى نَكالا ويُدْعَى ولو على المجاز عِقابا

وحسبك من حادث بامرئٍ * ترى حاسديه له راحِمينا)

هذا جواب لو فى قوله لو أُمِرت بالسجود لآدم الى آخره والبيت للعتبى (قوله وكيف ولا ذنب الانميمة أهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق) الكاشح الذى يضمر لك العداوة (قوله وهُم الهَمَّازون المَشّاؤن بنَمِيم والواشون الذين لايلبثون أن يصدعوا العصا) هو من قول كثير عزة

ولا لبث الواشون أن يصدعوا العصا * اذا هى لم يصلب على البرى عودها

ومن اجلال أمير المؤمنين المأمون للشريعة المطهرة أنه لما بلغه قول القاضى الخَلَنْجى

برئت من الاسلام ان كان ذا الذى * أتاكِ به الواشون عنّى كما قالوا

ولكنهم لما رأوكِ غَرِيّة * بهجرى تواصوا بالنميمة واحتالوا
لقد صرتِ أُذْنا للوُشاة سميعة * ينالون من عرضى ولو شئتِ مانالوا

استدعاه من دمشق واستنشده هذا الشعر فأقسم انه انما قاله زمن الصِبَا منذ أربعين سنة فهم بقتله ثم عفا عنه وقال اذهب الى منزلك فلا يتولى لى القضاءَ مَن أقرّ بالبراءة من الاسلام وأمَرَ مُغنّيه أن يغيّر الشعر فجعله حُرِمْتُ مكانى منكِ (قوله والغُواة الذين لايتركون أديما صحيحا) قال معاوية رضى الله تعالى عنه يوما للاحنف بن قيس فى أمرٍ بَلَغه عنه فأنكر الثقةُ بلّغنى عنك فقال الثقة لايبلّغ ووقّع ذو الرياستين فى رقعة ساع نحن نرى قبول السعاية شرّا منها لأنّ السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دَلّ على شئ وأخبر به كمن قَبِله وأجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه آثما اذ لم يحفظ الحرمة ويستر العورة ولما ولى عبد العزيز بن عبد الملك دمشق فى حداثة سنه قام اليه رجل فقال أصلح الله الامير عندى نصيحة فقال ليت شعرى ماهذه النصيحة التى ابتدأتنى بها من غير يدٍ سبَقَت منّى اليك قال جارٌ لى عاصٍ مُختَفٍ مِن ثَغْره فقال ما اتقيتَ الله تعالى ولا أكرمت أميرك ولا حفظت جارك ان شئت نظرنا فيما تقول فان كنت صادقا لم ينفعك ذاك عندنا وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أقلناك قال أقلنى قال اذهب حيث شئت لاصحبك الله انى أراك شرّ رجل ثم قال يا أهل دمشق أما أعظمتم ماجاء به الفاسق ان السعاية أخبث سجية ولولا أنه لاينبغى للوالى أن يعاقب قبل أن يعاتب كان فى مثل ذلك رأى فلا يأتنى أحد منكم بسعاية فان الصادق فيها كاذب والكاذب بهّات وقال رجل للمهدى عندى لك نصيحة ياأمير المؤمنين فقال لمن هى ألنا أم لعامّة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين فقال ليس الساعى بأعظم عورة ولا أقبح حالا من قابل سعايته ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا يشفى غيظك أو عدوّا فلا نعاقب لك عدوّك ثم أقبل على الناس فقال لاينصح لنا ناصح إلا بما فيه رضاء الله تعالى وصلاح للمسلمين فانما لنا الابواب وليس لنا القلوب ومن استتر لم نكشفه ومن ناوانا طابنا توبته ومن أخطأ أقلنا عثرته انى أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة والسلامة مع العفو أكثر منها فى العاجلة والقلوب لاتبقى لوالٍ لايتعطف اذا استعطف ولا يعفو اذا قدر ولا يغفر اذا ظفر ولا يرحم اذا استرحم

(قوله حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمـــرء مذهب)
هو من قصيـدة للنابغة الذبيانى يعتذر فيهـا الى النعمان بن المنذر ويمدحه (قوله والله ماغَشَشْتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية اليك أى الميل ولا نصبت لك بعد التشيع فيك) كل من انحرف عن عليّ وشيعته عليهم السلام يسمى ناصبيا وكل من أحبهم يسمى شيعيا (قوله ولا أزمعت يأسامنك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك وعهد أخذه حسن الظن عليك ففيم عبث الجفاء بأذِمّتى جمع ذِمام بمعنى الحرمة وعاث العقوق فىمواتِّى جمع ماتّة وهى الوسيلة وتمكن الضياع من وسائلى ولِمَ ضاقت مَذاهبى وأكْدَت مَطالِبى وعلامَ رضيت من المركَب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب) هذان مثلات ولفظ الاول أرْضَ من المركب بالتعليق أى ارض من عظيم الامر بصغيره والمركب يجوز أن يراد به الركوب أى ارض من ركوبك بتعليق أمتعتك والمثل الثانى أول من قاله امرؤ القيس نظما وهو

لقد طوّفتُ فى الآفاق حتى * قنعتُ من الغنيمـة بالاياب

(قوله وأنّى غَلَبَنِى المُغَلَّب وبجر علىّ العاجز الضعيف ولطمَتْنِى غيرُ ذاتِ سِوار) هذه ثلاثة أمثال الاولان بيت من شعر امرئ القيس وهو

وانك لم يفخَـــر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مِثْلُ مُغَلَّب

وقد صحف ابن زيدون لفظة فاخر بجعـل الفاء عينا مهملة والخاء المعجمة جيما والراء المهملة زايا وهو تصحيف حسن لكنى رأيته كذلك فى الاساس والمغلب المغلوب مرارا والمحكوم له بالغلبة ضد واذا قالت العرب شاعر مُغَلَّب فهو مغلوب واذا قالوا غُلِّب فلان فهو غالب والمراد هنا الاول وهو مَثَل ضَرَبه لمن شَبّب بها يقول انها ضعيفة والضعيف اذا قدر أهلك وهو معنى قوله ولم يغلبك مثـل مغلب وكذا اذا نخر عليك ضعيف عاجز جاوز قدره ولوكان كريما قادرا لما أظهر الفخر عليك بأفعاله والى هذا ذهب أبوتمام فى قوله

وضعيفـة فاذا أصابت فرصـة * قتلت كذلك قـدرة الضعفاء

أى أن الضعيف اذا أصاب من عدوه فرصـة قتله على الفور لانه يخشى أن يرجع عليه بفضل قوته فيهلكه والمَثَل الثالث قاله حاتم وهو أسير لمّـا لَطَمَتْه امرأة أى لو لطمنى

مَن هو كفء لى لهان علىّ ذلك ويروى لوذات سوار يريد حرة اذ لم تكن الاماء باللائى يلبسنَ الاساور ويريد ابن زيدون أن هؤلاء الوشاة من الادنياء (قوله ومالكَ لم تَمْنع منِّي قبل أن أُفْتَرس وتُدْرِكْنِي ولَمّا أُمزَّق) الجملة الثانيــة مأخوذة من قول شاعر من عبدالقيس

فان كنتُ مأكولا فكن خيرآكل * والا فأدركنى ولمّا أمــزّق

وبه لقب بالممزق بكسر الزاى وكان الفراء يفتحها وقيل لقب بذلك لقوله

فمن مبلغ النعمان ان ابن أختــه * على العين يعتاد الصفا ويمزق

لكن الزاى تصحيف وانما هو بالراء من التمريق وهو الغِناء وقال الآمدى انه بفتح الزاى وهو شاس بن نهار العبدى لقب بذلك لقوله وأنشــد البيت الاول فأما مكسور الزاى فهو الممزق الحضرمى وهو متأخر ويقال لولده المخزق لقوله

أنا المخــزق أعراض اللئــام كما * كان الممــزق أعراض اللئام أبى

أو أَنَا المُخَرِّق أو هذا آخَر وقد هجا الممزقَ أبو الشَمَقْمَق بقوله

كنتَ الممــزِّق مرة * فاليومَ قد صرتَ الممــزَّق

لمّا جريتَ مع الضبــلا * لغرِقْتَ فى بحرالشَمَقْمَق

وقد تمثل بالبيت الاول عثمان فيما كتبه لعلى رضى الله تعالى عنهما والقصــة مشهورة وبما تقدّم يعلم ما فى كلام العلامة الصفدى فى شرح هذا الموضع وأبو الشمقمق كنية مَرْوان بن محمد الشاعر وأصــل الشمقمق الطويل الجسم من الرجال (قوله أم كيف لاتضطرم جوانح الاكفاء حسـدًا لِى على الخصوص بك) تضطرم تتوقد والجوانح جمع جانحة وهى الاضلاع التى تحت الترائب مما يلى الصدر والاكفاء جمع كفء مثلث الكاف أوكفىء أوكفوء على فعيل وفعول وهو المِثْل والكفاءة فى النكاح واجبة فلا تزوّج المرأة بغير كفء الا برضائها ورضاء أوليائها فان رضوا باسقاطها صح النكاح وقال الامام أحمد رضى الله تعالى عنــه انها شرط صحة وتكون فى ستة أشياء نظمها بعضهم فى قوله

انّ الكفاءة ستة قد حُرِّرت * ينبيك عنها بيت شِــعر مفردُ

نَسَب ودِين صــنعة حُرِّيّة * فَقْد العُيوب وفى اليَسَار تردُّد

قال الفقير وزواج علىّ بفاطمة عليهما السلام مما يؤيّد قول الصوفية وأهل الكشف بايمان أبى طالب فلا معنى لاغلاظ الردّ على مذهب الامام أحمد بذلك أى لأنه يَشترط فى نكاح بنت المسلم ايمانَ الزوج وأبيه وجدّه (قوله وتنقطع أنفاس النظراء منافسة فى الكرامة عليك وقد زانني اسم خدمتك وزهّانى وَسْم نعمتك وأبليت البلاء الجميل فى سماطك وقمت المقام المحمود على بساطك) البلاء الاختبار والمقام بين السماطين من المقامات الزُلْفَى وهما الصفان من الناس ويطلق السماط على مايمدّ عليه الطعام

(قوله ألستُ المُوَالِى فيك غرَّ قصائد * هى الانجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء يُظَنّ الروضُ منه مُنَوّرا * ضُحًى ويُخَال الوَشْىُ منه مُنَمْنَمَا)

الموالى اسم فاعل والَى ومنوّرا من النَوْر وهو الزهر والوشى ضرب من حلل الحرير ذو ألوان والمنمنم الثوب المُوَشَّى وهو ذو الالوان ولا بدّ فى تلك الالوان من لون البياض والبيتان من قصيدة للبحترى يعاتب بها الفتح بن خاقان مطلعها

يهون علينا أن أبيت متيما * أعالج وجدا فى الضمير مُكَتَّمَا

(قوله وهل لبِس الصباح الاّ بُرْدا طرّزتَهُ بفضائلك وتقلدَتْ الجوزاء الاّ عِقْدا فصّلتَه بمآثرك) من عادة البلغاء أن يستعيروا للثناء وهو شئ يدرك بالسمع أشياء تدرك بحاستى البصر والشم ولا يريدون بذلك الا المبالغة كأنه صار بحيث يدرك بعد حاسة السمع بحاستى البصر والشم والجوزاء أحد البروج الاثنى عشر وهى عدّة كواكب ثلاثة على قدر واحد فى الهيئة والبعد تسمى منطقة الجوزاء وإياها قصد ابن زيدون رحمه الله تعالى وفصلته جعلته فصولا والمآثر جمع مأثرة وهى المكرمة لأنها تؤثر أى يتحدّث بها بين الناس (قوله واستَمْلَى الربيعُ الاّثَنَاءً ملا تُه من محاسنك) استمليته الكتاب سألته أن يمليه (قوله وبثّ المِسك الاّ حديثا أَذَعتُه فى محامدك) بث الخبر وأذاعه نشره والمحامد جمع محمدة وهى ضدّ المذمّة (قوله وان كنتُ لمْ أَكْسُك سَلِيبا ولا حَلّيتك عُطْلا ولا وَسَمْتُك غُفْلا) السليب فعيل بمعنى مفعول وكل شئ على الانسان من لباس فهو سلب بالتحريك وسلبته سلبا من حدّ قتل أخذت الثوب عنه فهو سليب ومسلوب وعطلت المرأة عطلا من باب قتل أيضا وباب فرح اذا لم يكن عليها حلىّ فهى عاطل وعطل بضمتين

وقوس عطل أيضا لاوتر عليها وأرض غفل كقفل لاعلم بها ورجل غفل لم يجرّب الامور (قوله بل وَجَدتُ آجُرًّا وجِصّا فَبَنَيْتُ ومكانَ القول ذا سَعةٍ فَقُلْتُ) يعني أنه لافضل له في مديحه لانه وجد أدوات من صفاته فبني بها بيوت مدحه وما أحسن قول الخفاجي في هذا المقام

ولي فيك من غرّ القوافي قصائد * يُقَبّـِل أفواهُ الرُّواة لهـا رَشْـفا
وما أدّعِي دُرَّ الكلام لانّه * صفَاتُك الاّ أنّني أَحْسِن الوَصْفَا

(قوله ومكان القول الخ) يشير الى قول أبي الطيب

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقـل

(قوله حاش لله أن أُعَدّ من العاملة الناصبة) يشير الى قوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصـــبة) والمراد وجوه اليهود والنصـارى أو سائر الكفار أى عملت ونصبت في الدنيا بأعمـال لاتنفعها في الآخرة لان الرهبان ينصَبون بصـيام النهار وقيام الليـل ويتركون مَلاَذّهم وقيـل عاملة ناصبة في النار (قوله وأكون كالذُّبَالة المنصوبة تضيء للناس وهي تحترق) الذبالة الفَتيلة والجمع ذُبَال يشير الى قول العباس بن الاحنف

أُحْرَم منـكم بمـا أقول وقد * نال به العـاشقون ماعشقوا
صِرْتُ كأنّي ذُبَالة نُصِبَت * تضِيء للنـاس وهي تحترق

وروى صاحب الفردوس بسـنده الى جندب بن عبدالله رضي الله تعالى عنـه قال رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم العالم بغير عمل كالمصباح يُحْرِق نفسَه ويضيء للناس وروى الطبراني قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم مَثَل العالم الذى يعلّم الناسَ الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويُحْرِق نَفْسَه (قوله نلك المثل الأعلى وهو بك وبي فيك أولى) يشير الى قوله تعـالى (وله المثل الأعلى في السموات والارض) قال ابن عباس المثـل الأعلى ليس كمثله شئ أو لا اله الا هو (قوله وهو بك الخ) معناه أنه بك أولى وبي كذلك اذا كان فيك وعنـدى ان هذا الكلام وأمثاله من الخاص بحضرة الربوبية فاستعماله في العبيد محض جراءة على الله تعالى وهو من تهوّرات الادباء كمبالغات المتنبي وأمثاله ومما ينسب للامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

قالوا يزورك أحمـــد وتزوره * قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زرته فلفضـــله أو زارنى * فبفضله فالفضل فى الحالين له

(قوله ولعمرك ما جهلتُ أنّ صريحَ الرأىِ أن أتحوّلَ اذا بلغَتْنِى الشمسُ ونَبَابِىَ المنزل) يشير الى قول أبى تمـام

وانّ صريح الرأىِ والحزم لامرئ * اذا بلغَتْـــهُ الشمس أن يتحوّلا

سأل بهلول رجلا عن قول الشاعر * واذانبابك منزل فتحول * كيف هو عندك فقال جيد فقال فان كان فى الحَبْس كيف يتحوّل فانقطع الرجل فقال بهلول الصواب قول الآخر

اذا كنت فى دار يسوءك أهلها * ولم تك مكبولا بهـا فتحـــوّل

(قوله وأَصْفَح عن المطامع التى تُقَطِّع أعناقَ الرجال) يشير الى قول البعيث (كامير) المجاشعى

طمعت بليـــلى أن تريع وانمـا * تقطع أعنـا ق الرجال المطا مع

وممـا ينسب لعلىّ عليه السلام

اذا عوفى المـــرء فى جســـمه * وخـــوّله الله قلبـــا قنـــوعا
وألقى المطامع عن نفســـه * فذاك الغــنىّ وان مات جوعا

(قوله فلا أستوطئ العجز ولا أطمئن الى الغرور) استـوطأ المركب وجده لينا سهلا والعجز ضد القدرة وفى المثل العجز وطىء (قوله ومن الامثال المضروبة خامرى أُمَّ عامر) خامرى أى اسـتترى كأنه من الخمار زعموا أن الضبع أحمق الدواب لانهـم اذا أرادوا صـيدها رموا فى جحرها بحجر فتحسبه شيأ تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد ويدخل عليها الرجل فلا يزال يقول خامرى أمّ عامر حتى يربطها ويخرجها وهـذا جعل مثـلا لمن عرف الدنيـا وتقلباتها فلا يغترّ بها كما يغتر الضبع بقول القائل خامرى أم عامرى وهى كنيتها واسمها حُضَاجر بضم أوّله والجمع بفتحها للذكر والانثى (قوله وإنّى مع المعـرفة بأنّ الجَلَاَسِبَا والنُّقْلةُ مُثْله شعر

ومَن يَغترِبْ عن قومه لم يَزل يَرى * مَصارعَ مظـلوم مَجَرًّا ومَسْحَبا
وتُدْفَن منه الصالحاتُ وانْ يُسِئْ * يَكُن ما أساءَ النارَ فى رأس كَبْكَبا)

الجلاء الخروج عن الوطن والسباء ككتاب ويقصر اسم من سبيت العدو سبيا من باب رمى والنقلة الانتقال والمثله التنكيل وكبكب كجعفر اسم جبل والبيتان للاعشى (قوله عارف بأن الادبَ الوَطَنُ لايُخْشى فِراقُه والخليطُ لايُتَوَقّع زِيالُه) هـذا خبر إنّ والخليط المخالط والزيال مصـدر زايله اذا فارقه (قوله والنَّسيب لايُخْفَى والجمال لايُخْفَى ثم ماقِرانُ السَّعد للكواكب أَبْهَى أَثَرا ولا أَثنَى خَطَرا من اقتران غِنَى النفس به وانتظامِها نَسَقامعه) الضمير فى به ومعه يرجع للأدب وهو مأخوذ من قول أبي الفتح البستى

وأَتَمُّ الاشــياءِ نورا وحســنا * بِكْرُشُــكْرٍ زُفَّت الى صِهرِبِرّ
ماقِران السَّعْدَيْن فى الجو أبهى * منظَرا مِن قِـران بِرٍّ وشـــكر

(قوله فانّ الحائز لهما الضارب بِسهم فيهما وقليلٌ ماهم أينمـا توجه ورَدَ منهلَ بِرّ وحَطّ فى جناب قَبول) الضارب والضريب الذى يضرب بقداح الميسر والضمير فى لهما وفيهما يعود الى الادب وغنى النفس (قوله وضُوحِكَ قبـل انزال رَحْله وأُعطِيَ حُكْمَ الصبيّ على أهله

وقيـــل له أهلا وسهلا ومرحبا * فهـــذا مبيت صالح ومقيـل)

الجملة الاولى من قول حاتم الطائى

أُضاحِكُ ضَـيفِي قبل انزال رحله * ويُخْصِب عندى والمَحَلُّ جديب
وماالخِصْب للاضياف ان يَكْثُرالقِرَى * ولكنما وَجْــه الكريم خَصِيب

والثانية ممـا كان يقوله أبو سـفيان لجاره ونصه ياهذا انك قد اخترتنى جارا واخترت دارى دارا فجناية يدك عليّ دونك وان جنت عليـك يد فاحتكم حكم الصبيّ على أهله (قوله غيرَ انّ الوَطَن محبوب والمنشأ مألوف) قد تأول بعض العارفين مااشتهر أنه حديث وهو حب الوطن من الايمـان بأن المراد حب النفس وطنها الاول وعالمها القـديم وقال بعض الادباء كان الناس يتشوّقون الى أوطانهم ولا يفهمون العلة فى ذلك الى أن أوضحها ابن الرومى فى قصيدة لسليمان بن عبدالله بن طاهر يستعديه على رجل من التجار يعرف بابن أبي كامل أجبره على بيع داره واغتصب بعض حدودها فقال

ولى وَطَن آليتُ أن لا أبيعَــه * وأن لاأرى غيرى له الدهر مالكا

عهِدتُ به شَرْخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحَبّبَ أوطانَ الرجال اليهم * مآربُ قضّاها الشباب هنالكا
اذ ذَكَروا أوطانَهم ذكَّرتْهمُ * عهودَ الصبا فيها فحَنّوا لذلكا
فقد ألِفَتْه النَفْسُ حتى كأنه * لها جَسَد إن بانَ غُودِرهالكا

وقال يتشوق الى بغداد

بَلَدٌ صحِبتُ به الشبيبةَ والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثَّل فى الضمير رأيتَه * وعليه أغصان الشباب تميد

(قوله واللبيب يحنّ الى وطَنه حنين النجيب الى عَطَنه) اللبيب من اللب وهو العقل والحنين الشوق والنجيب من الابل الفحل الكريم والعطن مبرك الابل حول الماء

(قوله والكريم لايجفو أرضًا بِها قَوَابِلُه ولا ينسى بلدة فيها مَراضعه قال الاول
أَحبّ بلاد الله مابين مَنْعَج * الىّ وسُلْمَى أن يَصُوب سحابُها
بلادٌ بِها عَقّ الشبابُ تمائِمى * وأول أرضٍ مَسّ جلدى ترابُها)

القوابل جمع قابلة وهى التى تتلقى المولود عند خروجه يقال قبلته قبالة فهى قابلة وقبيل واذا ولى الانسان ناقة أو شاة ماخضا حتى تضع قيل نتجها نتجا من باب ضرب فالانسان ناتج كالقابلة فى الأناسى لانه يتلقى الولد ويصلح من شأنه والبهيمة منتوجة والولد نتيجة والمراضع جمع مرضعة وللرضاع حق وذمّة تجب رعايتها ألم تر أنّ زُهَير بن صُرَد الجُشَمِىّ السَّعْدىّ لَمّا وَفَد بعد اسلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفْد هَوَازن بعد غزوة حُنَيْن قال يارسول الله انما سبَيتَ منا عَمّاتك وخالاتك وحواضِنَك اللاتى كَفَلْنَك ولو أنا مَلَحْنا للحارث بن أبى شِمْر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا أحدهما بمثل مانزلت به رجونا فضله وعائدته وأنت خير المكفولين ثم أنشده قصيدته التى مطلعها

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم وقالت قريش والانصار ما كان لنا فهو لله ورسوله الى آخر ماسطر فى البخارى وشروحه (قوله ملحنا) أى أرضعنا ومنعج اسم موضع وهو بكسر العين وقد تفتح والبيتان من جملة

أبيات لبعض الاعراب ذكر بعضها ياقوت فى معجمه ولتحريفها لم نذكرها وقد ذكر فيه لفظة حل بدل عق والمآل واحد اذ المراد أن الشباب سبب فى ازالة التمائم (قوله هـذا الى مُغالاتى بعَقْد جِوارك ومنافستى بلحظة من قربك) المغالاة مفاعلة من الغلو وقد بلغ من رعاية العرب للجوار أن أحدهم لو لَمَس دَلْوَه دلوَ آخر أو طُنُبُه طُنُبَ بيتٍ لزمه حرمة الجوار والى ذلك أشار أبو تمام بقوله فى ابن الزيات رحمهما الله تعالى

لى حرمة بك لولا مارعيتَ وما * أوجبْتَ فى حقها ماخلتُهـا تجبُ
بَلَى لقــد سَلَفَتْ فى جاهليَّتِهم * للحق لا مِثْلَ حَقِّ ســيرةٌ عَجَبُ
أن تَعْلَق الدَلْوُ بالدلو القريبــةِ أو * يُلامِسَ الطُنُبَ المستحصدَ الطُنُبُ

ومن أمثالهم أوفى من الحارث بن ظالم وسببه أن عياض بن دَهْثَة مرّ برعاء الحارث وهم يسقون فوصــل رشاءه من أرشــية الحرث لِقِصَر رشائه ثم أروى إبله فأغار عليها بعض حشم النعمان فصاح عياض بالحارث ياجاراه ياجاراه فقال الحارث متى كنت لك جارا قال وصلت رشائى من أرشيتك فأرويت ابلى فأغير عليها وذلك المـاء فى بطونها فقال الحارث جوار ورب الكعبة ثم استخلص له الابل من الملك والمستحصد بصيغة اسم الفاعل من قولهم حَبْل أَحْصَــدُ وحَصِدٌ ومُحْصَد ومستحصد شـديد الفَتْل (قوله واعتقادى أنّ الطمَعَ فى غيرك طَبَعٌ والغِنَى من سواك عَنَا وكلّ الصــيد فى جوف الفَرَا) الطبع الدنس والعنا التعب والفرا حمار الوحش وأصــل المثل أن ثلاثة خرجوا للصــيد فاصطاد أحدهم أرنبا والاخر ظبيا والثالث حمار وحش فقال لهما لمـا نخرا عليه كل الصيد فى جوف الفرا وقد شرّفه رسول الله صــلى الله عليه وســلم بأن قاله لابى سفيان يتألفه (قوله والبَدَل منك أعْوَرُ والعِوَضُ لَفَاءٌ وفى كُلّ شَجرٍ نارٌ واسْتَمْجَد المَرْخُ والعَفَار

واذا نظرت الى أميرى زادنى * ضَــنًّا به نَظَرِى الى الامراء)

أصل الجملة الاولى أنّ يزيد بن المهلب لـمّا صُرِف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلى وكان شحيحا أعور قال الناس هــذا بَدَلٌ أعور فصــارت مثلا لكل مالا يُرْتَضَى به من الذاهب واللَّفَاء الشئ الخسيس يقال رضِىَ من الوَفَاء باللفاء أى من حَقّه الكثير بالقليل الحقير والمرخ والعفار شجر سريع الوَرْى حتى اذا هبّت الريح فحكّ بعضُــه بعضا احترق

قوله (فما هذه البراءة ممن يتولاك والميل عمن لايميل عنك وهلّا كان هَواك فيمن هواه فيك ورضاك لمن رضاه لك) يريد هَلّا هَويتَ مَن يهواك ورضيتَ من يرضاك

قوله (يامن يعــز علينا أن نفارقهم * وِجْدانُنا كلّ شئ بعدكم عَدَمُ)

هذا البيت من قصيدة لأبى الطيب مطلعها * واحَرَّ قَلْبَاهُ ممن قَلْبُه شَبِمُ *

قوله (أعيذك ونَفْسى مِن أن أَشِيم خُلَّبا وأستمطِر جَهاما) الخلب البرق لاغيث معـه والجهام السحاب لاماء فيه ومطل خالد بن برمك بشارا فأمسك بعنان بغلته وأنشد

أظلَّتْ علينا منـك يوما سحابة * أضاءت لنا برقا وأبطا رَشَاشُها

فلا غَيْمُها يُجْلَى فييأَسَ طـامِع * ولا غَيْثُها يَهْمِى فترْوَى عِطاشُها

(قوله وأُكْرِم غير مُكْرَم وأشكو شكوى الجريح الى العِقْبان والرَخَم) هذا عَجُز بيت لابى الطيب وصدره * ولا تَشَكَّ الى خَلْقٍ فتُشْمِتَهم * ويحتمل أن قوله وأكرم غير مكرم ليس بالراء بل بالدال فيكون اشارة لمثل من أمثال العرب وهو قولهم كَدَمْتَ غيرَ مَكْدَم والكَدْم العَضّ يضرب لمن يطلب شيأ فى غير مطلبه (قوله فمـا أبْسَسْتُ لك إلّا لِتَدُرّ وحَرَّكْتُ لك الحُوَارَ إلّا لِتَحِنّ) الابساس الرفق بالناقة عند الحلب وفى المثل الايناس قبل الابساس والحوار ولد الناقة حتى يفصل عن أمه فهو فصيل وفى المثل حَرِّك لها حوارَها تحنّ (قوله ونبهتك إلّا لِأنَام وسَرَيتُ لك إلّا لأَحْمَدَ السُّرَى لديك) فى الجملة الاولى اشارة الى قول بشار

اذا أيقَظَتْك حُروب العِدَى * فنَبِّــهْ لهــا عُمَــرا ثم نَمْ

فَــتًى لاينـام على غِــرَةٍ * ولا يَشْرب المـاء الا بدَم

وفيما بعدها اشارة الى قول سيدنا خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه عند الصباح يحمد القوم السرى (قوله وانك ان سَنَّيْتَ عَقْـدَ أمرى تيسر ومتى أعْذَرت فى فَكّ أَسْرى لم يتعذر) سنيت سهلت وهو من قول معاوية رضى الله تعالى عنه * اذا اللهُ سَنّى عَقْدَ أمْرٍ تيسرا * وقال بشار

فبالله ثِقْ ان عَزَّما تبتغى وقُل * اذا اللهُ سَنَّى عَقد أمرٍ تيسرا

(قوله وعلمك محيط بان المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة) المعروف ضد المنكر وهو اسم جامع لكل خير (قوله وفضل الجاه تعود به صدقة

واذا امْرؤ أهدى اليك صنيعة * من جاهــه فكأنها من ماله)

الجاه القدر والمنزلة (قوله لعلى ان أُلْقِ عصاى بذَرَاك وتستقرّ بى النَوَى فى ظلك) الذرى بالفتح كل مااســتترت به والنوى الوجه الذى يقصده المسافر وينويه وهى مؤنثة يقال استقرت بك النوى وقد حَلّ قولَ المعز بن أوس بن حماد

وألقت عصاها واستقرّت بها النوى * كما قــرّ عينـا بالاياب المسافـــر

وقال عوف بن مُحَلِّم بعد منصرفه من عند عبدالله بن طاهر رجعت بالغنى والراحة من النوى وقد كان عبد الله سمع وَرَشَانا يصيح فأنشأ شعرا وأجازه عوف بأبيات يقول فيها

عسى جود عبدالله أن يعكس النوى * فتَضْحَى عصا التَسْيار وهى طريح

ولمناســبة الورشان فى هذه القصة المشهورة ذكر الصــفدى فى شرح هذا الموضع من الرسالة نقلا عن الامام فخر الدين الرازى فى مناقب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنــه حكاية طويلة حاصلها أن رجلا استفتى الامام مالكا رضى الله تعالى عنه فى كونه حلف بالطلاق أنّ قُمْــرِيَّهُ لايهدأ من الصياح وهو رجل يبيع القَمَارِى فقال له طلقت زوجتــك فقام الشافعى من الحلقة وهو يومئذ ابن أربع عشرة سنة فسأل الرجل هل غالب أحوال قمريه الصياح أو السكون قال بل الصياح قال لم تطلق زوجتك فبلغ مالكا فسأله أنّى لَكَ هــذا قال انك حدثتنى عن عبدالله بن يزيد عن أبى سلمة عن عبــدالرحمن عن فاطمة بنت قيس أنها أتت النبى صلى الله عليه وســلم فقالت يارسول الله إن أباجهم ومعاوية خطبانى فبأيهما أتزوج فقال رسول الله صلى الله عليه وســلم أما معاوية فصــعلوك وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وقد علم رسول الله صلى الله عليه وســلم أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح فعلمنا أن المراد أغلب أحواله وكذلك صياح القُمْرِى فتعجب مالك ولم ينكر عليه (قوله وأســتأنِف التأديبَ بأدبك والاحتمال على مذهبك) أى أرجع عما كنت مرتكبه من الطريقة الاولى وآخذ بآدابك وأَسْلُكُ طريقتَك وحدك (قوله فلا أُوجِد للحاسد مَجَالَ لحظه ولا أدَعُ للقادح مَسَاغَ لَفظه) أى اذا اتصفت بمــا تقدّم لايجد الحاسد ولا القادح سبيلا الىّ (قوله والله مُيَسِّرُكَ مِن إطْلَابِى بهذه الطَلِبة وإشْكائِى من هذه الشكوى) أطْلَبَه أسْعَفَه وأحْوَجه ضِدّ والمرادهنا الأول والطَلِبة بكسر اللام ماطلبته من شئ وأشكاه أزال شكواه أو فعل به مايشكوه ضدّ والمراد هنا الاول قال ابن الرومى

تُشْكِي الُمحِبّ وتشكو وهى ظالمة * كالقَوْس تُصْمِى الرَمَايَا وهى مِرْنان

وقال الصفدى

تُشْكِي المحبّ وتشكو * فالقلب لا يطمئنّ

كالقوس تصمى الرمايا * وبعد هــذا تئنّ

(قوله بصنيعة تُصيب منها مكانَ المَصْنَع وتستودعها أحفظَ مستودَع) الصنيعة المعروف والاحسان الى الناس قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يُزهِّدَنّك فى المعروف كُفر مَن كَفَره فانه يشكرك من لم تصنعه اليه (قوله حسب ما أنت خَلِيق له وأنا منك حَرِيّ به وذلك بيده وهَيّن عليه) مرجع الاشارة ماسأله من تلك الصنيعة (قوله ولما توالت غِرَر هــذا النظم الى آخر الرسالة) نوع من سحر البلاغة وزخرفها قال الصفدى وتسميه أرباب البديع الاستجال بعد المغالطة لانه غالط ابن جهور بما خدعه من كلامه المتقدّم ثم أسجل عليه بعد ذلك أن هذا النثر الذى قدمته عَطَفك وأمال بالطافه نفسك فأشفَقَ النظم من ذلك وغار منه فأراد أن يساهمه ويكون له نصيب منك وقد جاء من هذا النوع فى القرآن الكريم قوله تعالى (ربنا وأدخلْهم جناتِ عدن التى وعدتَّهم) (قوله بعد القصيدة لتتأتّى بذلك الاحسان الخ) التأتّى التهيؤ وتأتّى له أى ترفّق وأتاه من وجهه وقال الفراء جاء فلان يتأتى أى يتعرض لمعروفك وبما تقرّر يعلم أن الضمير فى تتأتى إما للممدوح أو للقصيدة هذا وقد عقد الصفدى رحمه الله تعالى آخر شرحه لهذه الرسالة وهو عدّتى فيما كتبت فصلا مخصوصا لانتقاد ابن زيدون فى أمور منها عدم مزاوجته لبعض السجعات اذ قد أتى بواحدة فَذّة وهى قوله الذى ودادى له ومنها أنه كان يجدر به زيادة أبيات تناسب معانى سجعات ذكرها ومنها قوله وتأولت فى بيعة العقبة اذ لم ينقل أن أحدا تأول فيها ومنها قوله وتخلفت عن صلاة العصر فى بنى قريظة مع أنّ ذلك غير منكر ولا يجوز قرنه بتخلّف ابليس عن السجود ونحو ذلك وكذا قوله وزعمت أن إمارة أبى بكر كانت فلتة مع أن هذه الجملة من قول عمر رضى الله تعالى عنه وأمور تشبه ذلك أهمها ماذكرنا رحم الله تعالى الجميع ورحمنا معهم أجمعين وصلى الله وسلم على نبيه وآله ووفاة الصفدى سنة ٧٦٤

الخطب العشر وشرحها

الخطبة الاولى

(لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمات العشر
ونصها بعد الحمد والثناء)

أيها الناس انّ لكم مَعَالِمَ فانتهُوا الى معالمكم وانّ لكم نهايةً فانتهوا الى نهايتكم ان المؤمن بين مَخَافتين بين أَجَلٍ قد مضى لايدرى ماالله صانع به وبين أجل قد بقى لايدرى ماالله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت والذى نفس محمد بيده مابعد الموت مِن مُسْتَعْتَب وما بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار (قوله صلى الله عليه وسلم ان لكم معالم الخ) المعالم جمع مَعْلَم كمقعد مَظِنّة الشئ والأثر يستدل به على الطريق يقال فلان معلم للخير وفى الحديث الشريف تكون الارض يوم القيامة كقُرْصة النَقِىّ ليس فيها مَعْلَمَ لأحد ومثله العلامة والعَلَمَ ومنه قراءة بعضهم وانه لَعَلَمَ للساعة أى أن نزول عيسى عليه السلام الى الارض علامة تدل على اقتراب الساعة والمراد بالمعالم هنا الشريعة المطهرة لانها توضح طريق الخير ليُسلَك والشر ليُترَك ومعنى الانتهاء اليها أن يقف عندها ولا يتعداها قال تعالى (ومن يتعـد حدود الله فقد ظلم نفســه) وذانك الطريقان هما النَجْدان فى قوله تعالى (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) أى بيناهما له بما أرسلنا من الرسل ذكرهما فى سياق الامتنان والمراد الامتنان عليه بأن هداه وبين له الطريق فسلكها تارة وعدل عنها أخرى فلاامتنان عليه بالشر نفسه بل ببيانه وأنّه شرّ ووصف طريق الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف طريق الشر فانه هبوط من ذروة الخيرية الى حضيض الشِقْوة فهو على سبيل التغليب ومن كلامه صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس انما هما نجدان نجد الخير ونجد الشرّ فلِمَ جعلتم نجد الشرّ أحبَّ اليكم من نجد الخير (قوله صلى الله عليه وسلم وان لكم نهاية الخ) النهاية غاية الشئ وآخره ويقال ناهِيْكَ مِن رجل ونَهْيُك منه ونَهَاكَ منه أى حَسْبك معناه أنه بجدّه وغَنَائه ينهاك عن تطلب غيره ويقال هـذه امرأة ناهيَتُك من امرأة يذكر ويؤنث

ويثنى ويجمع لانه اسم فاعل وتقول فى المعرفة هـذا عبدالله ناهيـك من رجل بالنصب على الحال ونهاية الخلق ومصيرهم الى الله تعالى فى الدار الآخرة قال تعالى (وأنّ الى ربك المنتهى) وهو مصـدر بمعنى الانتهاء فيجازَى كل بعمله فالآخرة نهاية العبـد شاء أو أبى فآمر أن ينتهى اليها أى يبلغها بالاعمال الصالحة فى هذه الدنيا اذ هى مزرعة للآخرة وانّ شانَ المؤمن أن يكون بين مخافتين لان أجله المـاضى لايعلم أمقبول فيه عمله فيُدَّخَرله فى الآخرة أم لا كما انه لايعلم أيوفَّق فى أجله الباقى ان كان له أجل الى فعل مايكون ذُخْرا له فى العُقْبَى أم لا وان امرأ أجَلُه بهـذه المثابة ماضِـيه وآتيه لجدير بأن يكون بين مخافتين فليأخذ من نفسه لنفسه بأن يكثر من الخير حال صحته وغنـاه وشبابه اذ لايأمن أن يعوقه عنه سـقم أو فقر أو هرم فاذا فعل ذلك كان قد أخذ من نفسه لنفسه وفى الحديث تعرَّف الى الله فى الرخاء يعرفْك فى الشـدّة اذ ليس بعد الموت مُستَعْتَب من استعتَب أى طَلب الاعتاب أى ازالة الشكوى والعتاب فهمزته للسلب والاصل عتب عليه عَتْبا يَعْتُب ويعتِب أى لامه فى تسخط فليس بعد الموت الا جزاء الاعمـال (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) اذ ليس فى الآخرة أكثر من دارين دار النعيم ودار الجحيم (فائدة) تكررت لفظة بين فى بَيْن أجَل وبين أجل وتحقيق الكلام فيها أنها لفظة تقتضى الاشـتراك فلا تضاف الا الى مثـنى أو مجموع فان أضيفت لواحد عطف عليه بالواو نحو المال بين زيد وعمرو وتكرَّر مع الضمير نحو بينى وبينك للزوم اعادة الجارّ فى العطف على الضمير المجرور فأما قوله تعـالى (لانفرّق بين أحد من رسـله) يُزْجِى سحابا ثم يؤلّف بينـه مذبذبين بين ذلك وقول امرئ القيس بين الدخول فحومل فهى فيهنّ مضافة لمتعدّد معنى لان لفظة أحد هنا تفيد استغراق الجنس اذ هى الاصلية الهمزةِ الخاصةِ بالعقلاء ولا تستعمل الا فى النفى وشبهه بخلاف احد الذى بمعنى واحد فهمزته بدل عن واو لدلالته على معنى الوحدة ولا يختص بالنفى ولا يضاف اليه بين نحو قوله تعالى (قل هو الله أحد) والسحاب جمع والاشارة فى ذلك مؤدّية معنى الفريقين بدليـل لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء والدخول اسم مكان واسع مشـتمل على أمكنة والحقّ أنه يجوز تكرار لفظة بين مع المظهر وانّ ذلك كثير فى كلام

العرب تأكيدا قاله ابن برى فان قلت ماتصنع بقراءة حمزة (واتقوا الله الذى تَسَاءلون به والارحامِ) بجر الارحام اذ قد عطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار قلت ان لزوم الاعادة مذهب بصرى وعدمها صحيح عنـــد الكوفيين فصيح مشهور فى كلام العرب وهذه القراءة من السبعة المتواترة المتصلة بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتراض جار الله على حمزة فيهـا تبع فيـــه المبرد وتبعهما بعض المفسرين وهو اجتراء لايليق بأحد وحمزة رحمه الله تعالى أجلّ قدرا مما توهموه وقد ذهب ابن جنى فى الخصائص الى تخريجها على حذف الجار وأن الاصل و بالارحام لان هذا المكان لما اشتهر فيه ذكر الجار قامت شهرته مقام ذكره وأنشـدوا له شواهد كثيرة هـذا من جهة اللفظ أما من جهة انتظام المعنى فلأن التقوى شاملة لصـلة الرحم سواء قلنا ان المراد تقوى خاصـة بحقوق العباد أو أعم من ذلك فيكون المعـنى على الاول اتقوا الله فى حقوق عباده التى من جملتها صلة الرحم فانكم تعظمون الله وتعظمونها أى تساءلون بها وعلى الثانى اتقوا الله فى حقوقه وحقوق عباده فانكم تَسَاءلون به و بالارحام بأن يقول أحدكم أسألك بالله أو بالرحم فســقط ماقاله ابن عطيـة من أن المعـنى لاينتظم على قراءة الجرّ ولفظة بين فيما سـبق ظرفية فان أضيفت اليها لفظة ذات كقوله تعـالى (وأصلحوا ذات بينكم) احتملت الظرفيـة والفراق أو الوصـل وذات هنا بمعنى صاحبة صفة لمفعول محذوف أى أحوالا ذات افتراقكم أو ذات وصلكم أو ذات المكان المتصـــل بكم على المعانى الثلاثة لبين وقد تستعمل لفظة ذات اسما بمعنى نفس الشئ نحو (عليم بذات الصـدور) فينسب اليها على لفظها من غير تغيير فيقال ذاتى وقولهم فى ذات الله كقولهم فى جنب الله ولوجه الله فانكار بعض النحاة على المتكلمين قولهم الصفات الذاتية فى غير محله ويقـال لابِذى تَسْـلَمُ مافعلتُ كذا أى لا والله الذى يُسَلِّمك وكذا بذى تَسْلَمَان وبذى تَسْلَمون وبذى تسلَمين وبذى تَسْلَمْن ومن قصـيدة لبعض الصحابة رضوان الله تعـالى عليهم أجمعين

ولستُ أبالِى حين أُقتَل مسلمـا * على أىّ شِقٍّ كان فى الله مَصْرَعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارِك على اوصـال شِـلْوٍ مُمَزَّع

وهى قصيدة نفيسة جدّا قالها حين قدّم للقتل وكان أسيرا بمكة المكرمة عند كفار قريش قبل الفتح وعسى أن يتيسر لنا شرحها فى ضمن ماأعددناه للواهب من القصائد الجيدة التى قالها أربابها حال الشدّة ولم تمنعهم تلك الحال عن جودة الشعر والتأنق فيه ان شاء الله تعالى

الخطبة الثانية

(لسيدنا الصدّيق عبدالله أبى بكر رضى الله تعالى عنه خطبها يوم السقيفة)

نحن المهاجرون وأوّل الناس اسلاما وأوسطهم دارا وأكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وأكثر الناس ولادة فى العرب وأمسُّهم رَحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسلَمْنا قَبْلَكم وقدّمنا فى القرآن عليكم فأنتم اخوانُنا فى الدِين وشركاؤنا فى الفَىْء وأنصارُنا على العدوّ آويتم وآسيتم فجزاكم الله خيرا نحن الامراء وأنتم الوزراء لاتدين العرب الا لهذا الحىّ من قريش وأنتم محقوقون أن لاتَنْفَسوا على اخوانكم من المهاجرين ما ساق اللهُ اليهم ان هذا الامر وان تطاولت له الخَزْرَج لم تَقْصُر عنه الأَوْس وان تطاولت له الاوس لم تَقْصُر عنه الخزرج وقد كان بين الحَيَّيْن قَتْلَى لاتُنْسَى وجِرَاح لاتُدَاوَى فان نَعَق منكم ناعق فقد جلس بين لَحْيَي الأَسَد يمضغه المُهَاجرىّ ويجرحه الانصارى (قوله المهاجرون) من الهجرة وهو اسم من هاجر مهاجرة أى فارق بلدا الى غيره والمراد بهم من هاجر الهجرتين أو احداهما هجرة الحبشة وهى مرّتان والهجرة من مكة الى المدينة المنوّرة ويطلق المهاجرون فى مقابلة الانصار وهم أبناء الأَوْس والخَزْرَج غلبت عليهم الصفة وهم من قبائل الأَزْد بن الغَوْث بن ثَبْت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ أخى جرهم وحضرموت أبناء قحطان (قوله وأوّل الناس اسلاما) لكونه رضى الله تعالى عنه أوّل من أسلم من الرجال هذا بالنسبة لخصوصه وأما بالنسبة لعموم المهاجرين فهم أيضا أسبق للاسلام من الانصار لأنهم أهل مكة حيث ابتداء مطلع شموس الرسالة أما الانصار فكانوا بالمدينة المنوّرة وابتداء اسلامهم فى سنة احدى عشرة من النبوّة وكانت الهجرة الى المدينة فى سنة أربع عشرة من البعثة (قوله وأوسطهم دارا) وسط الشئ بالتحريك مابين طرفيه كأوسطه فاذا

سكنت السـين كانت ظرفا أو همـا فيما هو مصمت كالحلقة فاذا كانت أجزاؤه متباينة فبالاسكان فقط أو كل موضع صلح فيـه بين فهو بالتسكين والا فبالتحريك والوسط من كل شئ أعدله قال تعـالى (وكذلك جعلناكم أمة وسـطا) أى عدلا خيارا وفلان وسـيط فى قومه أى أوسطهم نسـبا أى أرفعهم محلا (قوله وأكرم النـاس احسابا) الحسب الشرف الثابت لك ولآبائك أو يكونِ الحسب والكرم للانسان وان لم يكن لآبائه شرف والاول قول الازهرى قال وقوله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لحسبها أحوج أهل العلم الى معرفة الحسب لانه مما يعتبر فى مهر المثل فالحسب الفَعال له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عدّ المناقب لانهـم كانوا اذا تفاخروا حسب كل منهم مناقبه ومناقب آبائه غير ان قول الشاعر

ومن كان ذانَسْب كريم ولم يكن * له حَسَب كان اللئـيم المذمَّـا

يشهد للثانى فانه جعل الحسب فعال الشخص كالشجاعة وحسن الخلق والجودومنه حسب المرء دينه وأماالنسب فهو مصدر نسبته الى أبيه من باب طلب عزوته ويكون من قبل الاب ومن قبل الأم وينسب الى مايوضح من أب وأم وحىّ وقبيلة وبلد وغير ذلك ويقدم العام على الخـاص فيقال القرشى الهـاشمى والقبيلة على البلد فيقال القرشى المكى ثم استعمل النسب وهو المصدر فى مطلق الوصلة بالقرابة فيقال بينهما نسب أى قرابة سواء جاز بينهما التناكح أم لا ومن هنا استعيرت النسبة فى المقادير لأنها نسـبة على وجه مخصوص فنسبة العشرة الى المائة العشر أى مقدارها ذلك (قوله وأحسنهم وجوها وأكثرهم ولادة فى العرب) معنى أكثرية الولادة فى العرب قلة تخلل الاماء فى النسب وهو كالتعليل لأحسنية الوجوه وذلك ان أعلى الجمـال فى العرب خاصة وهو فى سواهم أدنى وكانوا يسمون من أبوه شريف وأمه وضـيعة (والاصل فى ذلك أن تكون أمة) بالهجين واذا كانت الأُمّ كريمة والابن خسيسا قيل له المُذَرَّع قال الفرزدق

اذا باهلىّ تحتـه حنظلية * له وَلَد منها فذاك المُذَرَّع

وقال آخـــر

ان المذرع لاتُغْنِي خُؤلَتُــه * كالبغل يَعْجَز عن شوط المَحاضِير

جمع محضير وهو الفرس السريع وانما سمى المذرع للرقمتين فى ذراع البغل وانما صارتا فيه من ناحية الحمار قال هُدْبة

ورثت رقاشِ اللُّؤمَ عن آبائها * كتوارث الحُمُرات رقْم الاذرُع

ويقال لذلك المُقْرِف أيضا كما تقدم وانما قيل له الهجين من أجل البياض المفرط وكأنهم قصدوا قصد الروم والصقالبة ونحوهم وهم يسمّون المَوَالى وسائر العجم الحمراء ولكون أصل الهجين بهذا المعنى قالوا امرأة هِجان أى كريمة وهذا جَنَاىَ وهِجَانُه فيه أى خِياره وسمى الصديق عتيقا لانه لم يكن فى نسبه شئ يُعَاب به كذا فسره بعضهم (قوله وأَمَسّهم رحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى قريشا أو نَفْسَه لانه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم فى جدّه مُرّة بن كعب بين كل منهما وبين مرة ستة أشخاص (قوله آويتم وآسيتم) يقال آواه بالمكان ايواء أنزله به وأَوَى هو يأوِى كرَمَى يرمِى أُوِيّا على فُعُول ويقال آساه بماله مؤاساة جعله اسوته فيه ويقال واساه وهى ضعيفة وقد آوت الانصار المهاجرين وآستهم اذ آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فعقدوا عقد المؤاخاة والمعاونة والمواساة وكتبوا بذلك كتابا فى دار أنس والتأم شمل الحيين الاوس والخزرج ببركته صلى الله عليه وسلم بعد أن كان بينهما من العداوة مااستعرت به الحروب مائة وعشرين عاما آخرها يوم بعاث بضم الباء الموحدة وفتح العين المهملة ويقال بالغين المعجمة أما ماذكره المجد من تثليث بائه فغير معروف وكان ذلك اليوم عام أحد عشر من النبوّة قبيل ابتداء اسلام الانصار وكان مما تضمنته هذه المؤاخاة أن يتوارثوا بعد الممات دون ذوى الارحام فاستمروا على ذلك الى وقعة بدر أو الى فتح مكة فنسخ بقوله تعالى (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) وقد ذكر الله تعالى المهاجرين والانصار كثيرا مقدّما المهاجرين كقوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) ثم قال فى الانصار (والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم) أى المدينة المنوّرة من قبل قدوم المهاجرين (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أى لايحسدون المهاجرين

على ماآتاهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير المختصة به وكان ايثار الانصار للمهاجرين فى كل شئ من أسـباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما و يزوّجها واحدا من المهاجرين والخصاصة الحاجة والايثار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الآخرة ومنشأ ذلك قوة اليقين أى يؤثرون على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم لاعن غنى بل مع احتياجهم اليها ولقـد بلغ بهم الايثار الى أن أحدهم أهدى له رأس شاة فقال ان أخى فلانا وعياله أحوج منا فبعث الهدية اليهم فقالوا مثله وبعثوها الى ثالث حتى بلغت سبعة أبيات ثم عادت الى الاول (قوله لاتدين العرب الا لهذا الحى من قريش) أى لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وقدموا قريشا ولا تَقَدّموها ثم حذّرهم رضى الله تعالى عنه سوء العاقبة لو تشوّفوا لهذا الامر وهو الخلافة بقوله ان هـذا الامر وان تطاولت له الخزرج الخ أى أن احدهم لو تطلبه تطلبه الآخر فيحصل الشقاق بين نفس الانصار بعضهم مع بعض و بينهم وبين المهاجرين فانظر كيف تضمنت هـذه الخطبة اقامة الحجة على فضل قريش والمهاجرين مع عدم بخس الانصار نصيبهم من الفضل والاعتراف لهم بسابقة الجميل ثم اختصاص الخلافة بقريش وان الانصار أجدر أن لاينْفَسوا عليهم ذلك أى يحسدوهم ثم كمال النصح والموعظة والتحذير ممـا يوجب النفرة واثارة النفوس وشق عصا الطاعة مع الايجاز والوفاء بذلك كله كما ترى فرضى الله تعالى عنهم أجمعين (فائدة) السَقِيفة الصُّفّة أى الظُلّة وسقيفة بنى ساعدة ظلة كانوا يجاسون تحتها وفيها بو يع الصديق رضى الله تعالى عنه وأما بنو ساعدة الذين أضيفت لهم السقيفة فهم حَىّ من الانصار وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ابن عمـرو منهم سـعد بن عُبَادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبى خُزَيمة بن ثعلبة بن طَرِيف ابن الخزرج بن ساعدة وهو القائل يوم السـقيفة مِنّا أمير ومنكم أمير (فائدة أخرى) من أعذب المدائح العربية ونوابغ الحكم مع الايجاز قول خُفَاف بن نُدْبة يمدح الصديق رضى الله تعالى عنه

ليس لشئ غيرَ تَقْوى جَدَاء * وكُلُّ شئ عُمْـرُه للفَناء
انّ أبا بكر هو الغَيث اذ * لم تشمَل الارضَ سحابٌ بماء

تالله لا يدرك أيامــه * ذوطُرّة حافٍ ولاذُو حذاء
مَن يَسْعَ كى يدركَ أيامَه * يجتهد الشَّدَّ بأرضٍ فَضاء

وصح انه رضى الله تعالى عنه لم يقل شعرا ولا شرب خمرا لافى جاهلية ولا فى اسلام وكذلك عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين

الخطبة الثـالثـــة

(لا مير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه)

انمـا الدنيــا أمَل مُخْتَرَم وأجَل منتقِض وبَلَاغ الى دارٍ غيرها وسَيْر الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأفكر فى أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه بئس الجار الغَنِيّ يأخذك بمـا لايعطيك من نفسه فان أبيت لم يَعْذِرْك اياكم والبِطْنة فانها مَكْسَلة عن الصلاة ومَفْسدة للجسم ومُؤَدِّية الى السُقْم وعليكم بالقصد فى قُوتكم فهو أبعد من السَرَف وأصحّ للبــدَن وأقوى على العبادة وان العبــد لن يهلِك حتى يُؤْثِر شهوتَه على دِينــه (قوله انمـا الدنيا أمل مخترم) الدنيا من دنا يدنو دُنُوّا أى قَرُب سميت بذلك لدنوها والجمع دُنًى ككبرَى وكُبَر والنسبة اليها دنياوى وقيل دُنْيَوِىّ ودُنْيِىّ فان قلت مابالهم لم يقولوا فى دنيا دُنْوَى كما قالوا فى قُصْــيَا وهى لغة أهل نجد قُصْوَى وهى لغة أهل العالية وهى مافوق نجد الى أرض تِهامة والى ماوراء مكة فالجواب ان الناقص ان كان على فَعْلَى بفتح الفاء فالواوىّ منه لاتقلب واوه ياء سواء كان اسما كالدَعوى والفَتوى أمْ صفة نحو شَهوى مؤنث شَهْوان وذلك لوجود التعادل بين خفة الفتحة أوله وثقل الواو آخره أما اليائى فقد علّل منه الاسم نحو التقوى والبَقْوى وهى اسم من أبقيت عليه رحمته بقلب يائه واوا وأبقيت الصفة على حالها للفــرق ولجدارتها بالتخفيف لثقلها نحو صَــدْيا ورَيّا فان كان على فُعْلَى بضم الفاء فاليائى منه لايغيَّر سواء كان اسمــا كالفُتْيا أو صــفة كالقُصْيا لحصول الاعتدال بلا تغيير بضم أوله مع الياء آخره وأما الواوى فتقلب واوه ياء طلبا لذلك التعادل ان كان اسما كالدُنْيا والعُلْيا وشذّ قُصْوَى وحُزْوَى وهذا القلب فرقا بين الاسم والصــفة كالغُزْوَى من غَزِىَ فلان اشتدّ غضبه والحاصل أنهم أرادوا التفرقة بين الاسم والصفة فى فَعْلَى المفتوح وفُعْلَى المضموم فقَلَبوا فى الاسم ولم يقلبوا فى الصــفة فرقا بينهما ولم يعكسوا لانّ الاسم لخفته

بالتغيير أولى ثم خَصّوا فَعْـــلَى المفتوحَ بقلب يائه واوا والمضمومَ بقلب واوه ياء تفرقة بينهما ولم يعكسوا لان المضموم الفاء أثقل فكان أولى بقلب واوه ياء طلبا للخفة ألا تراهم لـما ضموا الاول فى بقيا أبقوا الياء ولما فتحوا عادلوا بقلبها واوا كما سبق فان قلت كيف تجعل الدنيا والعليا والقصيا أسمـاء مع انك تصف بهنّ فتقول الدار الدنيا والمنزلة العليا والغاية القصوى قلت الوصف بهما لايكون الا حالة التعريف فلا تقول دار دنيا ولا منزلة عليا الخ وشأن الصـفات أن تكون مختلفة تارة نكرة وتارة معرفة فلما اختصت هذه بأنها لاتكون صفة الا فى حالة التعريف صارت اسميتها أرجح (فائدة) ألف تقوى للتأنيث فهى غير مصروفة وقرئ بالتنوين على تقوًى من الله ووجهه أنه جعل الالف للالحـاق بجعفر كما جعلت كذلك فى تَتْرًى على قراءة من نونها والامل الرجاء أمله يأمله كنصر أملا بالتحريك واخترم فلان بصيغة المجهول مات واخترمته المنية أخذته ونقض البناء والحبل والعهد من باب نصر ضــدّ الابرام كالانتقاض والبلاغ الايصال اسمٌ مِن أبلغ وبلّغ أو مصـدر بَلَغ الكتاب وصَلَ والتعريج على الشئ الاقامة عليـه وكذا التعرّج وأصل المعنى الميل والانعطاف ويقال اسـتقاله البيع فأقاله والاصل أقاله الله عثرته أى رفعه من سقوطه ولا شك ان إقالة البيع رفع العقد أى فسخه والبِطْنة الامتلاء الشديد من الطعام والقصد بين الاسراف والتقتير والمعنى أنه لابدّ لكل انسان فى هذه الدنيا من أمل يأمُله أَجَلا كان أو غيره ولا بدّ مع ذلك من حيـلولة الموت دون ذلك الامل فيخترمه وذلك الاجل المأمول فينقضه ولا بدّ أيضا من الوصول منها الى الآخرة والسير الى الموت تَوًّا أى بلا تعـريج اذ لاواسطة بينهـما فكانت لذلك كانهـا نَفْس الامل والاجل والبلاغ والسير مبالغة ولما كان ذلك داعيا للتفكر لانه من أعظم العِبَر قال فرحم الله امرأ الخ لان من تفكر فى ذلك هان عليـه أمر الدنيا ولم تتشوّق نَفْسه الى زخارفها كالغِنَى ونحوه ولذا ناسب تعقيب ذلك بقوله بئس الجارُ الغِنَيّ الخ أى انه يُلزِمك لنفسه مالا يلتزم لك به بسبب كونه غنيا فالغِنَى اذَن ليس مما يَتَنَافَس فيــه العقلاء المفكّرون فيما ذكر وهو أَشْـبه شئ بالبطنة ربّما كانت سببَ الحَتْف وفى حديث البخارى المُكْثِرون هم الاقلّون يوم القيامة الّا مَنْ قال هاءَ وهاءَ أى ان شأن المال الكثير أن يَشْغَل أربابه

عن الطاعة فتكون طاعتهم قليلة الاّ مَن أنفقه فى أنواع البِرّ وقال خُذْ وخُذْ ومن هــذه الوجهة يُحمَد المــال كما يُذَمّ من تلك وعليهما يُحمَل جميع ماورد فى الكتاب والسنة من ذم المال ومدحه أى انه انما يذم اذا لم يُنفَق فى الطاعات والقُربات وأنواع الخيرات المُخلَّدة فى دار الحق لان الله تعــالى ماخلق لك الدنيا الا لتنتفع بها انتفاعا أبديا قال الحــافظ ابن حجر والمراد بالدنيا المذمومة مافى قوله تعــالى (زين للناس حب الشهوات) الآية الكريمة ويجمع ذلك كل مالك فيــه عاجل حَظّ أو شهوة من غير أن يُعين على عمل أخروى او يُقصَــد به اه ولمــا ذكَر مضارّ البطنة دينا وبدَنا ذكَر منافعَ ضــدّها وهو القَصْد كذلك ثم ختم ذلك الدرَّ المنثور المتّسقة جُمَلُهُ أكمل اتّساق بكلمة جامعة لشــتات الفضائل ومكارم الاخلاق المقتبســة من مشكاة النبوة وهى وان العبــد لن يهلِك حتى يُؤْثِر شهوتَه على دِينه إى وربِّ الكعبة ولو كان لسعة المقال مجال لحرّرنا على هذه الكلمة أسفارا عديدة ثم لانكون قضيناها حق قدرها وذلك لانطباق جزئيات الضرر الدنيوى والاخروى على تلك الكلمة أى انك لاتجد نوعا من أنواع ذلك الضرر الا وسببه ايثار الشهوة على الدِين اللهم تولّنا بهدايتــك وارْعَنا برعايتك وقد وقع لعمر بن عبــدالعزيز رضى الله تعالى عنــه كثير من ألفاظ هذه الخطبة فى احدى خطبه ولا بِدْع فأُمُّه من بيت الفــاروق لانها أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعــالى عنهــم أجمعين قال عُتْبة بن شَمّاس يمدح عمر بن عبدالعزيز وذكَر نَسَبه

انّ أَوْلَى بالحــقّ فى كل حق * ثم أَحْرَى بأنــ يكونَ حقيقا

مَن أبوه عبــد العزيز بنُ مَرْوا * نَ ومَن كان جــدّه الفــاروقا

ردّ أموالَنــا علينا وكــانت * فى ذُرَى شاهق يفوت الأَنُوقا

والأَنوق الرَخَمة الانثى ومن أمثال العــرب هو أعزّ مِن بَيض الأَنوق وذاك انهــا تبيض فى رؤس الجبــال فلا يكاد يوجد بيضها لبعــد مطلبه وعسره يقولون لمن طلب الامر العسير سألتَنِي بَيضَ الأَنوق فان سأل مُحالا قيل له سألتنى الأَبْلَقَ العَقُوق وانمــا هو الذكَر من الخيــل وهو لايكون عَقوقا لان العقوق الفــرس اذا حملت فامتــلا بطنها فالا بلق العقوق محال

الخطبة الرابعـــــة

(لسيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه لمّا نُقِم عليه)

لكل أُمة آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هـــذه الامّة وعاهة هــذه النعمة عَيّابون طَعّانون يظهرون لكم ماتحبون ويُسِرّون ماتكرهون طَغَام مِثْــل النَعام والله ماتَغَنَّيْتُ ولا تمَنَّيت ولا زَنَيت فى جاهلية ولا اســلام وما تَرَكْتُ ذلك تأثُّمــا ولكن تَرَكْتُه تكَرُّما نَقَم عليــه كَضَرَب عتب وكذا نقم الامر كرهه ونقم منـه كذا والامّة بتثليب الهمزة فبالفتح الشجّة التى تصــل الى أمّ الدِماغ وهى الجلدة التى تجمعه ويقال لها أمّ الرأس وهى إما مقصورة من آمة بالمدّ أو لغة فيها وبالكسر النعمة وبالضم الجماعة وكل جنس من الحيوان وفى الحـــديث لولا أن الكلاب أمّة من الامم لأمرت بقتلها وأمّة النبى أتباعه والآفة عرض يفسد مايصيبه وهى العاهة وإيف الشئ كقيل اصابته الآفة فهو مَؤُف ومَئِيف والقومُ أُوفُوا ولايستعمل المفعول الّا على النقص كما رأيت حتى قالوا ليس فى العربية من ذوات الواو مفعول على النقص والتمــام معا الا حرفان ثوبٌ مَصُون ومَصْوُون ومِســك مَدُوف ومَدْوُوف وهذا هو المشهور عن العرب ومن الأئمة من طرد ذلك فى جميع الباب ولم يقبل منه ومعنى مدوف مخلوط ممزوج بالمــاء أو غيره وقيل مسحوق وعاهَ المــالُ يعيهُ اصابتــه العاهة أى الآفة فهو مَعْيُوه والطغام كسحاب أوغاد الناس يستوى فيه الواحد والجمع وقيل الواحد كسحابة والاثم الذنب والاثام كسحاب جزاؤه وتأثّم كفّ عن الاثم والتكرّم تكلف الكرم قال الشاعر العربى

تكرّمْ لتعتادَ الجميــلَ فلن ترى * أخا كــرم الا بأنــ يتكرّما

وسبب النقم على عثمان رجل يقال له عبدالله بن سبأ ويعرف بابن السوداء كان يهوديا وأسلم فلم يحســن اسلامه وأخرج من امصار عديدة فلحق بمصر وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو فى السّرّ لاهل البيت ويقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم يرجع كما يرجع عيسى وعنه أَخَذَ ذلك أهل الرجعة وانّ عليّا هو الوصيّ وان عثمان أخذ الامر بغير حق ويحرّض الناس على القيام فى ذلك والطعن على الامراء فاستمال الناس بذلك فى الامصار وكاتب به بعضهم بعضا بل هو السبب فى بلية هذه الامة والا فعثمان رضى الله تعالى عنه

من جملة الخلفاء الراشدين ومذهب أهل السنة ان ترتيبهم فى الفضل كترتيبهم فى الخلافة وقد قيل فيه ونسب لنائلة زوجه

أَلَا انّ خيرَ الناس بَعْـــدَ ثلاثةٍ * قَتِيل التُجِيبِيّ الذى جاء مِن مصر

نسـبة لتُجيب بطن من كِنْدة منهم كنانة قاتله أمّا تَجُوب فقبيلة من حمير منهم الشقى ابن مُلْجَم قاتل علىّ عليه السلام وجميع مانُقِم على عثمان له فيه نُدْحه شرعيّة غير أن الله تعالى اذا أراد أمرا يسَّرَ أسـبابه وقد ثبت فى الصحيح انه وابن الخطاب شهيدان هذا ماندين الله به وكذا لانخوض فيما شجر بين الصحابة بل نعتقد أنهم جميعا مأجورون ولا أقلّ من أجر الاجتهاد ومَن قَدَح فى واحد منهم فقد أرضى الشـيطان بارضاء ذلك اليهودى وأسخط الله ورسوله وذلك سمّ قاتل فى الدين (لطيفة) شكا عبدُالله بن يزيد بن معاوية الى أخيه خالد عَبَثَ الوليد بن عبد الملك بِخَيْله فذكَر ذلك خالد لعبـدالملك فقال له والوليد حاضر (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسـدوها) الآية فقال خالد (واذا أرادنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) الآية فقال عبـد الملك أفى عبد الله تكلمنى والله لقـد دخل علىّ فمـا أقام لسانه لحنا فقال خالد أفعلى الوليـد تعوّل فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبدالله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليـد اسكت ياخالد فوالله ماتُعَدّ فى العِير ولا فى النَفِير فقال خالد اسمع ياأمير المؤمنين ثم أقبل عليه فقال ويحك فمَن العِير والنفير غيرى جدّى أبوسفيان صاحب العير وجدّى عُتْبة بن ربيعـة صاحب النفير ولكن لو قلتَ غُنَيمات وحُبَيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت فالعير هى عير قريش التى أقبل بها أبوسفيان من الشام فقصدها المسلمون فهرب بها أبوسفيان وبلغ الخبر قريشا فنفر منهم نفر ليدفع عن العير فجاؤا فكانت وقعة بدر الكبرى وهم النفـير وكان شـيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو جد خالد من قبل جدته هند بنت عتبة أم معاوية ومن أمثالهم

لستَ فى العِير يوم يَحْدون بالعيـ * ـر ولا فى النّفير يوم النفـير

ثم اتسع هـذا المثل حتى صار يقال لمن لايصلح لخير ولا لشر ولا يُحْفَل به لافى العير ولا فى النفير (قوله غنيات وحبيلات الخ) يعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم لمّـا

أطرد الحكم بن أبى العاصى بن أميــة وهو جدّ عبـد الملك بن مروان لجأ الى الطائف فكان يرعى غنيمات ويأوى الى حُبَيْـلة وهى الكَرْمة (قوله رحم الله عثمان) أى لردّه اياه وكان عثمان اســتاذن رسول الله صلى الله عليه وســلم فى ردّه متى أفضى الامر اليه ولا يلزم أن يكون ذلك الاستئذان والافضاء بنصّ صريح لِمَ لايجوز أن يكون بضروب من الاشارات وأنواع المفاهيم لان لذلك نظائر كثـيرة ألا تراهم يوم السـقيفة احتجّوا على كون الخـلافة فى قريش دون الانصـار بأن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم أوصى قريشا بالانصار فلوكانت فيهـم الخلافة لمـا أوصى بهم فقبـلوا ذلك بلا نزاع ولا مكابرة الاما كان من سـعد فانه تأخر عن البيعـة ثم بايع فلا يكن فى صـدرك حرج مما ذُكر اذا تقـرر ذلك وضح لك أن فتنة مقتـل عثمان رضى الله تعالى عنـه هى معظم آفة الأمة بسبب أولئـك الطّعّانين الذين أثارهم اليهودى اللعين وانمـا شـبههم بالنعام لان به يضرب المثـل فى الجبن والحمق اذا خاف شـيأ لايرجع اليه أبدا ومعلوم انهم شَبُّوا الفِتْنة ثم تَنَحَّوْا عنها فوقعت فيها الاكابر أولَمـا أضمروا فى أنفسهم من اختلاق أسباب هذا الشرّ وهى لايكاد يتحمل إضمارها قَلْب مُسْلِم والمراد بهـم ذلك اليهودى وبعض من وافقه ممن لاخلاق له ولا ريب ان معدة النعام تذيب العظم الصلب والحجر قال الجاحظ فى كتاب الحيوان من زعم ان جوف النعام انمـا يُذيب الحجارةَ لفرط الحرارة فقـد أخطأ ولكن لابد مع الحرارة من غَرائز أُخَر بدليل انّ القِدْر يوقَد عليها الايام ولا تذيب الحجارة قال كما انّ جوف الذئب والكلب يذيبان العظم ولا يذيبـان نَوَى التمر وكما انّ الابل تأكل الشوكَ وتقتصر عليه وان كان شديدا كالسَّمُر وهو شجر أمّ غَيْلَان وتُلْقِيه رَوْثا واذا أكلت الشعير ألقته صحيحا اه (فتبـارك الله أحسن الخالقين) قلت وقد سمعت من المرحوم سلطان باشا ان نعامة بمنزله ابتلعت عددا عظيما من الذهب المضروب بجنيهات نسيت مقداره الان فأمر بمراقبتها فألقته سبيكة وانه شـاهد ذلك بعينه فى جملة من خدامه ومن حمق النعام أن ينسى بيضه ويَحْضُن بيض غيره وذلك مشهور فى أشعارهم قال

فانّى وتَرْكى نَدَى الأكْرَمين * وقَدْحِى بكَفِّى زِنادا شِحَاحا
كتاركةٍ بَيْضَهـا بالعَــراء * ومُلْبسةٍ بيضَ أخرى جَناحا

يريد أنه مثلها فى الحمق اذ ترك استجداء الكرام وطفق يستجدى اللئـام ثم ان عثمان رضى الله تعالى عنــه تحدث بنعم الله تعالى عليه فقال ماتَغَنَّيْتُ الخ يقال تَغَنّى وغَنّى من الأغْنِيّة كأُحْجِيّة واحدة الأَغَانِي أى انه لم يركن الى لَهْوٍ قطّ ولا تَمَنَّيْت أى تركت العَمَل أتكالا على الامانِي لان ذلك مذموم شرعا فقد عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن يترك العمل ثم يتمنّى على الله الامانِيّ أو التمنّى الكذب أى ما كذبت وقال أعرابى لقَصّاص هذا شئ رَوَيتَه أو تمنّيته وهذا أنسب لقوله فى جاهلية ولا اسـلام لانه متنازَع للعوامل الثلاثة فيُعمَل الآخر ويُضْمَر فى الأَوَّلين نحو تسبّحون وتحمَدون وتكبّرون دُبُرَ كلّ صـلاة الحديث الشريف ثم ذكر عثمان ان ذلك أى تَرْك ماذكر خُلُق له فى الجاهلية والاسلام تكرّما لاتأثّمـا وذلك لكمال استعداده للخير من أصــل الفطرة لان الأُمّة العربية خُلِقت مستعدة للخير متفاوتةً فى ذلك فمنها من هو كامل الاستعداد للخير بقسميه الدينى والدنيوى ومنها من سبق له الشقاء فلم يحْظَ بغير الدنيوى كاجارة الجار وحماية الذِمار واكرام النزيل واغاثة الملهوف الى غير ذلك من مكارم الاخلاق التى خصّتهم بهـا العِناية الالهيــة دون مَن سواهم من البشر أجمع والله يختص برحمته من يشاء

الخطبة الخامســة

(لامير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه)

هَلَكَ من ادّعى ورَدِىَ مَن اقتحم فانّ اليمين والشمال مَضَـلّة والوُسْطى الجادّة مَنْهَجٌ عليه الكتاب والسـنة وآثار النبوّة ان الله داوَى هذه الامة بدواء من السوط والسيف لاهَوادة عنــد الامام استتِروا ببيوتكم وأصلحوا فيما بينكم والتوبة من ورائكم مَن أبْدَى صَفْحَتَه للحقّ هَلَكَ قد كانت أمور لم تكونوا فيها عنــدى محمودين أما أنا لو أشاء لقلت عفا الله عما سالف سَبَقَ الرَجُلان ونامَ الثالث أنظروا فان أنكرتم فأنكروا وان عرفتم فأقِرُّوا حَقٌّ وباطل ولكلٍّ أهْل (قوله ردِى) كرضِى رَدًى هلك واقتحم الأَمْرَ وقَحَم فيه من باب خضع رمَى بنفسه فيه من غير رَوِيّة ويقال أرض مضلة بفتح الميم مع فتح الضاد وكسرها أى يضل فيهـا الطريق والجادّة وَسَط الطريق ومعظمه والمنهج الطريق الواضح كالنهج

والمنهاج والهوادة اللين واذَّعَيْتُ الشئ تمنيته وادعيته طلبته لنفسى والاسم الدعوى وقد يتضمن الادعاء معنى الاخبار فتدخل الباء جوازا يقال فلان يدّعى بكَرم فعاله أى يخبر بذلك عن نفسه وجَمْع الدعوى الدعاوِى بكسر الواو وفتحها ومثلها الفتاوِى والمعنى هلك من تمنى وترك العمل كما تقدم أو هلك من طلب غير حقه أو هلك من مدح نفسه وزكاها والادّعا لايكون إلا لامر غير محقّق الثبوت ألا ترى انه لايسع أحدا أن يقول ادّعى زيد أنه انسان وانما كان المدعى هالكا سواء قلنا انه المتمنِّى أو الطالب غير حقه أو المزكِّى نَفْسه لأنّ هذا الادعاء من شأنه أن يحمله على اقتحام الامور العظيمة بلا روية فيردّى لتجشمه طَرفى قصد الامور وهما الافراط والتفريط أما الافراط فلاقدامه على عظائم الامور وتورّطه فى ذلك وأما التفريط فلتقصيره فى اعداد الاسباب مع أن القصد وطرفيه أشبه شئ بالطريق بجانباها من جهة اليمين والشمال هما ذانك الطرفان ووسطها وهو الجادّة هو القصد وهو بالضرورة أوضح وأظهر بخلاف الجانبين فان المضلة فيهما أقرب أى أنه متى وضح الحقّ وجب اتّباعه ولا يُعْدَل عنه وهذا هو نهج الكتاب والسنة وآثار النبوة وفى الحديث الشريف ان هذا الدين متين فأوْغِلْ فيه برِفْق ولا تُبَغّض الى نفسك عبادةَ ربّك فانّ المُنْبَتّ لاأرضًا قطع ولا ظَهْرا أبْقَى المتين الشديد وأصل الايغال الدخول ومنه الواغل وهو الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يُدْعَى ومثله الوارش فى الطعام وهو الطفيلى وقال الحسن لمُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير الحَرَشىّ يامُطَرِّف عِظْ أصحابَك فقال انى أخاف أن أقول مالا أفعل فقال الحسن يرحمك الله وأيُّنا يَفعل مايقول لَوَدّ الشيطانُ أنه ظفر بهذه منكم فلَم يأمر أحد بمعروف ولم يَنْه عن منكر أى لانّ ترك العمل والموعظة مَعًا ليس من القصد فى شئ وقال مطرّف لابنه ياعبدالله العلم أفضل من العمل والحسنة بين السيئتين وشرّ السير الحَقْحَقة ومراده بالعمل العمل المجرّد عن العلم ومعنى كون الحسنة بين السيئتين أنها بين فعل المُقَصّر والغالى وخير الامور أوساطها والحقحقة أن يستفرغ المسافر جهدَ ظَهْره فيقطعه فيُهلك ظَهْره ولا يَبْلغ حاجتَه يقال حقحقَ السير اذا فعل ذلك قال الراجز

* وانْبتّ فعْلَ السائر المُحَقْحِقِ * فالمحقحق هو المُنْبَتّ ولَقِيَ الحسنُ سابقَ الحاجّ وقد

أسرع بجعل يومئ اليه بأصبعه فِعْلَ الغازلة وهو يقول خَرقاءُ وَجَدَت صوفا وهو مَثَل يُضرب للرجل الاحمق الذى يجد مالا فيعيث فيه ونظرت عائشة رضى الله تعالى عنها الى رجل متماوت فقالت ماهذا فقالوا أحد القرّاء فقالت قد كان عمر بن الخطاب قارئا فكان اذا قال أسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجع ونظر عمر الى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه بالدِّرّة وقال لاتُمِتْ علينا دِينَنا أماتك اللهُ أى لانّ الدين مبنى على الشهامة والحماسة والجِدّ والنشاط وعدم التوانى والكسل حتى لقد كانوا يستحبون جَهارة الصوت وفخامته ويحمدون ذلك قال مادح الرشيد

جَهير الكلام جهير العُطاس * جهير الرُّواء جهير النَغَمْ
ويَخْطو على الأيْنِ خَطْوَ الظَّليم * ويَعْلو الرجالَ بخَلْقٍ عَمَمْ

الرواء حُسْن المَنْظَر أى أن جماله واضح غير مستتر والاين الاعياء والعمم الجسيم وكان العباس بن عبد المطلب أجهر الناس صوتا ولذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس يومَ حُنَين ياعباس اصرُخ بالناس ويروى أنه صاح يوما ياصَبَاحاه وقد دهمتهم غارة فاستسقط بعضَ الحوامل لشدّة صوته وذلك معقول اذا كان مفاجأة آتيا من حيث لم يَعْتَد وبه أجيب عن قول النابغة الجعدى

وأَزْجُرُ الكاشِحَ العدوَّ اذا اغـ * ـتابَكَ عندى زجرا على أَضَم
زَجْرَ أبى عُرْوَةَ السباعَ اذا * أشفَقَ أن يختلِطْنَ بالغَنَم

الكاشح مُضْمِر العَداوة والفعلُ من باب قَطَع وكاشَحَه أيضا والاَضَم الغَضَب والحِقْد والحَسَد وذلك أن الرُّواة احتملت هذا البيت على أنه كان يزجر الذئاب ونحوها مما يُغير على الغَنَم فيفتُق مرارةَ السبع فى جوفه فقال الطاعنون فى ذلك انّ السبع أشدّ أيْدًا أى قوّة من الغَنَم فكانت تهلك قبله وقال من يحتج له ان الغنم كانت قد أَنِست بهذا منه والصوت الرائع أُنْس لمن أَنِس به كالرعد القاصف الذى لولا خشية صاعقته لم يُفْزِع كبيرَ فَزَع ولو جاء أقلّ منه من جوف الارض لَذَعَر ولم يَبْعُد أن يَقْتل اذ أتى من حيث لم يُعْتَد وكانوا يستحبّون أيضا تمرين الاعضاء على العمل ورياضتها بالحركة قال الجاحظ عن محمد بن الجهم أقبلتُ على الفكر فاعترتنى حُبْسة فى لسانى قال وهذا لانّ

اللسان يحتاج الى التمرين على القول حتى يخفّ له كما تحتاج اليَـدُ الى التمرين على العمل والرِّجل الى التمرين على المَشْى وكما يعانيه موتِر القَوس ورافعُ الحجَر لِيصْلُب ويشتدّ وذلك معروف فى أشعارهم قال الراجز

كأنّ فيــه لَفَفًا اذا نطــق * من طول تحبيس وهمّ وأَرَق

قلت ومن هـذا القبيل الجمباز المعروف الآن عنـد الاجانب واللفف ادخال حرف فى حرف ويكرهون الافراط فى الرفاهية قال أبو خِرَاش يصف ولده خراشا

ولم يكُ مَثْـلُوجَ الفـؤاد مُهبَّجًا * أضاع الشبابَ فى الرَبِيلة والخَفْض

مثلوج الفؤاد بارد القلب والمهبج الثقيـل النَفْس والربيلة السِمَن والخفض النعـمة وكانوا يَمْدَحون بالطُول ويَضَعون من القِصَر فلا يذكره منهم الا مُحْتَجّ عن نَفْسـه كقول اعرابىّ أومأتْ اليه مُغَنّية بالقِصَر تَعيبه به

يا جَعْفَرُ يا جَعْفَرُ يا جعفــرُ * إنْ أَكُ رَبْعَـةً فأنتِ أقْصَر

أو أكُ ذا شَيْبٍ فأنتِ أكْبر * غرّكِ سِرْبال عليــك أحْمر

ومقْنَع من الحرير أصــفر * وتحت ذاكِ سَوْأة لو تُذْكَر

كما احتجّ نَضْلة السُلَمِىّ عن الدَمَامة بقوله فى يوم غَوْل

ألم تَسَل الفوارسَ يومَ غَوْلٍ * بنَضْـلةَ وهو مَوْتُور مُشِيح

رأوه فازْدَرَوْه وهو حُــرٌّ * وينفَع أهـلَه الرجلُ القبيح

فشَـدّ عليهمُ بالسَيْف صَلْتاً * كما عَضَّ الشَبَا الفَرَسُ الجَمُوح

فأطْلَقَ غُلَّ صاحبه وأَرْوَى * قتيلا منهـمُ ونَجَـا جَرِيح

ولم يَخْشَوْا مَصَالتَــه عليهم * وتحتَ الرَغْوة اللبَنَ الصَّرِيح

المَوْتور مَن قُتِل له قتيـل فلم يُدرك بدمه والمُشِيح الحامل الجادّ وشَـبَا كل شئ حدّه (قوله ولم يخشوا الخ) أى أنهم لاحتقارهم اياه لم يكونوا ليحذروه فلما كشفوا عنـه وضح فضله كما يضح اللبن بِكَشْف الرغوة ولا يمدحون غيرهم بالقِصَر قال عنترة فى مدح الطِوال

بَطَــل كأن ثيـابَه فى سَرْحةٍ * يُحْذَى نِعالَ السِبْت ليس بتَوْأم

أى لم يُشَارَك فى الرَحِم وقال جرير

تَعالَوْا فَفاتُونا ففى الحُكْم مَقْنَـع * الى الغُرّ من أهل البطاح الأَكارم
فانّى لأَرْضَى عَبْدَشمس وماقضت * وأرضَى الطِوالَ البِيضَ من آل هاشم

وقال حَسّان رضى اللهُ تعالى عنه

وقد كنا نقـول اذا رأينـا * لذى جسم يُعَدّ وذى بيان
كأنك أيهـا المعطَى بيـانا * وجسما من بنى عبد المَدَان

المَدَان كسحاب صَنم وبه سُمّى عبد المدان وهو أبو قبيـلة من بنى الحارث منهم علىّ ابن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثى المدانى وَلِىَ صنعاء أيامَ السفّاح وعبدالمدان اسمه عمرو وعبدالله ابنه هذا كان يُسَمَّى عبد الحجر له وِفادة فسمّاه سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسـلم عبدالله وكان علىّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الى مَنْكِب عبدالله وكان عبدالله الى منكب العباس وكان العباس الى منكب عبد المطلب وقد رأت عجوز قديمة عليا هذا يطوف بالبيت كانه راكب والناس مُشاة قد فَرَع الناسَ لِطُوله فقالت مَن هــذا فقيل علىّ بن عبدالله بن العباس فقالت لااله الا الله ان النـاس لَيُرْذَلُون عَهْدِى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فُسْطاط أبيض وقالت الخنساء

طويل النِجاد رفيع العِما * د سادَ عشـيرتَه أَمْرَدَا

تريد طُولَ قامَته وقال مَرْوان للمهدى

قَصُرَتْ حَمائلُه عليـه فقَلَّصت * ولقــد تأنّق قَيْنُهـا فأَطَالَهـا

وقال رجل من طىء

جَدِيرٌ أن يُقِلَّ السـيفَ حتى * يَنُـوسَ اذا تَمَطَّى فى النِجاد

وقال الحَكَمِىّ أبو نُوَاس

سَـبِط البَنَان اذا احتبَى بنِجاده * غَمَـرَ الجَمـاجِمَ والسِّماطُ قِيـامُ

ولآخر من طىء

ولَمّـا التَقَى الصَّفَّانِ واخْتلَفَ القَنا * نِهـالًا وأسـبابُ المنايا نِهالُهـا
تبيَّن لِى أنّ القَماءَةَ ذِلَّةٌ * وانّ أشدّاءَ الرجال طِوالهـا
دَعَوْا يالَسَــعْدٍ وانتمَيْنـا لطَيِّءٍ * أسودُ الشَرَى إقْدامُها ونِزالهـا

جَمَعْنا لهم من حَيِّ غَوْثٍ ومالكٍ * كَتَائِبَ يُرْدِى المُقْرِفِين نَــكَالُهــا
لَهُــم عَجُزٌ بالحَزْن فالرَّمْل فاللِّوَى * وقد جاوزَتْ حَيَّىْ جَدِيس رِعالُها
وتحتَ نُحُور الخَيل حَرْشَفُ رَجْلَةٍ * تُتَاحُ لِحَبَّات القُــلوب نبالُهــا
أبَى لَهُــمُ أن يعرفوا الضَيْمَ أنَّهــم * بَنُو ناتِقٍ كانت كثيرا عِيــالُهــا
فلمّا أتَيْنا السَفْحَ مِن بَطْن حائل * بحيث تَنَاصَى طَلْحُها وسَيَالُهــا
دَعَــوْا لِــنِزارٍ وانْتَمَيْنــا لطَيِّءٍ * كأُسْــد الشَرَى إقدامُها ونِزالُهــا
فلما التقينا بيَّنَ السَّــيفُ فيهمُ * لســائلةٍ عنا حَـــفِيٍّ سُؤالُهــا
ولَمّــا عَصَيْنَا بالرماح تَضَــلَّعَتْ * صدورُ القَنَا منهم وعَلَّت نِهالُهــا
ولَمّــا تَدَانَوْا بالسُّيوف تقطّعت * وَسائلُ كانت قَبْلُ سَلْماً حِبالُها
فَوَلَّوْا وأطْرافُ الرِماح عليهــمُ * قَوَادِمُ مَرْبُوعاتُهــا وطِـــوالُهــا

الناهل الذى يشرب أول شربة فاذا شرب ثانية فهو عالّ يقال سقاه عَلًا بَعْدَ نَهَل وعَلَلًا بعد نَهَل وفى المَثَل سُمْتُه سَوْمَ عالّةٍ اذا عَرَضتَ عليه عَرْضا يَسْتَحِى من أن يُقْبِــل معه والعالّة لاحاجة بها للشرب (قوله وأسباب المنايا نهالها) أى أول مايقع منها يكون سببا لمــا بعده والمُقْرفون المفسدون وهو فى الاصل الهُجْنة وسبق تفصيل ذلك والعَجُز هنا مؤخّر العسكر مستعار والرعال الجماعات المتفرّقة واحدُها رَعْلة والحَرْشَف نَبْتٌ يكثر بالبادية شبه به النَبْل فى الكثرة والرَجْلة الرَّجّالة والناتِق الوَلُود فاذا أسرفَتْ فى ذلك وكَثُرَ ولَدُها جدا قيل مِنْتَاق وتَنَاصَى تقارب يقال تناصَى الرَجُلانِ نِصاء وتَنَاصِيًا اذا اقتتلا فاخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه والطَلْح والسَّيَال من الشجر وعصَيْنَا جعلْنا الرماحَ كالعِصِيّ وقَوَادِم ذات إقدام أى مُقْدِمات لكنه جاء به على الاصلى كما قال * يَخْرُجْنَ مِن أكْنافِ ليلٍ غاضِ * أى مغض والمربوعات المعتدلة التى لم تبلغ أن تكون رُمْحا وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنْسَب الى الطول ان مشى وحده أو مع قصير والاطال على من ماشاهُ فلو اكتنفه طويلان طالها فاذا فارَقَاهُ نُسِب الى الرَبْعة وكانوا يَذُمّون ضُؤلةَ الاصوات وسرعةَ الكلام وادخالَ بعضه فى بعض قال شاعرهم

حديث بَنِى بَدْر اذا مالقِيتَهُــم * كنَزْو الدَبَا فى العَــرْفَجِ المُتَقارب

النزو الوَثْب والدبا أصغر الجراد والنَّمْل والعرفج شجرٌ سُهلى يذمهم الشاعر بما ذكر فبَيْنَ المصراعين مناسبة ولذا لم يكن هذا البيت من قبيل بعر الكَبْش فى قول الجاحظ

وشِعْرٍ كبَعْر الكبْش فرّق بينَه * لسانُ دَعيٍّ فى القريض دخيل

وذلك أن بعر الكبش يقع متفرّقا ولما أنشد الكُمَيْتُ نُصَيْبًا قولَه

وقد رأينا بها حُورا مُنَعَّمة * بيضًا تكاملَ فيها الدَّلّ والشَنَب

عَقد نصيب خِنصرَه فقال له الكميت ماتصنع فقال أُحْصِى خَطَأَك تباعدت فى قولك تكامل فيها الدل والشنب هلا قلت كما قال ذو الرُّمّة

لَمْيَاء فى شَفَتيها حُوّةٌ لَعَسٌ * وفى اللِثات وفى أَنْيابها شَنَبُ

ثم أنشده من قصيدة أخرى قوله

كأنّ الغُطامطَ من غَلْيِها * أَراجيزُ أَسْلَمَ تهجو غفَارا

يصف قِدْرا شبّه غَلَيانَه وارتفاعَ اللحم فيه بالموج الذى يرتفع فقال له نصيب ماهَجَت أسلم غفارا قط وانما عاب قوله تكامل فيها الدل والشنب لأن الكلام لم يَجْر على نظم ولا وقع الى جانب الكلمة مايشاكلها وقال عمر بن لجأ لابن عمّ له أنا أَشْعَرُ منك قال وكيف قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابنَ عمه ويقال بَعْر وبَعَر وكذا نَهْر وشَمْع وشَعْر لأنهم قد يحرّكون الساكنَ بحركة ماقبله قال زهير

ثم استمرّوا وقالوا إنّ مشربكم * ماء بشَرْقىّ سَلْمى فَيْدَ أورَكَكُ

أصْلُه رَكٌّ وقال عبد مَنَاف بن رِبْعِيّ الهُذَلِيّ

اذا تجَاوَبَ نَوْحٌ قامَتَا مَعَه * ضَرْباً أليما بِسِبْتٍ يَلْعَج الجِلدَا

والسبت بكسر السين جلود البقر وكل جلد مدبوغ وبضمها نبات وبفتحها اليوم ويلعج يُحْرق وقد يحرّكون الساكن بحركة اعراب الحرف بعده كقول طَرَفة

بجفانٍ تَعْتَرى نادينا * مِن سَنَامٍ حين هاج الصِّنَبِرْ أى البَرْد

وقول الآخر * أنَا ابْنُ ماوِيَّةَ اذْ جَدَّ النَقُرْ * أراد النَقْر وهو صُوَيت باللسان يسكَّن به الفَرَس اذا اضطرب بفارسه وشبه ذلك قوله

عَجِبْتُ والدهر كثيرٌ عَجَبُهْ * مِن عَنَزِيٍّ سَبَّنِي لم أضْرِبُهْ

وقال أبو النجم * أقول قَرِّبْ ذا وهذا أزْحِلُهْ * وقال طَرَفة أيضا

حابِسِى رَبْعٌ وَقَفْتُ به * لو أطِيع النَفْسَ لم أرِمُهْ

(قوله ان الله داوَى هذه الامة الخ) يريد أنواعَ الحُدود الشرعية فانها دواء لأدواء النُفُوس ثم هى كفارة للآثام فى الآخرة كما ثبت فى الصحيح (قوله لاهَوَادَةَ عنـد الامام) هو من قبيل القيام بالقِسْـط الذى أمر به الكتاب العزيز فى قوله تعالى (يأَيها الذين آمنوا كونوا قَوَّامين بالقِسْط شهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين) الآية الكريمة فمتى رُفِعت النازلة للامام أو نائبه قضى فيها بحكم الله لابِهَوَى نَفْسه حتى انّ توبةَ الجانِى بعد قدرة الامام عليه لا تُسْـقِط القِصاصَ كما هو مبسوط فى محله لانّ مَن أبْدَى صَفْحته للحق هَلَك ومتى اسـتترتْ الامّة فى بيوتها أى لم تتهتّك بالمعاصى ولم يعلم بها الحاكم واصطلحت فيما بينها فلا سبيلَ للحاكم عليها لانه لم يؤمر بالتنقيب عن الضمائر وانما أمر بالأخذ بالظاهر والله تعالى يتولّى السرائر لان التوبة حاسمة لذلك فيسـتريح الحاكم والمحكوم وهذا الكلام من نوابغ الحكم ودعائم السياسة وأساس الملك ولا بِدْع فهو من بيت النبوّة ومدينة العلم ولما ولِىَ الحسنُ بن زيد المدينة المنورة قال لابن هَرْمَةَ الشاعر انِّى لَسْتُ كمن باع لك دينه رجاءَ مَدْحك أو خوفَ ذَمّك قد أفادنى اللهُ بولادة نبيه صـلى الله عليه وسـلم المَمادحَ وجَنَّبَنِى المَقَابحَ وانّ مِن حَقّه علىّ أن لاأُغْضِى على تقصـير فى حقّه وأنَا أُقسِم بالله لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضرِبَنّك حدًّا للخَمْر وحَدًّا للسُكْر ولأَزِيدَنّ لموضع حُرْمتك بِى فلْيَكُنْ تَرْكك لها لله تُعَنْ عليه ولا تَدَعْها للناس فَتُوكَل اليهم فنَهض ابن هرمة وهو يقول

نَهَـانِى ابنُ الرسول عن المُدَام * وأدّبـــنِى بآداب الكـرام

وقال لىَ اصطبر عنهـا ودَعْها * لِخَـوف الله لاخـوفِ الأنَام

وكيف تَصَـبُّرِى عنها وحُبّى * لهـا حُبٌّ تمكّنَ فى عِظَـامِى

أرَى طِيبَ الحَلال علىَّ خُبْثا * وطِيبَ النَفْس فى خُبْث الحرام

ومِثْـلُ قول زيد فليكن تركك لهـا الخ قولُ عائشـة رضى الله تعالى عنها مَن أرْضَى الله باسخاط الناس كفاه اللهُ ما بينه وبين النـاس ومن أرضى الناسَ باسخاط الله وَكَلَه اللهُ الى الناس وقال الوليد بن عبـدالملك للحَجّاج فى وَفْدةٍ وفَدَهـا عليـه وقد أكلا هل لك

فى الشراب فقال ياأمير المؤمنين ليس بحرام ماأحْلَلْتَه ولكنِّي أمْنَع أهلَ عَملِي منه وأكْرَه أن أخالِف قولَ العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ماأنهاكم عنه فأعفاه وشبيهٌ بذلك أن عبدالملك قال لنُصَيب السابق ذكره بعد ماأنشده واستحسن شعره هل لك فيما يُتَنادم عليه فقال ياأمير المؤمنين تأمَّلْنِي فقال قد أراك فقال ياأمير المؤمنين جلْدِى أسْود وخَلْقى مُشَوَّه ووجهى قبيح ولستُ فى مَنْصب وانما بلَغ بى مُجَالستَك ومُوا كلتَك عَقْلِي وأنا أكره ياأمير المؤمنين أن أدخِل عليه ماينْقُصه فأعجبه كلامه وأعفاه وقول علىّ رضى الله تعالى عنه وقد كانت أمور الخ يريد بها ماشَجَر بينهم من مخالفته رضى الله تعالى عنه وهو كثير ومراده بالرجلين الشيخان رضى الله تعالى عنهما وبالثالث عثمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين ونَوْمُه كناية عن فرط حلمه وعفوه حتى اجترأ السُفهاء وله نُدْحة فى ذلك كبقية الصحابة كما أسلفنا وقوله رضى الله تعالى عنه انظروا الخ كقول الفاروق من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقوّمه رضى الله تعالى عنهم أجمعين وجعلهم شفعاء لنا يوم الدين

الخطبة السادسة

(وهى بعض الخطبة الشِقْشِقِيّة لأمير المؤمنين سيدنا علىّ كرّم اللهُ وجهه)

أمَا والله لقد تَقَمَّصها فلان وهو يعلم أن مَحَلِّى منها محلُّ القُطْب من الرَّحا ينحدِر عنِّي السَيْل ولا يَرْقَى الىّ الطير فسَدَلْتُ دونَها ثوبا وطوَيْت عنها كَشْحا وطفِقْت أرْتَئِي بين أن أصول بيَدٍ جذَّاءَ أو أصبر على طُخْيةٍ عَمْياء يَهْرَم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكْدَح فيها مُؤْمِنٌ حتى يَلْقَى رَبّه فرأيتُ أنّ الصّبر على هاتَا أحْجَى فصَبرْتُ وفى العين قَذًى وفى الحَلْق شَجًا أرى تُراثِي نَهْبا حتى مَضَى الاولُ لسَبيله فأدْلَى بها الى فلان بعده ثم تمثّل بقول الاعشى

شتّان مايوْمِي على كُورِها * ويومُ حَيّانَ أخى جابِر

فياعَجَبًا بَيْنَا هو يستقيلها فى حياته اذ عقدها لآخر بعْد وفاته لَشَدَّ ما تَشَطَّرا ضَرْعَيْها فصَيَّرها فى حَوْزةٍ خَشْناء يَغْلظُ كُلامُها ويَخْشُن مَسُّها ويكْثُر العثار فيها والاعتذار منها فصاحِبُها كراكب الصَعْبة ان أشْنَق لها خَرَم وان أسْلَس لها تَقَحَّم فمُنِي الناسُ لَعَمْرُ الله

بِخَبْط وشِماس وتلوُّن واعتراض فصــبَرْتُ على طُول المُدّة وشدّة المِحْنة حتى اذ مضى لسبيله جَعَلَها فى جمــاعة زعم أنّى أحَدُهم فيــالَلّه ولِلشُّورى متَى اعترَض الرَيبُ فىَّ مع الاوّل منهم حتى صرتُ أُقْرَنـ الى هذه النظـائر لكنّى أسْفَفْتُ اذ أسَـفُّوا وطِرْتُ اذ طاروا فصَـغَى رجُلٌ منهم لِضَغَنه ومالَ الآخر لِصهره مع هَنٍ وهَنٍ الى أن قام ثالثُ القوم نافِجا حِضْنَيْه بين نَثِيله ومُعْتَلَفِه وقام معــه بَنُو أبيه يخْضَــمون مالَ الله خَضْمة الابل نِبْتَةَ الربيع الى أن انتكثَ فَتْـلُه وأجهزَ عليه عَمَلُه وكَبَتْ به بِطْنَتُه فــا راعنى الا والناس كَعُرْف الضَبُع الىّ ينثالون علىّ من كل جانب حتى لقد وُطِئ الحَسَنانِ وشُقَّ عِطْفاىَ مجتمِعين حَوْلى كَرَبِيضــة الغَنَم فلما نهضْتُ بالأمْر نكثَت طائفــة ومَرَقت الاخرى وفَسَق آخرون كأنهم لم يسمعوا كلامَ الله حيث يقول تلك الدار الآخرة الآية بلى والله لقد سمعوها ووَعَوْها ولكنهم حَلِيَتْ الدنيا فى أعينهم وراقهم زِبْرِجُها أمَا والذى فَلَق الحَبّة وَبرأ النَسَمة لولا حُضور الحــاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخَذَ اللهُ على العلماء أن لايُقارُّوا على كِظّة ظالم ولا سَــغَب مظلوم لألقيْتُ حَبْلَها على غارِبهـا ولَسَقَيْتُ آخرَها بكأس أوّلها ولألفيْتُم دنياكم هذه أزْهَدَ عندى مِن عَفْطة عَنْز قالوا وقام اليه رجل من أهل السواد عند بلوغه الى هــذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فأقبــل ينظر فيــه فقال له ابن عباس رضى الله عنهــما يا أمير المؤمنين لو اطّرَدَتْ خطبتُك من حيث أفضيتَ فقال هيهات يابن عباس تلك شِقْشِقة هدَرت ثم قَرّت قال ابن عباس فوالله ماأسِفْت على كلام قطّ كأسَفى على هــذا الكلام أن لايكون أميرُ المؤمنين عليــه السـلام بلغ منه حيث أراد اهـ اعلم أوّلا أنه اختلف فى كتاب نهج البلاغة المشتمل على هــذه الخطبة وغيرها فمن قائل انه للشريف الرضى أو أخيــه المرتضى وأنهما جمعاه من كلام أمير المؤمنين كرّم الله وجهه ومن قائل انه ليس من كلامه عليــه السلام غير أن الحافظ الذهبى نصّ على أنه مكذوب عليــه جزما قال لمــا فيــه من الحطّ الصريح والسبّ للشيخين رضى الله تعالى عنهم أجمعين وهو الحقّ اذا علمتَ ذلك فأقول انمـا سميت هذه الخطبة بالشقشقية بكسر الشينين المعجمتين لقوله فيها تلك شقشقة هدرت ثم قرّت وأصــل الشقشقة شئ كالرئة يُخرجه البعير من فيــه اذا هاج وصوتُه بها هدير

وسئل عليه السلام عن مسألة فدخل مبادرا ثم خرج فى رداء وحذاء وهو متبسم فقيل له يا أمير المؤمنين انك كنت اذا سئلت عن المسألة تكون فيها كالسِّكَّة المُحْماة فقال انى كنت حاقنا ولا رَأْيَ لِحاقِنٍ ثم أنشأ يقول

اذا المشكلات تَصَدَّيْنَ لِي * كشفتُ حقائقها بالنَّظَرْ
لِسانِي كشقشقة الأَرْحَبِيّ * أو كالحُسام اليمانى الذكر
ولست بِإِمَّعَةٍ فى الرجا * ل أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنَّنى مِذْرَب الاصْغَرَيْنِ * أبَيِّن معْ مامضى ماغبر

الحقن حبس البول والفعل كقتل والسكة حديدة منقوشة تطبع بها الدراهم والجمع سكك كسدرة وسدر والارحبيّ نسبة لأَرْحَبَ قبيلة من هَمْدان أو فحل أو موضع ومنه النجائب الارحبيات والإمّعة والإِمّع الرجل الذى لارأى له ولا عزم فهو يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شئ والمذرب مفعل وهو الآلة من الذَّرَب بالتحريك مصدر ذرِب الشئ من باب تعب صار حديدا ماضيا ويعدّى بالحركة فيقال ذربته من باب قتل ولسان ذرِبٌ أى فصيح والاصغران القلب واللسان (فائدة) صوّب الزمخشرى قول أبى عثمان المازنى النحوى ان عليّا رضى الله تعالى عنه لم يصح أنه تكلم بشئ من الشعر الا هذين البيتين

تِلكُمْ قريش تَمَنّانى لِتقتلنى * فلا وربك ما بَرُّوا وما ظَفِروا
فان هلكتُ فرهْنٌ ذِمّتى لهم * بذات وَدْقَينِ لايَعفولها أثر

وذات ودقين الداهية وأجيب بما معناه لعل سند ذلك قوى لديهم والا فقد روى عنه ماقدمنا وغيره كثير كقوله * أنا الذى سمتنى أُمّى حَيْدَره * الابيات وقوله فى السجن الذى بناه وسمّاه مُخَيِّسا بعد ان كان من قصب واسمه نافع فنقبه اللصوص

أَمَا ترانِي كَيِّسا مُكَيِّسا * بنيت بعد نافع مُخَيِّسا
بابا حصينا وأمينا كيِّسا *

وتواتَرَ عنه * محمّدٌ النبيُّ أخى وصِهْرى * الابيات وسوى ذلك مما شاع وذاع بحيث أن النفوس لاتطمئن الى أنه لم يقل غير هذين البيتين لاسيما وقد قال الشَّعْبى كان أبو بكر

شاعرا وكان عمـر شاعرا وكان عثمان شاعرا وكان عليّ أشـعر الثلاثة ونقـله الحافظ أبو عمرو بن عبد البرّ فى الاستيعاب وذكر مثله جماعة ونسب اليه من أشعار الحكم وغيرها شئ كثير اه ويروى أيضا عنه رضى الله تعالى عنه انه قال يوم خيبر

دُونَكَها مُـــتْرعةً دِهاقا * كأسًا زُعاقا مُلِئتْ زعاقا

الزعاق كغراب المـاء المرّ الغليظ لايطاق شربه والفعل ككرم وله عليه السلام

لِمَن رايةٌ ســوداء يخفُق ظلّهـا * اذا قيل قدّمْها حُضَين تقـدّما

فيوردها فى الصّف حتى يُقيلَها * حِياضَ المنايا تقطر الموت والدما

جزى اللهُ قوما قاتَلوا فى لقائهـم * لدى الموت قِدْما ماأعزّ وأكرما

ربيعـةَ أعنى أنّهم أهـل نجدة * وبأس اذا لاقَوْا خميسا عَرَمْرَما

والضمير فى تقمصها يعود على الخلافة ومراده بفلان أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقوله مَحَلّى منها الخ كناية عن رفعة قدره وعلو مكانته والجَذّاء من قولهم رحِمٌ جذاء أى لم توصَل وسِنّ جذاء أى متهتّمة والمراد عدم المعين والطُخْية الظُلْمة ونســبة العمى اليها مجاز عقلى ويكْدَح يسعى سعى المجهود وهاتا أى هذه وأحجا أى ألزم مِن حَجِى به كرضى والقذَى مايَسقُط فى العين والشراب والشَجا مااعترض فى الحَلْق من عَظْم ونحوه فأدْلَى بها أى ألْقَى بها الى فلان يريد عمر رضى الله عنه والاعشى كنيته أبو بصير واسمه ميمون بن قيس من وائل وكان أبوه قيس يُدْعَى قتيلَ الجوع لموته جوعا فى غار سقطت عليه صخرة من الجبل فسدّت فمه والاعشى من فحول شعراء الجاهلية سلك فى شعره كل مسلك وقال فى أكثر أعاريض العرب وسئل يونس النحوى من أشعر العرب فقال لا أومئ الى رجل بعينه ولكنى أقول امرؤ القيس اذا ركب والنابغـة اذا رهب وزهـير اذا رغب والاعشى اذا طرب وكانوا يسمونه صَنّاجة العرب لجودة شعره وكان يفد على الملوك لاسيما ملوك فارس ولذا كثرت الالفاظ الفارسـية فى شعره وأدرك فى آخر عمره الاسلام ورحل الى النبى صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية فسأله بعض فتية من قريش عن وجهه الذى يريد فقال أردت محمدا فقد سمعت مبعثه فى الكتب فقالوا انه يحرّم الخمر والزنا والقمار قال أما الزنا فقـد تركنى ولم أتركه وأما الخمر فقد قضيت منها وطرا وأما القمار فلعلى أصيب عنه

عوضا فجمعوا له مائة ناقة حمراء ولم يزالوا به حتى صدّوه عن وجهه بعد أن أنشأ قصيدته فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم التى مطلعها ألم تغتمض عيناك الخ فلما كان بناحية اليمامه ألقاه بعيره فقتله وكان عمى فى آخر عمره كما أسلفناه مع تلك القصيدة فى المقارنة الرابعة وبيت الشاهد من قصيدة لميمون هذا ومطلعها

شاقَكَ مِن قَيْلَةَ أَطْلالُها * بالشَّطّ فالجِزْع الى حاجِر

وسببها أن علقمة بن عُلاثة الصحابى رضى الله تعالى عنه كان نافر ابن عمه عامر بن الطفيل عدوّ الله وكان علقمة كريما رئيسا وكان عامر عاهرا سفيها فهاب حكام العرب أن يحكموا بينهما بشئ وقال لهما هَرِم بن قُطْبة بن سنان أنتما كرُكبَتَي البعير يقعان معا وينهضان معا قال فأيّنا اليُمْنَى قال كلاكما يمين ثم ان الاعشى استجار بعلقمه فأجاره الا من الموت فاستجار بعامر فأجاره منه وقال له ان متّ فى جوارى بعثت الى أهلك الدية ثم أغراه على تنفيره على علقمة فنفّره عليه بقصائد فنذر علقمة لَيَقْتُلَنّه ان ظفر به فقال الأعشى هذه القصيدة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رواية هذه القصيدة وقال لحسّان لما همّ بانشادها ان علقمة حسّن القول أى عند قيصر وانه لايشكر الله من لايشكر الناس فقال حسان يارسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره فرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاشعار كلها الاهاتين الكلمتين أى قصيدة الأعشى هذه وقول أمية بن أبى الصلت فى أهل بدر

ماذا ببدر فى العَقَنْقَل من مَرازِبةٍ جَحاجِح

ثم ان علقمة أُتِى بالأعشى مكبّلا بالحديد فقال له الحمد لله الذى أمكننى منك فقال الاعشى

أَعَلْقَم قد صيّرتْنِى الامور * اليك وما أنت لى مُنقِص
فهب لى ذنوبى فدتك النفوس * ولا زلت تنمو ولا تنقص

فحل وثاقه وأحسن جائزته وبعث معه من يوصله الى مأمنه فقال الأعشى بعد ذلك

علقم ياخير بنى عامر * للضيف والصاحب والزائر
والضاحك السن على همة * والغافر العثرة للعاثر

وحَيّانُ وجابرهما ابنا عميرة من بنى حنيفة وكان حيان نديمـا للأعشى يقول يومى على كُور هذه الناقة بضم الكاف وهو الرَّحْل ويومى مع حيّان أخى جابر مختلفان لايستويان لانّ أحدهما يوم سفر وتعب والثانى يوم لهو وطرب وكان حيان سيدا أفضل من أخيه جابر فلما أضافه الى جابر غضب وقال عَرَّفتَنى بأخى وجعلته أشهر منى لانادمتـك أبدا فقال الاعشى اضطرتنى القافية فلم يعذره وليس من هذا القبيل قول حسّان فى رثاء جعفر ابن أبى طالب

وماز ال فى الاسلام مِن آل هاشم * دَعائمُ عِــزٍّ لاتُرَام ومَفْخَـــر
بَهَـاليلُ منهم جعفر وابن أمّه * علىّ ومنهـــم أحمد المتخـــير

لانها ليست باضافة تعريف وانمـا هذا تعريف لهم حيث كان منهـم والبهاليل جمع بهلول كعصفور وهو السيد الوضىء الوجه الطويل القامة قالوا بل منه قول أبى نواس من قصيدة مدح بها العباس بن عبيد بن أبى جعفر المنصور

كيف لايدنيـــك من أمل * من رســـول من نفـــره

يريد أمير المؤمنين عليه السلام باستشهاده بهذا البيت ان ثمة فرقا بين خلافته وخلافة من قبله لأنها أى الخلافة انما جاءته بعد فتح أبواب الفتن وكسر سورها الذى كان حائلا دونها وقوله لشَــدَّ ماتَشَطَّرا ضَرْعَيْها معترضة بين جملتى عقدها وصيرها وشد فى مثل هذا التركيب كعز فعلان مكفوفان بمـا كقلما وطالمـا وهما بمعنى حقا ويجوز أن يكون ما اسما معـربا تاما كما هو مذهب سيبويه فى نِعِمّا صنيعُك وبئسما عَمَلك أى نعم الصنيع صنيعك وبئس العمل عملك وهى هنا على هذا الوجه واقعة على التشطر المفهوم من الفعل وتشطرا أى أخذ كل منها شَطْرا والضَرْع لذوات الظِلْف والخُفّ بمنزلة الثَّدْى للمرأة وللناقة شطران قادمانِ وآخِران وكل خِلْفَيْن شطر وشطّر بناقته تشطيرا صَرَّ خِلْفيها وترك خلفين والخِلْف حَلَمة ضرع الناقة والحلمة اللحمة النانئة أى الحَبّـة على رأس الثـدى من المرأة ورأس الثُنْدُوة من الرجُل وثنَّى الضرع مجازا باعتبار الشـطرين كأن كل شطر ضرع فأطْلَقَ على تَنَاوُبِهم الخـلافةَ واحدا بعد واحد اسمَ التشطّر والاقتسام وأطْلَق على كل شـطر اسمَ الضَرع لانّ مَن تولاها لايتولاها الا تامّة وهو من أبلغ أنواع المجاز والكلام بضم الكاف

الارض الغليظة والصعبة من الابل ماليست بذلول وأشنق البعيرَ وشَنَقه كفّه بزمامه حتى ألصق ذِفْراه أى العظم الناتئ خلف الاذن بقادمة الرَّحْل وأسلس أرْخى وتقحَّم رَمَى بنَفْسه فى القَحْمة أى الهلاك وأسفّ الطائرُ دنا من الارض فقام رجل يريد سعدا والآخر عبد الرحمن والثالث عثمان ونافجا أى رافعا والنَّثِيل الرَّوْث والمُعْتَلَف مكان العَلَف والخَضْم الاكل والبِطْنة البَطَر والاَشَر والكِظّة أى التُخَمة وعَرْف الضَّبُع ماعلى عنقها من الشعر والتشبيه فى الكثرة وشق عطفيه كناية عن تجاذب الناس أطرافه يدعونه للبيعة وحلِيَت المرأة تزيّنت بحُليّها والزِبْرِج الزينة والنَسَمة الروح و برأها خلقها والحاضر من حضر لمبايعته والمراد بكظّة الظالم استئثاره بالحقوق وبسَغَب المظلوم هضم حقوقه وأصل السغب شدّة الجوع والغارب الكاهل كناية عن الترك والعَفْطة الضَّرطة والعَنْز المِعْزى والسواد العراق ومحصل القصة ان عمر رضى الله تعالى عنه لما طُعِن جعَل الشورى بين ستة علِيّ وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص قال ما أحد أحقّ بهذا الامر من الذين تُوُفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فلما كان فى اليوم الثالث من وفاة عمر خرج عبدالرحمن بن عوف وعليه عمامته التى عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه وصعد المنبر ثم قال أيها الناس انى سألتكم سرّا وجهرا عن امامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما على وإما عثمان وقال قُم ياعلىّ فقام علىّ فوقف تحت المنبر وأخذ عبد الرحمن بيده وقال هل أنتَ مُبَايِعِى على كتاب الله وسنة نبيّه وفِعْل أبى بكر وعمر فقال اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى فأرسل يده ثم نادى قم ياعثمان فقال هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبى بكر وعمر فقال اللهم نعم فرفع رأسه الى سقف المسجد وقال اللهم اسمع قد خلعتُ مافى رقبتى من ذلك وجعلته فى رقبة عثمان فبايع الناسُ عثمانَ وذلك ختام سنة ثلاث وعشرين هذا هو الحق ولا دخل لقرابة سعد لعبدالرحمن ولا لمصاهرة عبدالرحمن لعثمان ولا مَيْل من طلحة لعثمان فليُحْذَر من اعتقاد ذلك وأمثاله وقد كتبنا فى هذا المقام مافيه الكفاية أثناء الكلام على خطبة سيدنا عثمان كما أنّ واقعة الجَمَل مُفْعَمة بإفْك الشيعة والحقُّ فى شأنها أنه صحّ أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لامهات

المؤمنين بعد آية وقَرْنَ في بُيُوتكنّ أُذِنَ لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ وصحّ أنهنّ كنّ يَحْجُجْنَ بعد وفاته عليه الصلاة والسـلام بلا نكير من الصحابة عليّ وغيره فكان إجماعا سكوتيا ولمّا خرجت عائشة من المدينة الى مكة للحج عام وقعة الجَمَل جاءها طلحة والزبير وكثير من الصحابة وذوى رحمها لائذين بها هاربين من قَتَلَة عثمان لعزمهم على إلحاقهم به لمـّا أنكروا عليهم تبجّحهم بذلك حتى امتلا ت منهم قلوب جميع الناس رعبا فأشارت عليهـم بتَرْك المدينة فاختاروا البصرة لانها إذ ذاك مجمع الجنود فألحّوا عليها أن تكون معهم حتى تنحسم الفتنة وينتظم أمر الخلافة العَلَوية احتماءً بأمّ المؤمنين لمكانتها فى القلوب أكثر من بقية الازواج الطاهرات فلما قربوا من البصرة أبلغ القَتَلة عليًّا الخَبر على غير وجهـه فلحقهم معهم وبعث القعقاعَ الى أم المؤمنين وطلحة والزبير فعلم الحقيقـة كما ذكرنا واتفقوا على اقامة الحد على القَتَلة بعد استتباب الحال واستقرار تلك الخلافة ليأمن العموم شر أولئك القَتَلة وعيّنوا يوما لاعلان ماذكر للناس فسَرّ ذلك أمير المؤمنين كما ساء القتلة حتى ضاقت عليهم الارض بمـا رحبت فلما غشيتهم الليلة المتفق على الاعلان فى صبيحتها سوّل لهم الشيطان أن أغاروا على من كان مع عائشة من المسلمين ليظنّوا غَدْر الامام فيهجموا على عسكره فيظنّ هو أيضا غدْرهم فيستحرّ القتل وقد تمّ لهم ذلك لنفاذ ماسبق به العلم الأزلىّ هذا هو الصدق الواضح والحقّ الصابح كما نقله ثقات المؤرخين وأوثقهم من عدّة طرق كادت تبلغ مبلغ التواتر عن الحسن وابن جعـفر وابن عباس ولا يعوّل على سواه ممـا فى السير فانمـا رواه الشيعةُ عن أسلافهم القَتَلة فاحرص على ذلك

وليعلم الطالب أنّ السِيَرا ＊ تجمع ما صحّ وما قد أُنكِرا

الخطبـــــة السابعة

(خطبة الاعرابى التى رواها الأَصْمَعِىّ)

قال خطبنَا اعرابىّ فى البادية فحمدالله واستغفره ووحّده وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم فبَلَغ فى ايجاز ثم قال أيها الناس انّ الدنيا دار بَلَاغ والاخرةَ دار قَرار فخُذُوا من مَفَرّكم لمَقَرّكم ولا تهتِكوا أستاركم عند من لاتخفى عليه أسراركم فى الدنيا كنتم ولغيرها خُلِقتم أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم والمُصَلّى عليه رسولُ الله والمدْعو له الخليفة والامير جعفر بن سليمان

الخطبـــة الثامنة

(من خطبة لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه)

ايها الناس انما الدنيا أمَل مُخْتَرم وأجل مُنْتَقَص وبَلاغ الى دارٍ غيرها وسيرٌ الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكّر فى أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذَنْبه ونوّر قلبه أيها الناس قد علمتم ان أباكم قد أخرِج من الجنة بذَنْبٍ واحد وان ربكم وعَدَ على التوبة فلْيكُن أحدُكم مِن ذَنْبه على وجَل ومن ربه على امَل

الخطبة التاسـعة

(خطبـة عُتْبـة)

وهو عتبة بن أبى سفيان أخو معاوية أمير المؤمنين وكان حَجّ بالناس ووَلِىَ لاخيه مصرَ بعد موت عمرو بن العاص بها ودَفْنِه بسَفْح المقطّم سنة ٤٣ خطب الناس بالمَوْسِم عتبة فى سنة احدى وأربعين وعَهْدُ الناس حديثٌ بالفتنة فاستفتح ثم قال أيها الناس انّا قد وَلِينا هذا الموضع الذى يضاعِف الله فيه للمُحْسِن الأَجْرَ وعلى المسىء الوِزْر فلا تمُدّوا الاعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورُبّ مُتَمَنٍّ حَتْفُه فى أمنِيّته اقبلوا العافيةَ ماقبلناها منكم وفيكم وايّاكم ولَوْ فقد أتعبَت مَن كان قَبْلكم ولن تريح مَن بَعْدكم فأسأَلُ الله أن يعين كُلّا على كل فنعَق به اعرابىّ مِن مُؤَخّر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لَسْتُ به ولم تُبْعِد قال فياأخاه قال قد أسْمَعْتَ فقُل فقال والله لأن تُحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تُسِيئوا وقد أحسنّا فان كان الاحسان لكم فما أحَقّكم باستتمامه وان كان لنا فما أحقّكم بمكافأتنا رَجُل مِن بنى عامر يَمُتّ اليكم بالعُمومة ويختصّ اليكم بالخُؤُلة وقد وطِئه زمان وكثرة عِيال وفيه أجْر وعنده شُكْر فقال عتبة أستعيذ بالله منك وأستعينه عليك قد أمَرْتُ لك بغِناك فليت اسْراعَنا اليك يقوم بابطائنا عنك

الخطبـــة العاشـرة

(لداود بن علىّ بن عبدالله بن عباس فى أوّل مَوْسِم مَلَكه بنو العباس بمكة المكرّمة)

قال شكرا شكرا إنّا والله ماخرجنا لنَحْفِر فيكم نهرا ولا لنَبْنِى فيكم قَصْرا أظَنّ عدوّ الله أن لن نقدر عليه أنْ رُوخِى له فى خِطامه حتى عَثَر بفضل زِمامه فالآنَ حيث أخَذَ

القَوْسَ بارِيْها وعادت النِبال الى النَزَعة ورجَع المُلْك فى نِصابه فِى أهل بيت النبوّة والرحمة والله لقـد كُنَّا نتوجّع لكم ونحن فى فُرُشنا أمِنَ الاسْوَدُ والاحمر لكُم ذمّة الله لكم ذمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمّة العباس لاوَرَبّ هذه البَنِيّة وأومأ بيده الى الكعبة لانَهيج منكم أحَدا

اعلم أن هـذه الخُطَب الاربع اثنتان منها وهما خطبة عمر بن عبـد العزيز وخطبـة لاعرابىّ من قبيل واحد يرجع الى الزجر والوعظ والنصيحة واستجلاب جُموح النفس وشَموس الفؤاد والأخريان وهما خطبتا عتبـة وداود من قبيـل واحد أيضـا مرجعه الترغيب والترهيب والتهويل والتخويف واستمـالة الرعيـة وتسكين جأش العـامة واستجلاب مودّتها للدولة وانْحماد الفِتَن وحسم مادة الثَوَران ونحو ذلك غير أنه لمـا كان المعنى الواحد قد تختلف فيه ضروب الكلام وأنواع العبارات وتُزْهِر به أفانينُ الاساليب وكانت كلتا الخطبتين الأولَيَيْن والأخْرَيَيْن بمكانٍ من البـلاغة فى بابهـا كما ترى آثرناهـا بالانتقـاء

والأعرابىّ نسبة الى الاعراب وهم سكّان البادية خاصـــة فأما العَرَب فهم سكّان الامصـار

وقوله فبلُغ فى ايجاز يقال بلُغ يبلُغ ككرم يكرم بلاغة فهو بليغ وَبَلْغٌ وبِلْغٌ وَبَلَغٌ وَبُلَاغَى وبلاغَى أى فصيح يبلغ بعبارته كُنْهَ ضَميره

والبَـلَاغ الكِفاية أى ما يُكْتَفَى به بلا زيادة وهو من معنى قوله تعـالى (انمـا هذه الحيـاة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القـرار) لان أصل المتـاع ما يُتَبلغ به من الزاد

وهـذه الآية الكريمة حكاية عن مؤمن آل فرعون واسمه حبيب وكان قبطيا ابنَ عَمّ لفرعون

افتتح النصيحة بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها هو أصل الشر كله ومنـه يتشعب جميع ما يؤدّى الى سخط الله تعالى ويجلُب الشقاوةَ فى العاقبة

وثنى بتعظيم الآخرة وبيان حقيقتها وأنها هى الوطن والمستقَرّ

ومن بواهر الحكم الالهيـة والآيات الربانيـة أنك أيها الانسان مهما تكاثَرَتْ لديك صنوف النِعَم وضُروب الرفاهيـة وأنواع الرغد فلن تنتفع من ذلك كله الا بذلك المتـاع أى بالكفاية

وتوضيحه أننا لو فرضناك تمتلك من القصور مثلا عدد أيام السـنة أو ساعاتها بحيث تقضى كل يوم أو ساعة فى قصر منها فانك مع ذلك لا تمتع منها إلا بشـغْلك حَيِّزا بقدر جسمك بلا زيادة وذلك هو المتاع أى الكفاية ولو أن لك من الخيل المُسَوَّمة والجِياد الرائعة والبَرَاذِين الفارهة مايبلغ هذا العدد لم تمتع منها الا بركوب واحد ليس غير تتناوبه من تلك الآحاد وذلك هو المتاع أيضا وقس على ماذكر أنواع الملبس والمشرب والمطعم الخ فلست ألبتة مستمتعا من هذه الدنيا بغير المتاع شئْتَ أو أَبَيْت فما هذا التفنّن والتَّبَذُّخ سوى ضَرْبٍ من السفَه فويْحك شَاْ يرحَمْكَ اللهُ

وهو معنى قوله صلى الله عليه وسـلم يابن آدم تقول مالِى وليس لك من مالك الا ماأكلتَ فأفْنَيْتَ أو لبِسْتَ فأبْلَيْتَ أو تصدّقتَ فأمْضَيت أوكما قال صلى الله عليه وسلم وفى الحديث مالِى وللدنيا ماأنا فى الدنيا الا كراكبٍ استظل تحت شجرة ثم راح وتركها

اللهمّ الا اذا بُورك له فى ذلك حتى يأمن بوائقه فقـد دعا رسول الله صلى الله عليـه وسـلم لخادمه أنسٍ بطُول العُمر وكثرة المـال والوَلَد والبركة فيما أُعطِى واسـتدل به على تفضيل الغِنَى على الفقر وقد كان أنس ببركة دعوة الرسول صـلى الله عليه وسـلم أكثر الصحابة أولادا قاله النووى وقال ابن قتيبة فى المعارف كان بالبصرة ثلاثة ماماتوا حتى رأى كل واحد منهـم من ولده مائة ذكر لصلبه أنس وأبو بكرة وخليفةُ وزاد غيره رابعا وهو المُهلّب بن أبى صُفرة

وبالجملة فجميع ماجاء فى الشريعة المطهرة مِن ذَمّ المـال والدنيا محمول على مالا يُقرِّب الى الله تعالى أى مالانيّة صالحةً فيه والا فممدوح مع ذلك اليُمْن أى السعادة بهذه النية الصحيحة لانها حفظٌ من الحق تبارك وتعالى لصاحبها أن يُوبِقه المـال بدليـل حديث أنس وقوله صلى الله عليه وسلم لمن أراد أن يتصدّق بأكثر من ثلث ماله الثلث والثلث كبير أو كثير انك ان تَذَر وَرَثَتك أغنياء خير من أن تذرهم عالَةً يتكفّفون النـاس وقد

جعـل الله تعـالى النفقة على العيال صـدقة بل على نفس الانسان ففى البخارى حتى اللُّقْمة تَضَعُها فى فِي امرأتِك وروى أحمد فى مسنده والطبرانى ماأطعمتَ زوجَتَك فهو لك صدقة وما أطعمتَ وَلَدَك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة وما أطعمت نفسك فهو لك صدقة

وقد اسـتعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفَقْر كاسـتعاذته من الغِنَى والمراد الفقر المُدْقِع لانه الذى يُخاف من فتنته كحسـد الغَنِيّ والتذلل له بمـا يتدنس به عرضه و ينثلم به دينه وكتَسَخُّطه وعدم رضائه الى غير ذلك وفتنة الغِنَى كصرف المال فى المعاصى

ولمـا قيل لرسول الله صـلى الله عليه وسـلم هل يأتى الخير بالشر أُوحِى اليه ثم مسَح العَرَق عن جبينه الشريف وقال أين السائل قال أنا قال صلى الله عليه وسلم لايأتى الخيرُ الا بالخير ان هذا المـال خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وان كل ماأنْبَتَ الربيعُ يَقتلُ حَبَطًا أو يُلِمّ الا آكلة الخَضِرة أكلَت حتى اذا امتدت خاصرتَاهَا استقبلَتْ الشمسَ فاجترَّتْ وثَلَطَت وبالَتْ ثم عادت فأكلت وان هذا المـال حُلْوَة من أخذه بحِقّه ووَضَعَهُ فى حقه فنِعْمَ المَعُونَةُ هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع فشبه هذا المـال مع عظمته فى النفوس حتى بخلت به بمـا تخرجه البهيمة من بطنها وهو السِّرقينُ الرقيقُ وشبَّه حَبْسَه عن الحقوق الشرعية بحبس ذلك السرقين فى جوف البهيمة لايَلْبث أن يَقْتُلها حَبطا أى انتفاخَ بَطْنٍ من كثرة الاكل أو يُلِمّ أى يقارب القتـل فلا ثمرة الا فى انفاقه فى الخير وذكر ابن المنير أنّ فى هـذا الحديث الشريـف وجوها بديعة من التشبيهات تشبيه المـال ونُمُوه بالنبات وظهوره وتشبيه المنهمك فى الاكتساب والاسباب بالبهائم المنهمكة فى الاعشاب وتشبيه الاسـتكثار منه والادِّخار له بالشَرَه فى الاكل والامتلاء منه وتشبيهه بالسَّلْح وفيه اشارة الى استقذاره شرعا وتشبيه التقاعد عن جمعه وضمه بالشاة اذا استراحت وحطت جانبها مسـتقبلة الشمس فانها من أحسن حالاتها سكونا وسكينة وفيـه اشارة الى ادراكهـا لمصالحها وتشبيه موت الجامع والمـانع بموت البهيـمة الغافلة عن دفع مايضرّهـا وتشبيه المـال بالصاحب الذى لايُؤْمَن أن ينقلب عَدُوّا فان المـال من شأنه أن يُحْرَز و يُشَدّ وَثَاقه وذلك يقتضى مَنْعَه عن مسـتحِقّيه فيكون سببا لعقاب مقتنيه وتشبيه أخذه بغـير حق

بالذى يأكل ولا يشبع ويسمى جوع الكَلَب كلما ازداد أكلا ازداد جوعا وكان مآله الى الهلاك

وقال عمـر لما سمع قوله تعالى زيّن للناس حب الشهوات الآية الكريمة اللهمّ إنّا لانستطيع الا أن نفرح بما زينته لنا اللهم انى أسألك أن أنفقه فى حله

ولما أتاه نَفَل كِسْرى مِن حلىّ ومتاع وجوهر وكان شيئا كثيرا تلا هذه الآية الكريمة ثم قال لانستطيع الا أن نُحِب مازينت لنا فَقِنِى شَره وارزقنى أن أنفقَه فى حقه فما قام حتى ماأبقى منه شيئا

وأما قول عمر بن عبد العزيز انما الدنيا أمل مُخْتَرَم الخ فانه لما كان لابدّ لكل انسان فى هذه الدنيا من بُغية يشتهيها ومُنْية يتقاضاها وأملٍ يسعى وراءه وكان أجَلُه مع ذلك لابدّ وأن يَحُولَ بينَه وبين ما يشتهِى اذ ليس من الممكن أن يكون الممكن تجرى كافة أموره على وفق مراده تماما وانما ذلك للواجب تقدّست أسماؤه وعمّت آلاؤه

وهذا الأجَل أيضا من جملة الآمال بقطع النظر عن انتهائه فانظر الى آيات الحق تبارك وتعالى كيف يحول الامل دون آمال كانت الدنيا كأنّها نَفْسُ الأمَل ونَفْس الاجل فالاجل مع كونه يخترم الامل لايزال ينتقص بمرور اللحظات اذ ليس منها لحظة تمضى الا وهى تنتقصه

والبَلاغ والبُلغة والتبلّغ ما يُتبَلّغ به من العيش ولا يَفْضُل يقال تبَلَّغْ بكذا أى اكتف به والتعريج على الشئ الاقامة عليه يقال عَرَّج فلان على المنزل اذا حبَس مطيتَه عليه وأصل معنى المادة الميل والانعطاف أى ان الانسان انما هو سائر الى الموت تَوًّا وقُدُمًا أى بلا مَيْلٍ أثناء الطريق ولا انعطاف الى دارٍ أخرى سوى الآخرة فاذا كان المرء بهذه المثابة لزمه التفكر فى أمره ومصيره لئلا يؤخذ بَغْتة ويُفَاجَأ على غِرّة

وفى الفكر من المزايا مالا يسعه هذا المحل حتى ألف فى فضله بعض الائمة فاذا فكّر نَصَح لنفسه والنصح الاخلاص والصدق والمشورة والعمل وتعديته باللام هى اللغة الفصحى وبها جاء الكتاب العزيز ويعدّى بنفسه أيضا فاذا استتب له النصح لنفسه وضح له جَلاء أمْره مِن خير أو غيره فيزيد أو ينكفّ اذ ليس من المحتمل والحال ماذكر

أن يغالِط الانسانُ نفسَه الا اذا لم يكن أخذ من نصحها بنصيب فيكسبه النصح مراقبة ربه لانه ان لم يكن يرى مولاه فمولاه يراه فيستقيل ذنبه يقال قِلْتُه البيْعَ أَقِيله وأقَلْته أُقِيله فسخْتُه واستقالَه طَلَب اليه أن يقيله فكأنّ هذا العبد لمّا أفاق مِن غفلته وضح له أنه بارتكابه مااقترف من الذنوب يشبه فى عدم ارعوائه فيما مضى مَن التزم لسيّده العصيان وعقد بنفسه على نفسه موثقا بذلك فهو يسأله تعالى أن يُقيله منه أو ينْشُلَه من هذه العَثْرة وهذه الاستقالةُ منه عُنوانُ القَبول لان الحقّ تبارك وتعالى أعَزّ وأَكْرم من أن يُلجئ الى بابه من لايَشْمَله فَضْلُه فهنالك يستنير القلب

فانظر كيف ترتب على الفكر النصحُ والمراقبة واستقالة الذنب ونور القلب وحَسْبُه ذلك فضلا وسُوَر القرآن الكريم فى مثل هذه المواطن ملأى بالحض على الفكر

ثم أخذ رضى الله تعالى عنه فى أسلوب آخر من الوعظ فقال قد علمتم ان أباكم الخ أى أن عاقلاما لاينبغى له أن يستصغر ذنبه لان عصيانك ملكا مخلوقا مثلك حالة كونه يراك ويسمعك أمر فظيع فالحقّ تعالى وله المثَل الأعْلَى مهما تكن معصيتك فهى من حيث هذا الاجتراء تذوب منها الجبال ألم تر أن الكتاب العزيز يخبرنا أنها لاتنشأ الاّ عن الجَهالة بعَظَمة الربوبية وجلال الحق تقدّس وتعالى

أما تسمية مافعله آدم عليه السلام ذنبا فهو باعتبار منزلته كما يقولون حسنات الابرار الخ غير أن ذلك لاينبغى أن يَحْمِلَك على القُنُوط من رحمته ولذا قال فليكن أحدكم مِن ذَنْبه على وَجَل ومن ربّه على أَمَل وقول عتبة اقْبَلُوا العافيــةَ ما قَبِلْناها منكم وفيكم أى اقبلوا العافية مدّة قبولنا لهـا منكم أى مدّة قبولنا سُكونَكم وهَدْءَكم ومدّة قبولنا لهـا فيكم أى اقرارنا اياكم على هذا الهُدُوءِ فلم نَهِجْكم

وقوله واياكم ولَوْ الخ يريد الآمَانِي التى هى حُلمُ اليَقْظان وقوله يُعِين كُلًّا على كُلّ أى على خَيْر كُلٍّ

وقول الاعرابى يمُتُّ اليكم أى يتوسل

واستعاذة عتبة منه واستعانته عليه لسلاطة لسانه وبلاغة بيانه وثبات جنانه

وقول داود ماخرجنا لنحفر فيكم نهرا الخ أى لسنا بذوى أطماع نتوجّه همتنا الى السَّرَف فى مال الله ببناء القصور الخ

ومراده بعدوّ الله مَرْوانُ الحِمار آخر خُلَفاءِ بنى أميّة المقتول ببوصير من أرض مصر عام ١٣٢ وعُرِف بالحِمار لشجاعته يقال هو أصْبَرُ من حِمار فى الحرب فانه كان لايَفْتُر عن مُحَاربة الخارجين عليه وكان أشجعَ بنى أمية يصل السَّيرَ بالسير ويصبر على مكاره الحروب وقد وُلى قبل الخلافة ولاياتٍ جليلةً وفتح مَمالك كثيرة وكان مشهورا بالفُرُوسية والشجاعة وقيل سُمِي بالحمار لان العَرب تسمّى كل مائةَ سَنَةٍ حِمارًا فلُقِّب به مِن صِغَره لمّا قارب مُلْكُ اسلافِه أى بنى أمية مائة سنة فانه قُتِل وله من العمر ٦٢ سنة

وقوله أخذ القوسَ باريها أصله من قول الشاعر

يابارىَ القَوس بَرْيًا لست تحسنه * لاتُفْسِدَنْها وأعطِ القوس باريها

يستشهد به على تقدير نصب الياء

وقوله عاد السهم الى النَّزَعة يقال نَزَع فى القوس مَدّها

والنِصاب بكسر النون الاصل والمراد بهذه الجُمَل أنّ الشئ عاد الى أهله

وفى هذا الكلام مِن قوله أظنّ عَدُو الله الى هنا تهديد خَفِىّ وترهيب جَسِيم لانهم أى العباسيين اذا وَسِعَهم نَقْض دولة كانت مستحكمة ثابتة منذ أكثر من قرن فَلَأَنْ يسَعَهم تسكين ثورة الثائرين أحْرَى فقد وضح لك أن فى هذه الخطبة أيضا ترغيبا وترهيبا كما أسلفنا والله تعالى أعلم

الى هنا أمسكنا زمام اليراع باتمـام كتاب المواهب وقد تفرّق فى أثنائه ما أغنى عن نبذة الصرف ومختصر المغنى وبعد تلاوة أصـله السابق طبعه بمطبعة الصـنائع وتقريره فى اللجنة العلمية المرؤسة بصاحب الفضيلة شيخ الاسلام علامة الزمان الشيخ حسونة النواوى شـيخ الجامع الازهر الآن تكرّم بالتقاريظ الآتية المرتّبة حسب ورودها أكابر من جهابذة الادب ونبغاء علوم العرب وأساتذة هذه اللغة الشريفة العربية بالمدارس العليا الاميرية فقال حضرة السيد عبدالله أفندى الانصارى مانصه

نحمدك اللهـم مانح المواهب بفتحك ومنشئ بيان المعانى ببديع صـنعك فى كتاب لاريب فيه هدى للتقين قرآنا غير ذى عوج بلسان عربى مبين وصلاة وسلاما على من ألّفتَ ببلاغة اعرابه قلوبَ العـارفين وأقمت باعجاز ايجاز آياته برهانا للدين وعلى آله المرشدين وأصحابه المهتدين

وبعـد فلما كانت اللغة العربية هى مظهر أسرار الضمير ومصـدر غرائب التمثيل والتصوير بما لها من مزايا التراكيب وخصائص الاساليب قد اتسع نطاقُها وعَذُب لوُرَّادِها مَذَاقُها حتى عُنِىَ بها كثير من فحول الرجال الذين خُطَّت مآثرهم الجليلة على صحيفتى الايام والليال وكان من أعظم ماأُلِّفَ وأجل ماصـنف كتاب أستاذنا الامام وشيخنا العلامة الهمام قاموس لسان العرب العرباء وفارس حلبتى القريض والانشاء حضرة الاستاذ الشيخ (حمزة فتح الله) المفتش الاول للغة العربية بعموم المدارس المصرية (المسمى بالمواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية)

فانه كتاب جمع من صنوف الانشاء الاحسن ومن فنون القريض المتقن الى شروح لمؤلفه مفيدة ومبتكرات بديعة سـديدة وتخريج يروق المطالع وتقريب يفيد المراجع حتى يَنْبِذَ سواه بالعَرَا اذ كل الصـيد فى جوف الفَرَا نفع الله به النفع العميم وحفظ مُؤلّفه انه بكل شئ عليم وقد قلت اذ لاح بدر تمـامه وعبق مسك ختامه

أَدَرَارٍ قد أضاءت أم كواكبْ * أم تجلت شمسه سـفرُ المواهب
نِعْمَ مَنْ أبداه صـنعا محكما * جامعا فى طيـه أسمى المطالب
حاك بـرديه الامام الالمـعى * شيخنا الاستاذ مشهور المناقب

بحــر عــلم لو اردنا نعتــه * قصر الامكان عما هو واجب
كيف يحصى وصف من فى فضله * سار سير الشمس فى كل الجوانب
فليــدم للعــلم كـنزا ذخره * حلية يزدان منها كل طالب
كم تآليــف له حررها * وأتى فيها بحســن وغرائب
سيما هــذا فقــد جاء بما * يبتغيه كل من فى العــلم راغب
فلهــذا قلت أرخ انــه * تم طبعا صـنع هاتيك المواهب
٨٥ ٤٣٦ ٣١٠ ٨٢ ٤٤٠ ٥٦
١٣٠٩

عبدالله الانصارى المفتش بنظارة المعارف

وقال حضرة سلطان افندى محمد

نحمــدك اللهم على ما منحتَ من مواهب عنايتــك وفتحتَ من أبواب هدايتــك ونصلى على خير أنبيائك ونخبة أصفيائك محمد الذى أعجز البلغاء بيانه وخطف قلوبهم اليك تبيانه

وبعد فان لِلُّغة العربية من المزايا ماتكِلُّ دونه جياد الفِكَر ويقصر عن دَرْكه النَّظَر وقد عُنِيَتْ الفضــلاء بكشف النقاب عن خافيها واظهار ما بَطَن من المحاسن فيها مابين مُكْثِرٍ طاش عن الغَرَض سهمُه ومُقِلٍّ نبا عن مذاهبها فهمه وكلما طال عهد ذويها فشت أغلاطُ الناظرين فيها حتى أعضل البَأس ووقع اليَأس ولم تُجْدِنا عُلالَةُ التصانيف الا النزر الطفيف وبينما الراغبون فيها مقفلة فى وجوههم أبوابها متعذر عليهم طِلابها إذ أذَّنَ مُؤَذِّن المواهب الفتحيه هَلُمَّ فقد وافَتْكُم الأمنيه فيالها مأثرة تخلد لمبدعها حسن الذكر وتعظم له عند الله الاجر فقد جاءنا بِطُرَفٍ لم تخطر على بالٍ سواه ولن تخطر بعــدُ الا أن يشاء الله وقد توسمنا فى موافقــة ظهور هذا المؤلف ارتقاء سمو أميرنا المعظم وخديوينا المفخم عباس حلمى باشا على أريكة الخــديوية المصرية أنَّ بلاده ستــرفل بعالى همته وماضى عزيمته فى حلل العرفان ويتسع فيها نطاق العمران جعل الله ثغورها به بواسم وأيامه مواسم وأرانا فى أيام عظمته الكثير ناهجا فى ارتقاء

المعارف نهج حضرة العلامة مؤلف هذا السفر الجليل الذى عز عن المثيـل فلا تبلغ وصف محاسنه العبارة فاقتصرت على الاشارة نفع الله به و بمنشئه انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير آمين

سلطان محمد
أستاذ العلوم العربية
بمدرسة الحقوق

وقال حضرة الشيخ احمد الحملاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى المواهب الجمّة والصلاة والسلام على خير مرسل لخير امّة وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وأعلام الاهتدا ما أينعت ثمار المعارف وامتد ظلها الوارف

وبعد فان مما تشدّ اليه مطايا الفصحاء وتتجه اليه عزائم البلغاء فن الأدب الذى هو حلية النفس وحديقة الانس وترجمان الحكم عن الامم وهذا الفن وان كثرت تآليفه وعمت تصانيفه ولكن ما كل من ألّف أجاد ولا كل من قال وفى بالمراد الى أنْ بزغ بدر البلاغة من أفقه وانبلج صبح الفصاحة من شرقه حضرة استاذ الاساتذه ومحط رجال الجهابذه قاموس الادب وترجمان لسان العرب شيخنا الفاضل والانسان الكامل الشيخ (حمزة فتح الله) المفتش الاول للعلوم العربية بنظارة المعارف العمومية

بحر العلوم ومعدن الادب الذى * قد أشرقت فى الخافقين فضائلُهْ
ان قال أزرَى بالدرارى لفظـه * أو حركت منـــه اليراعَ أناملُهْ

فألف هذا الكتاب التام فى الادب العام وسماه بالمواهب الفتحية لطلبة دار العلوم الخديوية ولعمر الأدب وبنيه والفضل وذويه انه الدرّة اليتيمة فى بابه والجوهرة النفيسة لطلابه ولقد جمع ماتفرق من شتات الادب ومحكم كلام العرب مع انسجام لفظه ودقة معناه وحسن ترتيبه ومبناه مع سهولة التناول وعذوبة المشرب ولا غرو فالشئ من معدنه لايستغرب

كتاب قـد حوى درر المعـانى * وأسنى مايكون من المطالب
فقُمْ واْدأبْ وحَصِّــل ماحواه * لتحظى من الملك بالمواهب

وغير خافٍ أن ماراءٍ كمن سمعا ولا ناسٍ كمن وعى فانى لما قرأت ما أودعه حفظه الله سُطورَه ودرّسته لطلبة المدرسة المذكورة فُزْتُ أنا وهم بسعى مشكور وتجارة لن تبور جعله الله رافعا ألوية الفضل وسيفا قاطعا لرقاب الجهل وكان من يُمْنِ طالع هذا السفر الجديد والكتاب المفيد أن تم تحريره وكمل تحبيره فى أوائل تولية المليك الاعظم والداورى الافخم من تحققت به لرعيته الامانى أفندينا عباس باشا الثانى على أريكة الخديوية فى الديار المصرية جعل الله يمن طالعه مقرونا بالنصر المبين ملحوظا برعاية أحكم الحاكمين آمين

احمد الحملاوى

مدرس نحو وصرف

بدار العلوم

وقال حضرة محمد افندى دياب أستاذ العلوم العربية بالقسم العالى من المدرسة التوفيقية

دعتنى دواعى الفضل والادب الى زيارة أستاذ لغة العرب رب الطُرَف البديعة والمُلَح السنيعة عَلَم الهداية وطود الدراية مهبط اللطائف ومُوحَى الطرائف الاديب اللغوىّ والاريب اللوذعى من مازه بمزايا الشرف مولاه الفاضل الشيخ (حمزة فتح الله) فأنضيت اليه الركاب الى أن حللت بالرحاب فوجدته يطارح القوم حديث الامس واليوم ينثر عليهم فرائده وهم يلتقطون فوائده سمعته لايرمى الا صائبا ورأيت الكل بفضله معجبا الى أن ساقهم الحديث الى استهداء كتابه الحديث المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية فأهداهم وأنا معهم ثم انثنينا وعليه أثنينا فعكفت على مطالعة الكتاب فرأيته العجب العجاب كتاب غنىّ العبارة جلىّ الاشارة اقتنى من زواخر اللغة ذخائرها ومن شوارد الادب بوادرها حوى من العلوم أصولا شائقه وفصولا رائقه فلقد أحسن فيه جامعُه الجَمْع وأجمل منه الصنع كتاب فى بابه رصيف رصين يجرّ ذيل الفخر على البيان والتبيين فياطُلّاب الآداب شُدّوا الى هذا الكتاب ركاب الطلب تبلغوا نهاية الارب فهو المجموع الكافى لما تريدون والدواء الشافى مما تشكون فاشكروا مؤلفه على ما أهداكم والى ضالتكم المنشودة هداكم جزاه الله عن الادب خيرا ووقاه من الطوارئ شرا والله أسأله حسن الختام بجاه سيد الانام محمد دياب

وقال حضرة الشيخ احمد مفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

تأملت فى هـذا التأليف فسح الله فى أجل صاحبه فاذا هو بَحْرٌ تدفقت بالتحقيق غُدرانُه وتهدَّلت مما حملت من الآداب أغصانه

غصونُ بانٍ عليها الدهر فاكهة * وما الفواكه مما يحمل البان

أو بدرٌ أطلعته المعارف فى سمـاء العصر بين يدى خديوى مصر فالفضل فيه لحمزة والعباس ولهذا قلت لايذهب العرف بين الله والناس ولمـا أن دعاه مؤلفه بالمواهب لمـا تأهل فيه من الغرائب علمنا أن الله وله الفضل أفاض عليه من العلوم أنفعها وبلغه من الدرجات أرفعها فأنعم هذا الكتاب بالمواهب الفتحية والفوائد الصمدانية وفاز بالقدح المعلى فى الاولى والاخرى وبالجملة لاأطيل فى وصفه فكل الصيد فى جوفه وانمـا أقول جزى الله مؤلفه خيرا ما ترنم صادح وهتف مادح

احمـــد مفتاح
مساعد تدريس الانشا واللغة العربية
بدار العـــلوم

وقال حضرة احمد سمير افندى

مواهب فتح الله أسمى المواهب * فـلا عجبٌ أن كان أكرم واهب
ولا عجب أن جاء فيهـا بكل ما * سيجعلها فى الدهر بعض العجائب
فقـد أفرغ الآداب تبرًا وصاغها * لدى السبك منها فى أعز القوالب
وقضّى زمانا وهو يجمــع شملهـا * فكان ختام الجمع حسن العواقب
وواصــل فيها ليــله بنهـاره * مواصــلة عادت بنيـل المآرب
وأتعب فى ترصـيفها حُرّ فكره * وكم راحة فى طىّ تلك المتـاعب
فمـا شئت من نظم ونثر وحكمة * ومعنى بديع جلّ عن عيب عائب
فلو عاش همّـام لأسكته اسمها * لدى فخره فى الناس عن نار غالب
على أنّ من يعشو الى نار غالب * شبيه بمن تهـديه نار الحباحب
فمـا للهـدى الا مواهب ينجلى * بنور معـانيها ظـلام الغياهب

مواهب فضل طبّق الارض ذكرها * فما مثلها فى شرقها والمغارب
تجمعت الآداب فيها فأقبلت * بها تتهادى للورى فى مواكب
مطالبها يعنو لها كل طالب * ويدأب لاستظهارها كل كاتب
كأنّ بياض الطرس بين سطورها * «بياض العطايا فى سواد المطالب»
تسابق طلّاب العلى يبتغونها * وهم بين مغلوب عليها وغالب
أتوا نحوها مسترسلين كأنهم * «عصائب طير تهتدى بعصائب»
وما فاز منها بالمعلّى سوى امرئٍ * بسهم التغالى فى المعارف ضارب
فان قيل مفتاح العلوم مقدّم * فتلك هى البيت الفسيح الجوانب
فألقِ لديها السمع والقلب والحجا * اذا كنت ممن أولعوا بالغرائب
وعضّ عليها بالنواجذ مصغيا * اليها بفكر حاضر غير غائب
وسابق رجالا سابقوك لبابها * وزاحم اذا ما زاحموا بالمناكب
فهذا الامام الشيخ حمزة قدهدى * بنى الدين والدنيا بتلك المواهب
جلاها عليهم فى منصة حسنها * عروسا تحاكى الشمس بين الكواكب
وأوردهم منها مناهل عذبة * فلم يستطيبوا غيرها فى المشارب
وقرّب منهم ما تباعد سالكا * بهم طلبا للنفع خير المذاهب
وليس عجيبا ما أتاه فانه * لاشطر هذا الدهر أمهر حالب
تلقب فتح الله اذ كان دائما * لفتح بيوت الناس أوّل دائب
له الله يجزيه بما هو أهله * الى أن نراه فى أهم المناصب

احمد سمير

يقول مؤلفه الفقير لمولاه حمزة فتح الله كان انتهاء هذه الطبعة أوائل المحرم الحرام سنة ١٣٢٧ من الهجرة وأثناء يناير سنة ١٩٠٩ فى نظارة رب العوارف والمعارف صاحب العطوفة سعد زغلول باشا ناظر المعارف فى ظل أفندينا المعظم وأميرنا المكرم عباس حلمى باشا الثانى والحمد لله أوّلا وآخرا وظاهرا وباطنا وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلاته وسلامه على أشرف أصفيائه وسيد رسله وأنبيائه سيدنا ومولانا محمد وآله وكل ناسج على منواله

(م.م ٩٧٩/٩٠٦/٥٠٠٠١)


Bibliotheca Alexandrina
0420719